

بدايات الفن

فى عصور ما قبل التاريخ

د. أشرف إسماعيل العرينى

بدايات الفن

فى عصور ما قبل التاريخ

د. أشرف العرينى

سورة الفاتحة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

إهـــداء

إلى كل أساتذتي الكرام من أساتذة

كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

وأخص الفنانين المعلمين رحمهما الله واسكنهما فسيح جناته

د. محمود عبد العاطى

د. إيهاب عطا الله بسمارك

"بدايــات الـفــن"

محتويـات الكتـــاب :

الجـــزء الأول

المفاهيم و المضامين الفلسفية

للفن البدائى

مقدمة :

لا ريب أنه في كل أنحاء العالم في أكثر من ١٢٠ بلداً تركت جماعات من البدائيين وراءها أمثلة للرسوم والتصاوير والمنحوتات الصخرية ، ويبدو أن الصخر كان أو دعامة اختاروها ليبدعوا عليها أعمالهم الفنية وهناك دلائل على تعبيرات فنية أخرى غير الصخور مثل الرسم على الجسد والوشم والحلى وأدوات الزينة والرسم على لحاء الشجر وسعف النخيل والرسم على الرمال، وهي أشكال من التعبيرات الأخرى قد تكون وجدت قبل فن الصخور، ولكنها لم تتحمل مرور آلاف السنين .

وقبل الخوض في التناول التاريخي والتحليل الفني لهذه الفنون القديمة يمكن أن نناقش قضية جدلية يجب الاتفاق عليها أولاً حتى يتسنى لنا تذوق هذه الفنون الإنسانية البدائية وما تحمله من معالجات تشكيلية ورموز ومضامين فكرية فالبعض يشبه الإنسان الأول بأنه كان غريزى شبيهاً بالحيوانات، وهذه مغالطة من الواجب تصويبها من البداية.

فقد كان الفيلسوف اليوناني القديم "أرسطو" أول من حاول أن يحدد الفارق بين الإنسان والحيوان عن طريق تعريفه الخالد " الانسان حيوان ناطق " واعتبر النطق دائماً هو آية العقل الإنساني ، الذى يصل إلى ذروته في إختراع اللغات بكل ما تحويه من فقه وآداب وفنون وأشعار وعلوم ومعارف ، ورغم الرقى الذى وصلت إلية اللغات البشرية، فيجب ألا يحجب ذلك عنا الحقيقة التي يقول بها التطوريين، من أن النطق عن الإنسان لم يكن يعدو في بادئ الأمر مجرد إخراج الأصوات للتفاهم بين أفراد النوع، كما هو الشأن بالنسبة للطفل حتى في هذه الأيام، فإذا كان هذا هو مدلول النطق، فمن العبث أن ننكر على الحيوانات أنها ناطقة فالحيوانات تخرج من فمها أصوات مختلفة تعبر بها عن أغراض مختلفة، ومن الواضح أن كل نوع من الحيوانات يتفاهم مع بعضه.

وإذا كان النطق لا يخرج عن كونه عملية إحداث أصوات، فالقول بأن الإنسان ينفرد عن الحيوان بالنطق قول غير سديد إذا كان معنى النطق هو إحداث الصوت، فنحن عندما نصف الإنسان بأنه حيوان ناطق فنحن نعني الإدراك لمعاني هذه الأصوات، إلا أن الحيوانات ذات إدراك محدود وكما أنها يمكن أن تدرب على إحداث أصوات ناطقة، ويمكن أن تدرك معنى الكلام والإشارات وتستجيب لها بالتدريب، ومن هنا أصبح من المحال اعتبار النطق والإدراك فارقاً من حيث الطبيعة بين الإنسان والحيوان ويحاول البعض أن يرى في تذوق الإنسان بالجمال هو ما يميزه عن الحيوان، ولعل ما أثبتته البحوث المعاصرة من أن الحيوانات تتأثر بالموسيقى كمثل إدرار البقر اللبن وزيادته عند سماع الموسيقى ، كما أن إحاطة المواشي بجو نظيف يساعد على تحسن صحتها وزيادة إدرارها .

وهكذا تنهار بدورها فكرة إنفراد الإنسان بتذوق الجمال ، كحد فاصل بينه وبين الحيوان ، كما يظن البعض أن الفارق الحقيقي هو في قدرة الإنسان على كبت بعض غرائزه وما يتمتع به الإنسان من ضمير يأمره وينهاه ، إلا أن الحيوان المدرب يمكن أن يكبح شهوته ، فحيوان السيرك مثلاً يعرف ما يجوز له عمله وما لا يجوز ويخشى طائلة من العقاب ويطمع في نيل الثواب .

وحقاً قد لا يكون هناك أي فارق بين الإنسان والحيوان في النطق ولا اللغة والتفاهم ولا حب الجمال أو حتى الضمير والتفريق بين الخير والشر ، إنما عنصر الخلاف إنما يكمن في جوهر الحرية ، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتصف بالحرية (حرية التصرف) وحرية الاختيار ، أما الحيوان أياً كان قدرته وتدريبه فهو مفتقد للحرية

فالحيوانات والطيور والحشرات وسائر الكائنات الحية عدا البشر محكومة بقانون ثابت ، فالنملة مثلاً كما كانت منذ عشرات القرون السابقة ، كما ستظل بعد عشرات القرون بنفس الطبيعة ، والطيور تبني عشها بنفس

الطريقة ومن نفس المواد وستظل كما هي إلا أن تقوم الساعة ، أما الإنسان فهو الوحيد في هذا الكون الذي يأبى أن يظل على حاله فهو متغير من حال إلى حال وبطبيعته يحب هذا التغيير ، فلو قارنا بين الإنسان البدائي الذي كان يعيش بالغابات والكهوف وبين إنسان العصر الذي يعيش بين ناطحات السحاب وما تحتويه من مصاعد كهربائية وأنابيب الغاز ووسائل الترفيه ووسائل النقل يتضح لنا مدى الاختلاف الغائق .

ومن هنا نرى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتغير بدافع من داخله بقوة دافعة في طبيعته بما نسميه إرادته ، الإدارة الحرة المختارة ، وبهذه الإرادة يبدع الإنسان ما لم يكن موجوداً في الطبيعة من قبل ، وهذه القدرة على الإبداع هي أهم مظاهر هذا العقل الانساني منذ فجر التاريخ وحتى اليوم .

ومن الخطاء أن نتصور أن عقولنا اليوم أكمل من عقول إنسان ما قبل التاريخ ، أو أن عقولنا اليوم قاصرة بالنسبة لعقول من سيأتون بعدنا ، فالعقل جوهر واحد لايقبل الزيادة أو النقص ، فقد وجد العقل بكامله منذ كان الإنسان إنساناً ، محملاً بقدرتي الذكاء والإبداع منذ بدايته .

ومن هنا نبداء الحديث عن فنون الإنسان الأول منذ العصور السحيقة، عندما كان يسكن أول الأمر في كهوف بالجبال، وتتشابه هذه الفنون في كل البلاد التي عاشت عليها سلالات الإنسان بفطرتها البدائية الأولى، كما تتشابه ولادة الأطفال نشأتهم في كل العصور وعند كل الشعوب، فالإنسان الأول كان يعتمد في حياته على الصيد، ومارس صناعة أسلحته من الأحجار الصلبة ليدافع بها عن نفسه ويستخدمها في الصيد براً وبحراً، ثم حورها ليصنع منها أدواته المعيشية وصنع من الأحجار تماثيل ورسم وزخرف جدران كهوفه بصور اعتاد رؤيتها كالحيوانات المفترسة أو الأليفة بعضها كان يهواه ، وبعضها اتخذ من رسمها تعاويز لتحميه من بطشها ، ثم نراه يجسد معتقداته في شكل إنسان تارة وحيوان تارة أخرى ،

وهو في كل محاولاته هذه نراه يستمد من الطبيعة والبيئة التي كان يعيش فيها عناصر فنونه وصناعته.

وكل فنون عصر ما قبل التاريخ تركز على ثلاث موضوعات رئيسية وهي الجنس والغذاء والأرض ويبدو أن اهتمامات الإنسان الرئيسية لم تتغير كثيراً على مدى العصور.

ثم توصل إلى اكتشاف النار، وصار يصنع من جلود الحيوان وصوفها ما يقي جسمه، ثم تطور فعرف كيف يستفيد من ألياف النباتات في كثير من الصناعات إلى أن توصل إلى معرفة الزارعة ، واستخدام طمي الأنهار في صناعة الاواني، ثم حرقها بعد نقشها وزخرفها بالأشكال التي كان يراها حوله، ومن هنا نجد أن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن صورة من صور النشاط المميز للجنس البشري فيعرف الفن بأنه نشاط إنساني هادف وأهم أهدافه هي جعل المواد الطبيعية ملائمة لاحتياجاته البشرية .

إن الإنسان يتحكم في الأشياء ويجعلها ملك يده عن طريق تحويلها وتطويعها وفقاً لإرادته واختياره وإبداعاته ، فالفن كنشاط انساني هو عملية تحويل الأشياء الطبيعة لأعمال مبتكرة لكن الانسان لايعمل الأعمال فحسب ولكنه يحلم ويتخيل أيضاً ، فهو يحلم بأن يتمكن من تغيير الأشياء وتشكيلها في صورة جديدة بوسائل سحرية أو خيالية ، فالسحر أو الخيال يقابل العمل والإبداع في الواقع ، وقد سيطرت هذه الفكرة على تفكير الإنسان منذ بدايته بالعصور الحجرية والتي كانت من دوافع ظهوره بدايات الفن .

د. أشرف العريني

المفاهيم والمضامين الفلسفية والفنية للفن البدائي

تمهيـــد:

تمثل الرموز والعلاقات وما تحتويه من أفكار ومعان، الركائز التي يعتمد عليها الاتصال والتفاعل الأنساني بشكل عام في كل العصور، ومنذ عصور ما قبل التاريخ إعتاد الأنسان علي انشاء نماذج من الأشكال والعلامات والرموز لتمثيل ظواهر الحياة علاقاتها كما تظهرها تجاربه، فالإنسان منذ ظهوره في الوجود ظل منهمكاً في تجسيد عالمه وسلوكه وأفكاره بأساليب مختلفة وقبل النظر في مضمون الرسم والمضمون الفكري والأيديولوجي للأعمال ذاتها، نحتاج لتوضيح عدد من النقاط الرئيسية الخاصة بالعلاقة بينها وبين محيطها.

١- المكان :

إن الأشكال الطبيعية والوضع الذي تم اختياره علي وجه الصخر لها علاقة مادية ملموسة، وتتوافق مع اختيار ذو مغذى معين، وسواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي، وقد أوضحت الدراسات المقارنة التي أجريت في كل أنحاء العالم أن الفنانين اختاروا أوضاع صورهم بالتطابق مع معايير تتكرر علي نطاق واسع وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد.

٢- الفرد :

والشخص الذي يقوم بهذا الاختيار من الواضح ان له هوية معينة: هو أو هي قد يكون شاباً أو متقدماً في السن، شامان أو شخصاً عادياً فالفن لم يمارس ابداً بواسطة الجميع بلا استثناء.وعلي ذلك يجب البحث عن نوع

أخر من العلاقة في الرابطة بين العمل الفني الذي عاش ونوع الفرد الذي أبدعه. وفي بعض الحالات، في فن القبائل في تاريخ متأخر كما في بعض العصور ما قبل التاريخ، من الممكن التأكد من أن العمل قد تم تنفيذه بواسطة أحد من ذوي القوي الخارقة، أو غير ذلك، أو بواسطة رجل أو أمرأة.

٣- الزمن:

الصورة الزيتية أو النقش تم في وقت معين من النهار أو الليل، في الصيف أو في الشتاء أو حتي في نقطة معينة من حياة الفنان الشخصية، أن عملية تنفيذ العمل حدثت في سياق ديناميكي قبل او بعد الصيد، قبل أو بعد الأكل أو النوم، وقبل أو بعد أو إثناء عمل أشياء أخري. كما أنه حدث في ظل ظروف خاصة، في لحظة كان فيها الفنان بمفرده أو بصحبه أخرين أثناء احتفالية أو ممارسة للتأمل في مكان به ضجيج أو سكون تام- ومثل أي عمل فهو يدخل في سياق زمني معين، ونتاج معين.وهكذا يكون أمامنا نوع اخر من العلاقة، وهي العلاقة بين العمل وسياقه الزمني. ما لا نستطيع ان نفعل أكثر من التخمين، حتي عندما نكون قادرين علي معرفة ما إذا كانت الصورة المعينة لها وظيفة عامة أو خاصة.

٤- العلامات وأنواعها:

هناك عدة أنواع من العلامات، توجد علاقات بين كل من العلامات المتشابهة والعلامات المختلفة، ويمكن أن نستخدم تعبير "طريقة التركيب" بالنسبة لشكل العلاقة، بمعني وضع الأشياء بجانب بعضها وتعقب المشاهد، وقد أحتوت رسوم الفنان البدائي علي جدران الكهف علي علامات رمزية ورسوم تعبيرية متميزة ومتكررة بأختلاف الأماكن والأزمنة في تلك

العصور العتيقة، وقد أخذت هذه العلامات شكل اسطوانات ذات أسهم وأفرع وعصي وعلامات في شكل أشجار وصلبان،وعيش الغراب ونجوم وثعابين وأشكال متعرجة، أما الرسوم التعبيرية فهي تبدوا أنها قد نتجت من انطلاقات عنيفة للطاقة ومن الجائز التعبير عن المشاعر حول الحياة والموت، أو مشاعر الحب والكراهية، ولكن يمكن أيضاً أن تفسر علي أنها نذير أو بشير أو تعبير عن ملاحظات أخري شديدة الدقة.

وهي تتكرر أكثر في الكهوف وعلي الأشياء المنقولة عنها من فن الصخر في الأماكن المفتوحة، والتي يكون اختيار الصخر فيها وشكله الفعلي محققاً لدور هذه الرسوم التعبيرية.

ولجأ الفنان البدائي إلي تصوير ورسم أشكاله ورموزه وتعبيراته علي جدران الكهوف بالنزعة الي محاكاة الطبيعة، وليست الطبيعة والواقع المرئي فحسب، وإنما ايضاً كل ما يعرفة الفنان البدائي عن الطبيعة والبيئة المحيطة به والحيوانات التي صورها علي تلك الجدران والتي تمتاز بالحركة والعفوية والتلقائية والسرعة في التعبير.

وقد كان الفنان البدائي يتمتع بحساسية غريزية عالية وكان كل شيء في نظاره يتصف بالحيوية وخاصة الظواهر الغامضة بالطبيعة– مثل الأجساد الميته والدم والرعد والبرق والعواصف، وتلك الظواهر التي كان تثير مشاعره وغرائزه وأحاسيسه والتي انعكست علي نشاطه وتعبيراته الفنية.

ومن هنا نستطيع ان نتفهم ما تحلمه هذه التعبيرات من مضامين من خلال التعرض للأهداف والأغراض والتي دفعت الفنان الأول في عصر ما

قبل التاريخ لأنتاج هذه الرسوم الصخرية وكذلك يمكننا ان نتعرض للعوامل المؤثرة علي هذا الفن والتي جعلته يصاغ في هذه الأشكال.

ا- الأغراض التي دفعت الإنسان الأول لإنتاج الفنون البدائية :

كان لظهور الفن في عصر ما قبل التاريخ عدة دوافع قام بتفسيرها العلماء والمؤرخون والباحثين في عدة نظريات توضح الغرض من وراء الصور الجدارية المرسومة علي حوائط العديد من الكهوف في العصور الحجرية، وقد استندت تلك النظريات علي أساسين هامين لتفسير دور الفن ووظيفته وفلسفته في تلك المجتمعات البدائية، وأحدهما أرتكز علي أن الفن كان موجهاً لخدمة لموضوعات النفعية لتلبية الاحتياجات المادية الحياتية، أو استجابة لنازع ديني أو سحري (تفسير برجماتياً)، والنظرة الأخرى ارتكزت علي أن دور الفن يتمثل في الطقوس القائمة علي المعتقدات الدينية والمعارف الروحية والتعبير عن الأفكار والمعتقدات للفرد وشعوره وانتمائه للجماعة (تفسيراً استاطيقياً ميتافيزيقي).

الدافع الأول

الاعتقاد بأن الفن من أجل السحر:

يدعم هذا الاعتقاد عدد من البحوث العلمية التي أكدت أن الرسوم الجدارية في العصور الحجرية ما هي إلا نشاط سحري، وقد أتفق معظم الباحثين والمؤرخين للفن البدائي علي السحر يعد بمثابة عملية إجرائية تتبع تقاليد سحرية، وأن هدف الحصول علي الغذاء واضطرار الإنسان البدائي إلي السعي المتواصل لابتغاء صيد الحيوان كان يستلزم توجيه نشاطه بما

في ذلك نشاطه وتعبيراتة الفنية إلي ما يساعده في تحقيق هدفه والحصول علي الحيوان، ولعل ذلك يكون نوعاً من السحر الفطري الذي يسهل للصياد اقتناص الفريسة، حيث كان الحيوانات كثيراً ما ترمسم وعليها آثار سهام حقيقة ووجهت إليها بعد رسمها، وكأن الجروح الموجودة علي الصور الجدارية نتيجة تلك السهام المقذوفة عليها تعد أكبر دليل علي أن الرسوم كانت لخدمة الطقوس السحرية، فالسحر موجهاً أساساً للحصول علي الغذاء الذي هو من أهم ضروريات الحياة عند الإنسان البدائي.

ولقد أعتقد صياد العصر الحجري انه إذا استحوذ علي الشيء في الصورة، ويظن أنه سيطر علي الموضوع عندما يصوره برسومه وكان يعتقد أن للحيوان الحقيقي يعاني بالفعل من قتل الحيوان الذي تمثله الصورة، ومما يؤكد علي الاعتقاد بأن الفن البدائي كان موجهاً لخدمة السحر، هو أن التصاوير والرسوم الجدارية كثيراً ما كانت مختبئة في أركان الكهوف ولا يمكن الوصول إليها ولا أن يتسرب أليها شعاع من الضوء أي أنها كان في موضوع من المستحيل أن تستخدم فيه علي أساس الزخرفة والتجميل.

وكذلك فأن هذه التصاوير قد وضعت فوق بعضها في اللوحة الواحدة مما يؤدي إلي إزالة أي اثر زخرفي منذ البداية، ومن المؤكد أن المصورين لم يكونوا مضطرين إلي رسم صورهم لواحدة فوق الأخري إلا إذا كان لم يكن لديهم مكان فسيح، كما أن ذلك الوضع للصور فوق بعضها دليل علي أن الصور لم تخلق بقصد إمتاع العين علي الإطلاق.

ومما يدعم الاعتقاد بأن الفن من أجل السحر تلك الصور البشرية المتنكرة علي هيئة حيوانات كانت تؤدي رقصات سحرية، حيث وجدت

مجموعة من الأقنعة الحيوانية المتجمعة لا يمكن ان تفهم إلا اذا نسبت إلي الغرض السحري.

أما عن تفسير الأماكن المعزولة التي وجد العديد من الرسوم بها وفي الكهوف يصعب الوصول إليها سواء في قمم المرتفعات أو تحت طبقات الأرض وأحياناً نصل إليها من خلال ممرات ضيقة يصعب المرور بها، فهو ما يؤكد أن الرسوم كانت لأغراض سحرية، وهو ما يؤكده علماء النفس والباحثين في مجال السحر قديماً وحديثاً ومنهم علي سبيل المثال لا الحصر ما قاله "أبو مسلم المجريطي الأندلسي" في كتابة "غاية الحكيم" (لأحد مخطوطات دار الكتب المصرية) وأكده أحمد الشنتناوي في كتابه " فنون السحر" فيقول المجريطي: يجب علي المشتغل بهذا العلم أن يكون مؤقناً بصحة ما يعمل لا يدخل شك في عمله أو أرتياب لتقوية بذلك فعل النفس الناطقة ومن شروط هذا العمل أن يستتر المشتغل به عن البشر وعن رؤيتهم وعن شروق الشمس وضوئها، وألا يُطلع عليه إلا صحيح العزم مأمون الصحبة لا متهاوناً ولا مزدرياً بجميع ما يصدر عن روحانية الفلك من الأعمال المتسقة الباهرة القاهرة لهذا العالم.

كما يؤكد الباحثين في هذا المجال أنه دائماً ما تجد اختلاق جو الغموض والمعاناة في استخدام مواد نادرة ويصعب الحصول عليها في عمل التعاويذ والطلاسم السحرية وربما يكون هذا أحد المبررات لأماكن الغريبة التي وجدت بها هذا الكهف والغرض من هذه الرسوم.

الدافع الثاني

الاعتقاد بأن الفن من أجل الفن

تشير الأبحاث التاريخية إلي أن الإنسان عندما كان يوجه نشاطه لإنتاج عمل ما لم يكن ينتج هذا العمل ليصفه إلي إتجاه فني مطلق، بل لينتج عملاً هو مزيج من العناصر النفعية والفنية ولكن بدرجات متفاوتة ولا يمكن تصور عمل ما لا يضم عناصر النفع والفن معاً.

كذلك أكد الباحثون أن هناك شرطان أساسيان لقيام الفن هما: فكرة المحاكاة، وفكرة إنتاج شيء من لا شيء. وهما فكرتان قد ظهرا في عصر التجريب والسحر.

وعليه فقد استخدم الفنان الصياد تلك الأفكار، ونراها واضحة في أعماله الفنية مثل الأشكال الظلية لليد وجدت في أماكن كثيرة قرب التصاوير الموجودة في الكهوف حيث قامت علي فكرة المحاكاة لليد البشرية وبالتالي ولّدت استمتاعاً جمالياً.

كذلك تراكب الأشكال وحلوله في ملىء الفراغات وصياغاته لأشكاله وتحقق السيادة والتنوع والحركة الأيقاعية ومعالجتها لإيجاد إتزان في صياغاته التشكيلية كذلك فإن التناسق الذي يبهج النظر قد تواجد في بعض اللوحات الرائعة في كهوف " لاسكو" بفرنسا علي سبيل المثال، فنراه جلياً في الحركات والتعبيرات المختلفة للحيوانات، وبعض التفاصيل الجزيئية جميعها تشير إلي أنها صممت بقصد إمتاع العين. أياً كان الغرض منها بالإضافة إلي أن المفاهيم والمعايير الجمالية الحالية لا يمكن تطبيقها علي ما تم إنتاجه في عصور ما قبل التاريخ، حيث ان جماليات هذه الفنون نابعة من

مصادر بيئية ومناخية وثقافية خاصة ومختلفة أدت إلي أبتكار هذه النوعية من الفنون بسماتها المميزة.

وسوف نتناول بالتفصيل جماليات هذه الصياغة والمعالجات والسمات التشكيلية لهذه الرسوم وتصاوير والكهوف فيما بعد وسواء كان الفن عملياً أو سحرياً دينياً أو للزخرفة فإن الوظيفة التي يؤديها في الثقافات البدائية واحدة، وهي إشعار الفرد بانتمائه للمجموعة، وأياً كان الشيء المراد التعبير عنه بواسطة الفن فالمقصود هنا هو جذب اهتمام للمجموعة وتقوية ما بها من روابط بطريقة أو بأخرى.

- العوامل المؤثرة علي الفن البدائي :

يري العديد من الأنثربولوجيين (علماء دراسة الأجناس) أن البيئة هي المحك الأول لتصنيف إكتشافات فن ما قبل التاريخ، حيث أن البيئة هي المسيطر العام في شتي أنواع الحياة وبصفة خاصة كانت الظروف الطبيعية تأثيرها المباشر والفعال علي الإنسان نفسه بتقنياته وأساليبه. ولذا لا بد من الألمام بالعوامل أو الظروف التي أثرت علي إنسان هذا العصر وخاصة فنانيه، فأي فنان هو جزء من بيئته الجغرافية، الإجتماعية التي ينشأ فيها ويحترم أسسها وقواعدها مهماً كانت بسيطة كما أن المسبب أو الغرض الذي جعله ينتج هذا العمل الفني لابد ولن يعود إلي سبب اجتماعي مهما بعد أو قرب ومهما صغر أو كبر هذا المجتمع هو ما يسميه " أرنولد هاوزر" بالعامل الاجتماعي الذي هو في واقع الأمر عامل سياسي، إقتصادي، ثقافي وتاريخي في آن واحد.

وعليه سوف نتعرف علي طبيعة الظروف الجغرافية والاجتماعية وكذلك الظروف الدينية والاقتصادية التي أحاطت بالفنون البدائية.

١- الظروف الطبيعية:

عندما نبدأ في التعرف علي الظروف الطبيعية التي عاشها الإنسان البدائي والتي كان لها أعظم الأثر في سلوكه العام لا بد لنا من الأشارة الي ما مر بالكرة الأرضية من تغيرات صاحبها تقلبات مناخية كبيرة، فمع ظهور الإنسان في العصر البلستوسيين نشأ للفن الذي لم يكن فناً بالمعني للمعروف حيث كان مجرد إستكشاف لأدوات ووسائل تعين الإنسان علي الحياة.

وفي عصر البلستوسين كانت الظروف المناخية والجغرافية التي عاشها الإنسان الأول قاسية جداً حيث تخللتها أربعة أو خمسة عصور جليدية صاحبها فترات قليلة من المناخ المعتدل ومع انحسار الجليد حيث تذبذب ملحوظ في مستوي سطح البحر حيث إرتفع مستوي السطح إلي أكثر من مائة متر ويستدل علي ذلك من المصاطب الساحلية القديمة الي خلفتها المياه والتي ترتفع عن مستوي السطح البحر الحالي إرتفاعاً كبيراً، كما كان تراكم الجليد يؤدي إلي أنخفاض مستوي سطح البحر وإنكشاف الجروف القارية التي تصل ما بين القارات أو للجزر فتتكون المعابر الأرضية بين المحيطات والتي أنتقل عن طريقها الإنسان ما بين القارات والجزر حيث وجدت آثاره في مناطق مختلفة من الصعب تفسير وجوده فيها بوسائل إنتقاله البسيطة.

كما لم يكن الجليد ليغطي سطح الأرض دفعة واحدة بل كانت هناك مناطق تتمتع بمناخ جاف وحار وعليه فقد حفزت تلك الأضطرابات المناخية

الإنسان الأول للتطور التكيف أو الهجرة،وفقاً لمقتضيات البيئة السائدة في المناطق.

ووسط تلك الظروف شهد الإنسان قصف الرعد ووميض البرق كما شاهد كتل الجليد الضخمة وهي تتساقط من أعالي الجبال إلي الوديان مكتسحة أمامها الأشجار وكل شيء. هذه المشاهد رسبت في ذهن الإنسان البدائي رهبة من الطبيعة أضيفت رغبته في استرضائها لكي تمنحه من خيراتها.

فأبدع الفنان البدائي تلك النوعية من الفن لمنح الإنسان القوة إزاء الطبيعة أو إزاء العدو أو إزاء الواقع أو كقوة لدعم الجماعة الإنسانية أي أنه كان سلاحاً في يد الجماعة أثناء صراعها للبقاء.

أي أنه لم يكن نازع الفن عندئذ إستاطيقية أو جمالية علي الأطلاق ولكنها إكتسبت تلك الصفة الجمالية بالتدريج، ولكي يتسني إدراك وفهم المضامين الجمالية للفن البدائي أصبح من الضروري تفهم طبيعة البيئة التي عاشها الإنسان فيما قبل التاريخ، حيث ان توظيف الفن مرتبط إلي حد كبير بجغرافية المكان الطبيعية التي تحدد وجود الإنسان ومستوي حضارته وكفائته وقدرته علي ممارسة مختلف نشاطاته من صيد وزراعة، أو رعي وما يلزمها من حرف.

ولما كان لطبيعة الحياة التي يعيشها الفنان البدائي تأثيرها الخاص علي عمله الفني، وكان الحيوان هو محور حياته القائمة علي الصيد والقنص فلا غرابة أن يصبح هو بطل أعماله الفنية بلا منازع تقريباً، فنجدة في النحت، والنحت البارز، والنقش، والتصوير الجداري وحيثما بحثنا في مكان له نجد فيه وحوشاً وسمكاً والحيوانات التي تحيط به حيث كانت حياته الفنية متمثلة

بالأشكال الحيوانية التي يحبها والمتواجدة في بيئته، ولقد تنوعت الأشكال الحيوانية المصورة بإختلاف البيئات التي تواجدت فيها.

كما وجدت الأسلحة المصقولة كما لو كانت مصنوعة من معدن خالص فهناك الفؤوس والمقاشط والرماح والحراب المختلفة الألوان منها الرمادية والسوداء والخضراء اللاتي يتميز برشاقتها الناتجة عن التوافق بين الأداء الوظيفة التي أدت إلي إبداعها.

كما يلاحظ إنسان العصر الحجري القديم بعض التركيبات الحجرية لكهفه حيث بدت هيئاتها وأشكالها تشبه أشكال الحيوانات التي يصطادها فإستفاد الفنان الصياد بشكل جوهري من طبيعة السطوح غير المنتظمة للجدار، وكذلك من بروازتها هنا وهناك ومن بعض تشققاتها وتقعراتها وحوافها، حيث أوحت له بتخيل مقارب للوجود الحقيقي للأشكال المرسومة، فعلي سبيل المثال إستطاع من خلال الأنتفاخ البارز في الصخر أن يعطينا إنطباعاً بصرياً بالحجم المتكور لجسد الحيوان.

كما أكتشف البدائي من سيره علي مسطح الأرض الموحلة ومن الحفر التي تنشأ نتيجة ضغط أقدامه خصائص الطين المبلل فوجهه ذلك إلي إعمال يده بالتشكيل وصنع المجوفات، ودخل الإنسان عصر الخزف والنحت من هذا الطريق ثم ساعده اكتشاف للنار علي حرق التماثيل والأواني.

وعليه فيمكننا تصور العناصر الأولية التي كانت تشحذ مخيلة رسامى وفناني ما قبل التاريخ التي استمدها من عناصر بيئته الطبيعية.

٢- العوامل العقائديه:

تعددت أشكال المعتقدات الدينية والبدائية للإنسان الأول فكان لكل حرفة ومهنة ولكل فن إله خاص كما كان الشعور بالخوف من المصير هو أكثر المشاعر بروزاً في حياة الإنسان الأول وفكرة الفداء مصدر إلهام له، ولذا أراد الوقوف علي أسبابها، وبناء علي ذلك تولدت العقيدة وكل مظاهر العبادة وطقوسها من رقص وتقديم القرابين لإستدرار عطف الآلهة.

كما تؤكد الاكتشافات العلمية أن العقائد كفكرة يستمد منها الشعب تراثه ولا توجد جماعة من الجماعات الإنسانية منذ الإنسان الأول وعبر مراحل التاريخ وليس لها معتقد ديني علي الأقل.

ويمكن تقسيم المعتقدات الدينية أو السحرية بالعصور البدائية تبعاً لنوع العبادة إلي صورتين أساسيتين:

الصورة الأولي: وهي ما تعرف بالعبادة الأرضية.

الصورة **الثانية:** وهيما تعرف بعبادة الأسلاف.

أ- العبادة الأرضية:

حفلت تلك المعتقدات بأنواع كثير من المعبودات الطبيعية من مظاهر الطبيعة وطواطم (وهي جمع طوطم ويعني احد الحيوانات والذي غالباً ما تسمي الجماعة أو القبيلة البدائية بأسمه، ويعد لحمه محرماً علي أفرادها الذي يعتقدون أنهم أنحدروا عنه لذلك يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة في مواسم محددة)، وقد مزجو تلك العبادات بطلاسم السحر والشعوذة.

ومن هنا يمكن أن نقسم هذه العبادة الأرضية لنوعين من العبادات احدهما عبادة الطبيعة والأخري عبادة الحيوان.

- عبادة مظاهر الطبيعه:

حيث عبد الإنسان الأول السماء وما فيها حيث سيطرت عليه فكرة وجود روح مختلفة الصورة هي التي ترسل السحاب وتسقط المطر وتجمع الرعد، كما عبد الشمس وكان للبدائيين القدماء أرواح أخري تحت الأرض وهى الأرواح الشريرة وكانوا يعتقدون أنها تنطوى على الحب والإجلال، وكان تصحب عادةً بأناشيد وطقوس تتم عن التوبة والهلع وكانت هذه القوي غير البشرية هي المعبودات الحقيقية الأولي للإنسان الأول.

- عباده الحيوان:

لقد عظم الانسان البدائي الحيوانات وعبد بعضها ويرجع السبب في ذلك الي قدراتها، فمثلاً كان الطور أحياناً مقدساً لقوته وقدرته، كما قدس البدائيون الأفعي لأنها ترمز إلي القدرة علي الفتك بأكبر الأعداء وأقواهم كما أنها خالدة لا تموت حسب معتقداتهم.

ب- عبادة الأسلاف:

نشأت هذه العبادة نتيجة لإعتقاد البدائيين بأن الموتي أرواحاً قادرة علي ان تقدم للناس الخير والشر وتسترضي بالقرابين وعلي هذا الأساس كان الأقدمون يسترضونها بطقوس يقصدون بها إبعادها وإتقاء شرها. وعندما

غدا للإنسان البدائي عقيدة ودين، وإذا لهذا الدين معبد وهياكل اصبح الإنسان يمارس لونين من الفن: لوناً دينياً، لوناً دنيويا.

وإذا فنه يتشكل هو الأخر فتخرج رسومه من بساطة الخطوط إلي التعقيد الهندسي، ومن هنا أخذ ذلك الأسلوب الهندسي الزخرفي يظهر ويهيمن علي الفن هيمنة مطلقة لأي أسلوب أخر، وأصبحت رسالة الفن التعبير عن الجوهر الباطن من محاكاة الكائنات المتواجدة في الطبيعة أي أخذ الفن في الرمز إلي الموضوع بدلاً من محاكاة مثالية.

٣- العامل الاجتماعي:

وأوضحت الدرسات المتعددة أن هناك صلة وثيقة بين الفن والمجتمع الذي يعيش في الإنسان بكل ما يشمله ذلك المجتمع من المظاهر البيئية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية السائدة فيه. فمن تلك المظاهر مجتمعه يستمد الفنان الأفكار والصور الذهنية والوسائل التي تظهر في شكل أو آخر من أشكال التعبير عن الفني سواء كانت نحتاً أو فنوناً زخرفية كما يظهر أيضاً أشكال الرقص، الموسيقي، الشعر، الأساطير، القصص وغيرها من الوسائل التعبير الفني.

فحينما كان البدائيون يعتمدون في حياتهم علي الصيد غلبت علي رسومهم في الكهوف صور الحيوان،ثم عندما انتقل بعد ذلك إلي رعي الماشية فكان اغلب إنتاجهم الفني في تلك الفترة من تماثيل الحجارة أو العاج أو العظم ثم إنتقل إلي مرحلة الاستقرار والزراعة واهتدي الإنسان إلي بناء مسكن من قوالب الطين فكان هذا التجمع سبباً في نشأة التقاليد التي تنظم

علاقة الأفراد بعضهم ببعض في الأسرة الواحدة وعلاقة الأسرة بغيرها وهي صورة التجمع الذي تطور بعد ذلك الي العشيرة فالقبيلة فالقرية فالمدينة وعند ذلك أخذ الإنسان يدخل الطور الحضاري وفي كل هذه المراحل كان الفن جماعياً، وكان للفن بذلك وظيفة أساسية في تلك المجتمعات وهي حفظ للقيم ونقلها من جيل إلي أخر بطريقة رمزية أي من خلال تحويل القيم إلي رموز يتم نقلها عبر الأشكال الفنية ولا يعرف محتواها إلا أصحاب الثقافة أنفسهم.

ومن أهم ما يميز الحياة الاجتماعية في المجتمعات البدائية:

١- المجتمعات البدائية تجد فيها صلات متشابكة بين كلاً من العقيدة والبنية الاجتماعية، وبين البيئة الاجتماعية والتنظيم الاقتصادي، وبين العناصر السحرية والعملية أي أن هناك تكامل بين كلا من الإشكال الرئيسية للثقافة.

٢- العرف يحكم تصرفات وردود فعل المجتمع تجاههم.

٤- العامل الإقتصادي:

لما كانت الطبيعة هي محور حياة الإنسان فكان عليه أن يجمع ما يقتات به مما تقدمه الطبيعة منفقاً في ذلك كل وقته، ثم أصبح الإنسان صياداً بارعاً في فنون الصيد المتعددة ولا شك أنهم كانوا صيادين مهرة إعتمدوا في معيشتهم بشكل خاص علي لحم الحيوان الذي توافر بأحجام كبيرة مثل "الماموث" (وهو حيوان يشبه الفيل إلا ان مظهر أكثر انحدارا من الفيل وإنثاه أكبر وحجمه أكبر ويكسو جسمه شعر كثيف وطويل يساعده علي

تحمل برودة الجو، وقد أنقرض هذا الحيوان ولم يبقي من سلالاته سوي الأفيال)، وكذلك الجاموس الوحشي والماشية البرية الضخمة والخيول الصغير نسبياً، والتي كانت موجودة بوفرة في تلك الأزمان.

وبالطبع تختلف أنواع الحيوانات التي تعتمد عليها كل جماعة في غذائها حسب الظروف البيئية التي تتواجد فيها تلك الأنواع من الحيوانات ولكن تشترك الجماعات البدائية التي تعيش علي القنص في أكل القنيصة بغض النظر عن قنصها، فلقد ارتبطت حياة الإنسان في المجتمعات البدائية بالحيوان تماماً بعد أن تدرج في جمع غذائه إلي صيد ما يقتات به وكانت مظاهر هذا الأرتباط واضحة فيما تركه من آثار فنيه سواء في تصاويره علي جدران الكهوف أو المأوي الصخرية أو علي أدواته المختلفة، حيث ظهرت المهارة والبراعة في رسم أتقن التفاصيل الخاصة بالحيوان كما صور رحلات الصيد وكذلك بعض الصور التي توضح مصارع بعض الصيادين وتنكرهم عند إقتفاء أثر الحيوانات.

وظل الحال علي ما هو عليه حتي ظهرت الزراعة واتخذت حرفة إلي جانب الصيد أول الأمر ثم أصبحت هي محور الحياة وهكذا تغير ذلك الأسلوب غير المستقر الذي كان يعيش فيه القناصة والذي ساد العصر الحجري القديم وحل محلة إسلوب أخر خلال العصر الحجري الحديث أساسه تلك الرابطة التي تربط بين الزراعة وسكنه وبذلك خرج الاقتصاد، عن مرحلته البدائية القربيةالتي كان يحياها الصيادون إلي مرحلة تعاونية فرضتها طبيعة البيئة التي يعيشها الرعاة والزراع وكان لهذا الاستقرار أثره علي التدرج في البيئة الاقتصادية حيث عرفت المجتمعات البدائية والزراعية

وتربية الحيوانات وتدجينها (استأنسها) بالإضافة إلي ذلك عرفوا بعض الصناعات مثل صناعة الأواني الفخارية والنسيج حيث وجدت آثار فخار ونسيج في قري العصر الحجري الحديث في وقت مبكر نسبياً كما ظهرت آلات أكثر تطوراً وظهرت الآت للزراعة.

وعليه فتنوع الفنون البدلية تبعاً لإختلاف نوع بالحياة الاقتصادية التي يحياها المجتمع فلو أعتمد الكيان الاقتصادي علي الصيد لكان الحيوان هو محور للحياة وموضوعها الأساسي للفنون بينما تصبح في المجتمع الزراعي الأرض والأنهار أو الأمطار هي الموضوع الأساسي لأفراد المجتمع وفنانيه وبالتبعية يتضح آثر أنعكاس العامل الاقتصادي المتواجد في العصر البدائي علي فنانيه في شتي الصور الفنية.

النظريات المفسرة للفن البدائي

تمهيد :

اكتشفت آثار فن ما قبل التاريخ لأول مرة عن طريق الصدفة في أسبانيا أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك الاكتشاف بمثابة الصاعقة لباحثين الآثار حينذاك، فأمام جداريات فنية حقيقية كالتي اكتشفت بكهف ألتاميرا Altomira سنة ١٨٧٩ من طرق طفلة ذات الخمس سنوات كانت ترافق أباها وهو مزارع مولع بالبحث في الآثار يدعي "ساوتيولا" Marcelinosavtvola والذي أعلن اكتشافه هذا سنة ١٨٨٠ ولم يتلق سوي لازدراء واستخفاف العلماء والسبب هو أن الأمر كان يبدو شيئاً غير منسجم مع ما تصوروه عن عقلية ومعارف أولئك البدائيين.

وقبل أن يعترف العلماء بتواجد شيء أسمه قبل التاريخ، استهزئ الكثير منهم فمن حاول التنبيه إلى أهمية تلك الاكتشافات، بل ومنهم من نعتهم بالاحتيال والغش كما حدث مع "ساوتيولا" الذي أمضى بقية حياته محاولاً جلب الاهتمام إليها، ولم يرد الاعتبار إلى اكتشافه إلا بعد عشرين سنة من وفاته أو خوان فيلا نوفا Juanvilanovo الشاب الجولوجي الذي حاول الدفاع عن ملف "ساوتيولا" دون جدوي إلىحين اكتشاف كهف لاموث Lamothe سنة ١٨٩٥، ثم توالت الاكتشافات في أوروبا وخصوصاً في فرنسا ثم في ستينات القرن العشرين بشمال أفريقيا ككهوف تاسيلي بليبيا والجزائر بالصحراء الكبري وتشاد وتانزانيا .. وغيرها .

وعلى أثر اكتشاف كهوف لاسكو Lascaux بفرنسا عام ١٩٤٥ تسني الوقوف على أقدم الآثار المكتشفة حتي ذلك فبادر علماء الآثار إلى وضع تسلسل تاريخي على ضوء ما تواجد لديهم من المعلومات كما أنبثقت عن ذلك العديد من النظريات لتفسير الفن البدائي، وأهمها خمس نظريات تتمثل في :

١– نظرية الفن لأجل الفن .

٢–نظرية الطوطمية .

٣– نظرية القدرة السحرية .

٤– النظرية البنيوية.

٥– النظرية الشامانية .

١- نظرية الفن لأجل الفن :

وهي تصور للفنان البدائي كمحب للجمال وأن همه كان اقتفاء الحسن والمتعة، وربما كان وراء هذا التصور ما تحقق بأعمال الفنان البدائي من

معالجات تشكيلية لتراك الأشكال وحلول ملء الفراغات وصياغات مبتكرة وتحقق السيادة والتنوع والإيقاع والاتزان مما أضفي قيماً وأبعاداً جمالية لتلك الرسوم البدائية، ولكن تواجد هذه الرسوم في جحور مظلمة وعلى بعد مئات الأقدام من مداخل المغارات يجعل تصور رسم تلك الجداريات لهدف تزيني وزخرفة جمالية أمراً باهتاً (كما ذكرنا ذلك فيما سبق بالأغراض التي دفعت الإنسان الأول لإنتاج الفنون البدائية).

٢- نظرية القدرة السحرية :

وتفترض أن تمثيلات الحيوانات أو مشاهد الصيد كانت كفيلة بمساعدة إنسان الكهوف في البحث عن قوته وذلك لظنه أنه من خلال قدرة خارقة بالصور يستطيع أن يطرد الأرواح الخبيثة ويضمن بذلك صيداً وفيراً إلا أن هذا الافتراض لا ينطبق على تواجد العديد من تمثيلات لحيوانات وعناصر وأشكال .

٣- نظرية الطوطمية: Totemism

الطوطم هو كائن حي يكون على شكل حيوان أو نبات أو يشكل جزءاً من حيوان أو نبات، وهو كائن طبيعي أو ظاهرة طبيعية أو رمز لهذه الأشياء يمثل الصفات المميزة لجماعة بشرية أو جماعات بشرية تعيش في مجتمع معين.

أخذت كلمة "طوطم" عن الأوجيبوا، وهي لغة يتحدث بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، وقد أدخلها إلى الغرب ج. لونغ عام ١٧٩١، لكن استخدامها الأنثروبولوجي يعود إلى ف. – ج. ماك لينان (١٨٦٩ – ١٨٧٠).

يستخدم الأوجيبوا كلمة "طوطم" بمعنى علاقة محض اجتماعية (قرابة أو صداقية) قائمة بين شخصين. هناك بعض جماعات من الأوجيبوا تنتظم في عشائر أبوية النسب وخارجية للزواج، وتتخذ كل عشيرة لقباً مستمداً من إحدى فصائل الحيوان.

وتستخدم العبارة أحياناً للدلالة على الانتماء العشائري (مثل الدب هو عشيرتي)، إلا أن هذه العبارة تمثل اختصاراً لما يغطيه المعنى التالي: "إنني ذو قرابة مع كل من ينتمي إلى العشيرة التي تتخذ لقب الدب، وبهذا فإني أنتمي إلى هذه العشيرة."

وتفترض النظرية الطوطمية إنّ قرابة صورة الإنسان من صورة الحيوان (كجسد وروح) جعل الإنسان يحسّ من نفسه في نفس الحيوان. فكثرت تخيّلات انتقال النّفس بعد الموت إلى حيوان أو إلى إنسان آخر. ومن ثمّ نشأ تشخيص نفس العائلة في كائن حيوانيّ أو نباتيّ وهو الطّوطميّة Totemismus. فاختصّت كلّ عشيرة لنفسها بحيوان – وهو الأكثر – أو نبات أو جبل معيّن تعرف به. وفي المثال الأخير نجد اتّجاهاً نحو الإقامة. ومن نزول عدّة عشائر لطواطم مختلفة في بقعة واحدة ينشأ الطّوطم المكانيّ الّذي يجمعهم جميعاً ويخضع له كلّ واحد منهم.

وقد أخذ علماء الانثروبولوجيا في استعمال اصطلاح طوطمية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين خصوصاً بعدما طرحوا مجموعة استفسارات أكاديمية تتعلق به وحاولوا الإجابة عليها. والسؤال الذي طرحه علماء الانثروبولوجيا عن موضوع الطوطمية هو لماذا فكرت الجماعات الاجتماعية بالكائنات الطبيعية؟ وبعد طرح هذا السؤال حاول العديد من

العلماء مثل فريزر، بلدوين، سبنسر، وريفرز الاجابة عليه، إلا أن إجاباتهم كانت تطغى عليها الصبغة التاريخية.

لكن الطوطمية تظهر في مجتمعات تتميز بصفات معينة مثل وجود نظام الزواج الخارجي (Exogamy) بين الجماعات والقبائل الطوطمية، تحريم قتل أو أكل طوطم الجماعة أي الوثن الذي تعبده الجماعة وتتخذه رمزاً لها، استعمال الشعارات الطوطمية وهكذا. أن جميع هذه الصفات تميز المجتمعات الطوطمية وهذا ما يسبب صعوبة تعريف معنى الطوطمية. غير أن الطوطمية يمكن تعريفها بأنها مؤسسة مستقلة لها صفات جوهرية خاصة بها وكثرة هذه الصفات سببت مشاكل كثيرة في تحديد معناها الحقيقي.

وتعد الطوطمية أحد أقدم أشكال الديانات في المجتمع المشاعي البدائي ،والسمة الأساسية للطوطمية هي الاعتقاد بوجود أصل مشترك وعلاقة ورابطة بين مجموعة من الناس ونوع محدد من الحيوان أو الأشياء أو الظواهر. وقد ارتبط ظهور الطوطمية بالاقتصاد البدائي (الصيد وجني الفاكهة، الخ)، ونقص المعرفة بالروابط الأخرى في المجتمع إلى جانب قرابة الدم .

والمفهوم البدائي للطوطم هو السلف الحيواني وصورته أو رمزه، وأيضا مجموعة من الناس. والطوطم – الحامي القوي للناس – هو الذي يمدهم بالطعام. والطوطمية منتشرة بين القبائل الأصلية في استراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأفريقيا.

وهكذا نجد أن الأفكار الانسانية القديمة اجمعت على أتخاذ الطوطم رمزاً للتقديس يستمر مع الحياة، لغرض أستمداد القوة والعون والتبرك منه،

وكايرث تحرص الثقافة على المحافظة عليه، وقد درجت العديد من التكوينات الانسانية على ذلك، كأن يتم تقديس الجد الاعلى او رمز معين وجعله طوطماً خاصاً لتلك المجموعة او تقديس شيء معين قد نسجت هذه التكوينات خيالاً حوله بما يعود عليها بالفائدة.

عندما نسمع عن الطوطم قد نعتقد بأن ذلك التكوين قد تلاشى بتلاشي العقليات القديمة، ولم يعد يتلائم مع العقلانية والعلمانية والعولمة والحداثة وما بعدها وغيرها، وربما بعض من هذا التفكير صحيح، فالتلاشي قد تم فقط في عدم تداول مصطلح الطوطمية على الاغلب، الا ان علماء الاجتماع المعصريين يروا أن الطوطم حاضر ومتواجد ومتأصل في كثيراً من مناحي حياتنا، بل هو الدافع الى كثير من امور حياتنا ومسير لها ايضا.

٤- النظرية البنيوية : Structuralism

تعد النظرية البنيوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يــذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكــر المحلــل أو عقيدته الخاصة ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هــي الوثيقــة، فالبنيــة، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجسوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبــة عنهــا، وإن الانفعــال أو الأحكــام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجــل مضــمونه وسـياقه وترابطــه العضوي، والبنيوية، بهذه المثابة، تجد أساسها في الفلسفة الوضــعية لــدى كونت، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، ومن هنا كانت خطورتها.

فهي تؤمن بالظاهرة – كبنية – منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها.. وتسعى لتحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وذلك لفهمها وإدراكها.. ومن هنا كانت أحكامها شكلية كما يقول منتقدوها، ولذا فإن البنيوية تقوم على فلسفة غير مقبولة من وجهة نظر تصورنا الفكري والعقدي.

وتعد الفلسفة الوضعية لدى كونت، التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية – التي تقوم على الوقائع التجريبية – الأساس الفكري والعقدي عند البنيوية.

إن دراسة أي ظاهرة أو تحليلها من الوجهة البنيوية. يعني أن يباشر الدارس أو المحلل وضعها بحيثياتها وتفاصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية بها وكل ظاهرة – تبعاً للنظرية البنيوية – يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية.. وهكذا.

تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادىء عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية:

- السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.
- القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ التي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة.
- لئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون،

فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.

إن البنيوية لم تلتزم حدودها، وآنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان يخيل إلى البنيويين أن التفسير لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي كي تنفتح للمحلل والمفسر كل أبنية معانيه المبهمة أو المتوارية خلف نقاب السطح. في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصيّة كانت أم غير نصيّة. والأسس الفكرية والعقائدية التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية أو الظاهرة، إنسانية كانت أم مأدبية. =لم تهتم البنيوية بالأسس العَقَديَّة والفكرية لأي ظاهرة إنسانية أو أخلاقية أو اجتماعية، ومن هنا يمكن تصنيفها مع المناهج المادية الإلحادية، مثل مناهج الوضعية في البحث، وإن كانت هي بذاتها ليست عقيدة وإنما منهج وطريقة في البحث.

وتفترض هذه النظرية أن وراء الفوضى الظاهرة في الفن البدائي برسوم الكهوف يوجد نسق وبنية يمكن إظهارها بالإحصاء فقد أكد الباحثون والمنظرون إلى أن هناك بنية للكهف في مجمله بتمثيلات مدخله وتكوينه الداخلي وتنظيم الجدارية بتشكيلات مركزية وأخري محيطة وخصوصاً ازدواجية أساسية ذكر/أنثي. والمتمثلة بالزوج الرمزي "بيزون (الثور البري) / حصان"، ولقد استرسل الكثير من الوقت دون أن يتم استنتاج بداهة البنية تلك.

٥- نظرية الشامانية: Shamanism

وتعتبر هذه النظرية الكهف مكان اجتياز بين عالم البشر والعالم الموازي، وبهذا المعنى يكون الكهف بمثابة المحراب الذي يقوم فيه "الشامان" بالدخول في "حضرة" أو "حلم" لأجل إنعاش الانسجام بين الإنسان والطبيعة، وبذلك تذهب هذه النظرية التي تضفي بعداً روحانياً على فن الكهوف إلى أن تلك التخيلات تخلق محيطاً عجيباً أشبه منه بالديني.

ففي المفاهيم المتقدمة لإنسان بدائي كان عالَم الروح يُعتبر في النتيجة ككونه غير متجاوب للبشري العادي، فقط الاستثنائي بين الإنسانيين يمكن سماعه بأُذن الآلهة؛ فقط للرجل أو المرأة الزائدة عن الاعتيادي سيُسمعون بالأرواح، بهذا دخل الدين على طور جديد. مرحلة أصبح فيها تدريجياً ذات وسيط. دائماً طبيب دجال. أو شامان. أو كاهن تداخل بين المتدينين وغرض العبادة.

يولد الدين التطوري من الخوف البسيط والكلي القدرة، الخوف الذي يجيش خلال العقل الإنساني عندما يواجَه بغير المعروف، وغير المُفسَّر، وغير المستوعَب. في النتيجة يُنجز الدين الإدراك البسيط بتعمق لمحبة كلية القدرة. المحبة التي تجرف بدون مقاومة خلال النفس الإنسانية عندما توقظ إلى مفهوم الود الغير محدود للأب الشامل من أجل أبناء الكون. لكن فيما بين بداية وإتمام التطور الديني، هناك تتداخل العصور الطويلة للشامانيين. الذين يزعمون ليقفوا بين الإنسان والله كوسطاء، ومُفسّرين، وشفعاء.

أول الشامانيين ـ الأطباء الدجالون

كان الشامان الطبيب الدجال البارز، والشخصية البؤرة من أجل كل الممارسات لدين تطوري، وفي جماعات كثيرة كانت رتبة الشامان أعلى من الرئيس الحربي (مُعْلم بداية سيطرة المؤسسة الدينية على الدولـــة) وعمـــل الشامان أحياناً ككاهن وحتى ككاهن – ملك. بعض من القبائل فيما بعد كان لديها كِلا شامان ـــ الأطباء الدجالين والشامانيين-الكهنة الظاهرين فيما بعد. وفي حالات كثيرة أصبحت وظيفة الشامان وراثية.

حيث إن في أزمنة قديمة كان أي شيء مخالف للمألوف يُعزى إلى امتلاك روحي، ألـِّـف أي شذوذ جسماني أو عقلي يلفت الأنظار تأهيلاً من أجل كونه طبيب دجال، وكان كثيرون من أولئك الرجال مصابين بالصرع، وكثيرات من النساء هستيريات. وهذان الشكلان حُسبا من أجل مقدار كبيـــر من الإلهام القديم وكان عدد غير قليل من أبكر أولئك الكهنة مـــن الصـــنف الذي سُمِّي منذ ذاك مهووس (أو مشعوذ).

وربما قد مارسوا خداعاً في أمور صغرى، الأكثرية الكبيـــرة مـــن الشامانيين اعتقدوا في واقع تملكهم الروحي. النساء اللواتي كـــن قـــادرات لرمي ذاتهن نحو سبات أو نوبة جمادية أصبحن شامانيات قديرات؛ فيما بعد، أصبحت كذا نسوة نبيات ووسيطات روحيات. شمل سباتهن الجمادي عادة مخابرات مزعومة مع أشباح الموتى.

لكن ليس كل الشامانيين كانوا مخدوعين بالذات؛ كثيرون كانوا ماكرين وشاغلي حيل قديرين، فحينما نشأت المهنة، كان مُتطلب من المتمرن ليخدم مدة تمرين لعشر سنوات من القسوة وإنكار الذات ليتأهل كطبيـــب دجـــال، أنشـــأ الشامانيون أسلوباً مهنياً من اللباس وأثـّـروا تصرفاً غامضاً، وظفـــوا تكـــراراً

عقاقير من أجل تسبيب حالات فيزيائية معينة ستؤثر على رجال القبيلة وتحيرهم، كانت براعة خفيفة اليد تُعتبَر كفائقة عن الطبيعي بالقوم العاميين، كان التكلم من أقصى الجوف يُستعمل أولاً بكهنة ماكرين.

لقد كانت الشامانية التي أخذت التوجيه الكلي للشؤون القبائلية من أيدي الشيخ والقوي ووضعتها في أيدي الماكر، والشاطر، والبعيد النظر.

ممارسات شامانية

كانت مناشدة الروح إجراء دقيقاً جداً ومُعقداً بكثرة، نشد جنس الإنسان باكر جداً من أجل مساعدة فائقة عن الإنساني، من أجل وحي؛ واعتقد الناس بأن الشامان استلم فعلياً تلك الكشوف. بينما استعمل الشامانيون القدرة العظيمة للإيحاء في عملهم، لقد كان بلا تغيير (إيحاء سلبي) بدأ الشامانيون في النشوء الباكر لمهنتهم ليتخصصوا في عدة حِرَف كصنع مطر، وشفاء مرض، وكشف جريمة. ولم يكن شفاء الأمراض عموماً فالعمل الرئيسي لطبيب دجال شاماني كان بالأحرى، للمعرفة والتحكم بمخاطر المعيشة.

وضع الأطباء الدجالون ثقة كبيرة في الإشارات والتفاؤلات، وكان التنجيم البدائي اعتقاداً وممارسة يعمان العالَم؛ كذلك صار تفسير الأحلام واسع الانتشار، تُبع كل هذا قريباً بظهور أولئك الشامانيين المزاجيين الذين ادّعوا ليكونوا قادرين للتخابر مع أرواح الموتى.

ولو من أصل قديم، استمر صانعو المطر، أو شامانيو الطقس، نزولاً خلال العصور. الجفاف الشديد عنى موت للمزارعين المبكرين؛ كان التحكم بالطقس الغرض لكثير من السحر القديم. لا يزال الإنسان المتمدن

يجعل الطقس موضوع عام للمحادثة. اعتقدت الشعوب القديمة كلهـا فـي قدرة الشامان كصانع مطر, لكن كانت العادة لقتله عندما يفشل, إلا إذا تمكن لتقديم عذر معقول للحساب من أجل الفشل.

اعتبر الإنسان البدائي الشامان كشرٍ لازم؛ خافه لكنه لم يحبه، فكان الشامان غالباً دجالاً, لكن توقير الشامانية يصور حسناً للقسط الذي دُفع على الحكمة في تطور الشعب.

النظرية الشامانية عن مرض وموت

حيث إن الإنسان القديم اعتبر ذاته وبيئته المادية ككائنـة متجاوبـة مباشرة لنزوات الأشباح وأهواء الأرواح, إنه ليس غريباً بأن دينه يجب أن يكون مهتماً كلياً بشؤون مادية. يهاجم الإنسان الحـديث مشـاكله الماديـة مباشرة؛ يتعرف بأن المادة متجاوبة إلى المعالجة الذكية للعقـل. بالمماثلـة رغب الإنسان البدائي لتكييف حياة وطاقات المجـالات الفيزيائيـة وحتـى ليتحكم بها؛ وحيث إن استيعابه المحدود للفلك أدّى به للاعتقاد بأن أشـباح, وأرواح, وآلهة مهتمين شخصياً ومباشرة بالتحكم التفصيلي لحياة ومادة, هو منطقياً وجّه جهوده لكسب حظوة ودعم تلك الوكالات الفائقة عن البشري.

في ضوء هذا يمكن فهم الكثير من غير المُفَسَّر والغير معقول فـي طقوس القدماء. فقد كانت احتفالات الطقس محاولة إنسان بدائي للتحكم فـي العالَم المادي الذي فيه وجد ذاته. وكان الكثير من جهوده موجهة إلى الغاية لإطالة الحياة وتأمين الصحة. حيث إن كل الأمراض والموت ذاتـه كانـت تـُعتبَر في الأساس كظاهرات روحية, لقد كان لا بد بأن الشامانيين، يعملون كأطباء دجالين وكهنة.

قد يكون العقل البدائي معاقاً بنقص الحقائق، لكنه من أجل كل ذلك منطقي، فعندما يلاحظ رجال مفكرون مرضاً وموت، فهم يشرعون لتقرير أسباب تلك الاعتقادات. وفي مطابقة مع فهمهم لذا طرح الشامانيون والعلماء النظريات التالية لتفسير هذه المحنة:

١. **أشباح ــ تأثيرات روح مباشرة.** تقدمت الافتراضات البدائية في تفسير لمرض وموت بأن الأرواح سببت مرض بإغراء النفْس إلى خارج الجسم؛ إذا فشلت لترجع، نشأ الموت، فخاف القدماء للغاية العمل المؤذي من أشباح مُنتجة لمرض بحيث الأفراد المرضى غالباً سيُهجَرون بدون طعام أو ماء، بدون اعتبار للأساس الخاطئ لتلك المعتقدات، عزلوا بفعالية الأفراد المصابين ومنعوا الانتشار لمرض مُعدي.

٢. **عُنف ــ أسباب واضحة.** كانت أسباب بعض الحوادث والميتات سهلة للغاية للتعرف عليها بحيث نُقلت باكراً من فصيلة عمل الشبح. كانت ضحايا وجروح ملازمة عند الحرب، ومقاتلة حيوان، وأحداث أخرى مُتعرف عليها حاضراً تُعتبر كأحداث طبيعية. لكن لقد كان يُعتقد طويلاً بأن الأرواح لا تزال مسؤولة عن تأخير شفاء أو عن فساد جروح حتى لمسببات "طبيعية".

٣. **سحر ــ تأثير الأعداء.** كانت أمراض كثيرة يعتقد بأنها مُسببة بسحر عقل، وعمل العين الشريرة وخطر لإشارة إصبع على أي شخص فلا يزال يُعتبر سلوك سيئ للإشارة بالإصبع، ويمكن أن يتسبب في حالات من مرض وموت ولذا وجب القيام بإعدام الساحر المسؤول عن ذلك. ولقد كان يُعتقد بين البعض بأن رجل قبيلة يمكن أن يموت كنتيجة لسحره الخاص.

٤. **خطيئة– قصاص من اجل مخالفة مُحَرّم.** لقد كان يُعتقد في أزمنة حديثة بالمقارنة بأن المرض قصاص من أجل خطيئة شخصية أو عنصرية، بين شعوب يجتازون هذا المستوى من التطور النظرية سائدة بأن المرء لا يُمكن أن يُبتلى إلا إذا خالف مُحَرّم. لاعتبار المرض والعذاب "كسهام القدير داخلهم" مثال لتلك المعتقدات، اعتبر الصينيون وسكان بلاد ما بين النهرين طويلاً المرض كنتيجة لعمل عفاريت شريرة، على أن الكلدانيين تطلعوا كذلك على النجوم كمسبب العذاب.

ومصطلح الشامانية استخدم في البداية بوصف شعوب سيبيريا ثم أصبح يشمل المعتقدات والممارسات ذات الأساس المشترك التي وجدت قديماً (واستمر بعضها لدي بعض الشعوب البدائية الحالية) والمنتشرة بين شعوب عديدة في العالم، ويمكننا أن نفسر هذه النظرية وذلك المصطلح وتلك الممارسات من خلال تناول ثلاث خصائص أساسية لهذه المعتقدات الشامانية والتي كان لها أثرها في الفن البدائي وظهرت هذه الآثار بالرسوم على جدران الكهوف الصخرية وهي :

خصائص المعتقدات الشمانانية:-

١– الاعتقاد بوجود كون متعدد الطبقات يضم عدة عوالم :

وهذه الطبقات أما فوق بعضها أو موازية لبعضها وطبقاً لهذا المعتقد فإن ما يحدث في عالمنا، (العالم الذي نعيش فيه) يتأثر بشكل مباشر بتأثير قوى تعيش في أي من العوالم الأخري.

٢– الاعتقاد بأن أفراداً معينين يستطيعون في ظروف معينة الاتصال بشكل مباشر بالعالم الآخر أو بهذه العوالم الأخري :

وبهذه الطريقة يؤثرون على الأحداث في عالمنا وهما عامة يفعلون ذلك لأسباب عملية مثل شفاء مريض أو خلق ظروف جيدة للصيد أو استنزال المطر على المناطق الجافة، أو في حالات نادرة لأغراض شريرة.

٣- الاعتقاد بأن الاتصال بالعالم الأخر يتم مباشرة، في اتجاه أو آخر، من خلال زيارة من الأرواح المساعدة :

وإن هذه الأرواح المساعدة كثيراً ما تكون في شكل حيوان والذي يأتي نحو الشامان، أو الذي يذهب نحوه الشامان .

وتكون هذه الفرصة في كثير من الأحيان للتعرف بين الشامان والروح أو الاعتقاد بالتحول الكامل أو الجزئي للرجل إلى حيوان، وإذا ما كانت الروح المساعدة للشامان هي دب رمادي اللون، فإن التعرف بين الإنسان والدب الرمادي يكون كاملاً ويستطيع الشامان أيضاً أن يرسل روحه إلى العالم الآخر لمقابلة الأرواح والحصول على حمايتهم ومساعدتهم وذلك بالاستغراق في غيبوبة، ويتم ذلك أحياناً في حفل جماعي، وأحياناً أخرى وهو بمفرده.

ويرى علماء الأعراف أن الشامانية كثيراً ما توجد في المجتمعات التي تسود فيها المساواة والتي تكون عادة من القناصة الجامعين رغم أن مجتمعات القناصة الجامعين ليست جميعها شامانية كما أن هذه المجتمعات ليست هي المجتمعات الوحيدة التي توجد فيها الممارسات الشامانية .

وحقيقة وجود الشامانية في كل أنحاء العالم لا ترجع بالطبع إلى الاتصال المباشر أو غير المباشر بين الشعوب البعيدة عن بعضها إن السبب الجوهري قد يرجع على الأقل جزئياً إلى الضرورة الحتمية لعقلنة واستخدام

الحالات المتغيرة للوعي، التي هي جزء من الجهاز العصبي الإنساني والتي تظهر في شكل أو آخر في كل مجتمع.

وهذا لا يعني أنهم بالضرورة يسجلون رؤاهم على الصخر ولكنهم فعلوا ذلك في بعض الأحوال بل والأكثر من ذلك أن المادة العرقية التي جمعها الباحثون في العقود الأخيرة تكشف عن العديد من أوجه الشبه في الطرق التي يفكر ويتصرف بها أصحاب الرؤى وترجع نقط الالتقاء هذه إلى حقيقة أن فن الصخر هو تجسيد لمعتقدات أساسية أو إطارات للمفاهيم المتشابهة وترتبط هذه بالمواقع التي صنع فيها الفن والموضوعات المصورة، وأسباب هذا الشكل من الفن والمأوي الصخرية المزينة كثيراً ما تعتبر "أبواباً" تؤدي للأتجاهين فيما بين العالم الحقيقي والعالم الأخر وتستطيع الأرواح أن تخرج منها ومن الممكن المرور من خلالها إلى العالم الآخر ومقابلة الأرواح ومثل هذه الأماكن ملائمة لتجربة الرؤى وأي شخص يريد أن يزوره روح مساعد ، أو أن يدخل في عالم الأرواح بالاستغراق في غيبوبة، سيذهب بمفرده إلى أسفل الحوائط المزينة ليكون في عزلة التي تشجع هذه المقابلات.

وعندما ندخل في هذا العالم الآخر سواء كان أدنى من عالمنا أو موازياً له فإننا نفعل ذلك من خلال نفق تحميه حيوانات حارسة وكانت هذه الحيوانات في كاليفورنيا دببة أو حيات مجنحة.

لقد كانت الصور ذاتها محملة بالقوة - كانت ترسم كل منها فوق الأخري على نفس الحوائط وكل عمل جديد يستمد مما قبله، ويضيف على القوة المتراكمة من تلك المرسومة تحته، وهناك موضوعات معينة سائدة تتكرر وتختلف من منطقة لمنطقة في جبال "دراكسبرج" في جنوب أفريقيا

تسود الظباء الأفريقية وفي جبال "كوزو" في وسط كاليفورنيا، الخراف ذات القرون الكبيرة هي الحيوانات الغالبة على الرسومات نظراً لأنها مرتبطة بالمطر، وكان المطر حيوي بالنسبة لهذه المنطقة الصحراوية هذه الملامح المحلية المتباينة تصور خيارات ومعتقدات أولئك الذين خلقوا هذا الفن واستخدموه، كما تظهر أشكال جزء منها إنساني وجزء حيواني، وهذه الكائنات ترى أثناء الرحلة الشامانية أو كنتيجة لتحول الشامان وكان الغرض من فن الصخر في أحوال كثيرة هو تصوير الرؤى بعد المرور بهذه التجربة

ويرى بعض العلماء والباحثين ومنهم "دافيد ويتلي" (الذي درس فن الصخر في جنوب غرب الولايات المتحدة) أنه لو كان أصحاب الرؤى في "نيفادا وكاليفورنيا" لم يرسموا رؤاهم ففقدوها وماتوا نتيجة لذلك وفي حالات أخرى كانت رحلة الشامان فيما وراء الطبيعة تصور مجازياً فالموت على سبيل المثال كان المعنى المجازي للغيبوبة وفي جبال "كوزو" في كاليفورنيا كان قتل خروف ذي قرون كبيرة وهو حيوان المطر يعني أن الشامان سيذهب للعالم الأخر ليجلب المطر .

وفن الصخر كان يمكن أيضاً أن يصور شيئاً أخر خلاف رؤى الغيبوبة ويكون مرتبطاً برؤية شامانية للعالم فيقرر "دافيد ويتلي"، على سبيل المثال أنه حتى نهاية القرن الماضي كانت طقوس بلوغ الإناث تشمل عدة أيام من العزل وتعليمهن أسرار الأمومة والصوم وطقوس احتفالية مختلفة وتعاطي التبغ المحلي لاستثارة الهلوسة والتي تلتقي الفتيات خلالها بأرواح حيوانية تكون عادة الحيات المجلجة، وبعد ذلك يجرين إلى مأوى صخري مزين

بالرسوم الزيتية يسمي "بيت الشامان" ويرسمن أيديهن على حوائطه بالطلاء الأحمر سواء اليد ذاتها أو حدودها الخارجية (ويرتبط اللون الأحمر بالفتيات) ليبين أنهن قد لمسن ما وراء الطبيعة.

وقد أكد العلماء والباحثون في مجال الفنون البدائية ورسوم الكهوف وجود روابط بالشامانية بين صور فن الصخر التي انتجت بواسطة حضارات في أجزاء مختلفة من العالم، خاصة في كل من جنوب أفريقيا وفي أمريكا الشمالية والجنوبية بل وحتي من المحتمل أن الكثير من فن العصر الحجري الأوروبي أو "فن الكهوف" قد نشأت بالممارسات الشامانية.

وهذه الفرضية والتي ليست تفسيراً كاملاً أو وحيداً ولكن فقط إطاراً تفسيرياً مبنية على عدة ملاحظات فعلي مدي أكثر من ٢٠ ألف سنة كانت الكهوف العميقة تستخدم لا كمسكن ولكن للرسم. وأولئك الذين دخلوها إلى أعماق أعماقها وفي كل أنحاء العالم كان عالم تحت الأرض يعتبر عالماً آخر، هو عالم الأرواح والأموات وعلى ذلك فإن التغلغل في أعماق هذه الكهوف لم يكن بالتأكيد مجرد نوع من الاستكشاف فشعوب العصر الحجري كانت تعلم أنها في عالم الأرواح وكانت تتوقع مقابلة الأرواح في هذه الكهوف وكانت أضواء مصابيحهم الخافتة تعطي الحياة للحوائط وكانوا يرون أشكال الحيوانات عليها ونحن نعرف ذلك لأنهم كثيراً ما استخدموا البروز الطبيعي في الحوائط الموحي بشكل ما والذي كان يعمل كنوع من الستائر الشفافة بين هذا العالم والعالم الآخر وقد رسمت العديد من الأشكال أو حفرت حيث توجد شقوق أو فجوات أو فتحات في الحوائط كما لو كانت الحيوانات قد دخلت الكهوف أو خرجت منها في هذه الأماكن وبالإضافة إلى

ذلك يصف العديد من المتخصصين في دراسة المغارات والكهوف تأثير الكهوف الذي ينتج الهلوسة حيث يؤدي البرد والرطوبة والظلام وانعدام كل مؤثرات الحواس إلى تشجيع الهلوسة لذلك فإن الكهوف يمكن أن تقوم بدور مزدوج تساعد على إنتاج أحوال الوعي المتغيرة أي الرؤى والاتصال بالأرواح من خلال حائط الكهف.

وهكذا يبدو أنه من المرجح بدرجة كبيرة أن الكثير من فن العصر الحجري القديم قد أنتج في إطار من الشامانية وهذا لا يعني بالطبع أن كل صور هذا الفن هي نتيجة رؤى، أو أنها جميعاً تخدم نفس الغرض.

إن خيال وإبداع الإنسان بلا حدود والتفكير التقليدي ليس بسيطاً أبداً ونفس الشيء ينطبق على الفن في الهواء الطلق في العالم، فبعضه في أمريكا وفي أفريقيا ومن الجائز في أماكن أخرى نشأ بالتأكيد في إطار الممارسات الشامانية إلا أننا لا نستطيع أن نفرض هذا النموذج على كل فن الصخر في عصور ما قبل التاريخ بغض النظر عن سياقه العرقي، إن هذا يصبح له مبرر فقط بعد إجراء تحليل دقيق ونقدي لكل عناصر فن الصخر المقصود.

- المعالجات والسمات التشكيلية للفن البدائي :

سجل الفن البدائي بأشكال وألوان التقنيات والإبداعات المختلفة من رسم ونقش وحفر و نحت وتجسيم، استعملت في إعداد هيئات فنيه شتي من جداريات ضخمة إلي مجسمات صغير جداً مروراً بحلي وأسلحة ومصابيح، وقد استعمل الفنان البدائي مواد خام وابتكر وأدوات وصفات في إعداداته

الفنية المتنوعة، فلكي يرسم كان عليه أن يحصل علي مواد ملونة، ثم بعد ذلك كان عليه سحقها ثم خلطها بمواد سائلة مثبته، وكان عليه إعداد أدوات قاطعة لحفر وشق الحجر والعظم أو أخري لتحديد الشكل وطلي المواد الصابغة.

هذا ومما لا شك فيه أن وراء فعل الفن البدائي يكمن وعي بهذا الفن، ذلك ويظهر على أكثر من مستوي، من ناحية التقنية وما تتطلبه من إعداد للمواد الخام والأدوات واختياره السند الملائم واستغلاله لنتوءات أو تصدعات لإظهار نوع من البروز للهيئات التي مثلها كانت رسماً أم حفر. ثم على مستوي الأشكال التي عبر من خلالها عن مخيلته ولكي يعبر الإنسان عن مخيلته، لابد أن يكون واعياً بهذه المخيلة.

تكمن أهمية الفن البدائي في كونه الفعل الحضاري الوحيد الذي وصلنا حاملاً معطيات ثقافية تخص المجتمعات الإنسانية الغابرة، وهو لا يعطينا صورة عن محيط وبيئة تلك المجتمعات فحسب، بل يخول لنا وبقدر كبير تصور مفاهيم وطريقة الإنسان البدائي في تعامله مع تلك البيئة وذاك المحيط. فكل ما نشاهده من تمثيلات ورسوم ونقوش وحفر ونحت، إنما هي رموز، وكما يبين تاريخ الفن والأنثروبولوجيا، فإن أي تجسيم لا يطرح بالصدفة، فشكل حصان أو بيزون (ثور) ليس بالضرورة مرآة للشكل الواقعي بقدر ما هو مفهوم "تشكيلي" لما يمثله ذاك للحصان أو ذاك البيزون في بيئة معينة ألا وهي بيئة الإنسان البدائي أنه حدث ثقافي حضاري، نمط إبداعي تجلي في استغلال "المادة" و "الأداة" في حيز للتشكيل لأجل التعبير عن موطن الخيال، وبهذا المعني تشكل تلك المنجزات الشكل الوحيد الذي

وصل إلينا عاكساً "إيديولجية" اجتماعية خاصة بإنسان الكهوف ومن ثم دليلاً قاطعاً على عالمية الإبداع وإقناعاً على أن عمر هذا الإبداع من عمر الوعي الإنساني.

- موضوعات الفن البدائي:

صور إنسان الكهوف بيئته، وبالأخص الحيوانية منها كما شكل رموزاً وعلامات رمزية وتنقسم المواضيع التي تطرق إليها في الفن الجداري إلى ثلاثة أصناف:

١- **جماعات حيوانية** : وتشكل أغلب التمثيلات التي أبدعها فنان الكهوف وقد أخص بها الحيوانات التي كانت تحيط به وليس فقط تلك التي كان يصطادها أكثر وعلى العموم فمعظم هذه الحيوانات والأكثر شهرة وأحسنها إتقاناً وتنفيذاً الحيوانات آكلة العشب. هناك الحصان والبيزون ثم الماموث فالأيل، ونادراً ما رسمت حيوانات كالأسود والدببة، ونادراً جداً الأسماك والطيور، وفي بعض الأحيان شكلت أشياء تثير الدهشة بل وتثير تحفظ العلماء في الإعلام عنها كالرسم الذي يمثل أحد الديناصورات في مواجهة مع ماموث بكهف برنفال بفرنسا Bervifal ويلاحظ أنه قليلاً ما رسمت مشاهد مكتملة كقطعان في مشهد طبيعي مثلاً. كما يوجد بعدد جد ضئيل رسوم لحيوانات خيالية أو أخري خرافية نصف حيوان نصف إنسان مثلاً.

٢- **التمثيلات البشرية** : وهي جد قليلة ومن الملاحظ أن رسم الإنسان قد تم في الغالب بطريقة موجزة ودائماً بمرافقة حيوانات أو مختلطاً

بها، وما يمثل أكثر العنصر البشري من رسومات إنسان الكهوف رسم الأيادي عن طريق طليها بمادة صابغة ثم طبعها على السطح الجداري أو بوضع اليد على الجدار ثم رش سائل ملون من حولها عن طريق الفم للحصول على شكل سلبي لليد.

أعدت هذه الرسومات في أغلبها بتقنية عالية، توحي في عمومها لنمط معين يمكن أن يكون قد بلور قواعد في التكوين وتقنية المواد والأدوات المستعملة، تختلف حسب الحيز الجغرافي والزمني.

٣- **رموز وإشارات وعلامات**، نقط ، خطوط منحدرة أو مستقيمة أو عشوائية، أشكال هندسية أو تجريدية من دوائر ومستطيلات وتعرجات، غطت كل حقب من قبل التاريخ، رسمت أو نقشت أحياناً إلى جانب حيوانات، أو منفردة وتغطي أحياناً مساحات مهمة قد تصل إلى بعض المترات المربعة. وهناك العديد من الهيئات التجريدية من "رموز أفكار" Ideogramme قد تكرر تشكيليا بصفة جد متشابهة في أكثر من منطقة في العالم رغم فارق الزمن والمسافات وقد أهمل الفنان البدائي كل ما يتعلق بالبيئة النباتية لأسباب لا يمكن الإحاطة بها.

توظيف العناصر التشكيلية فى الفن البدائى:

فقد فرضت الطبيعة على الإنسان البدائي أن يستوحي من عناصرها أعمالاً فنية معبرة عن إحتياجاته. ولقد برزت عبقرية ذلك الفنان في توظيف تلك المفردات التشكيلية المتواجدة ببيئته لإنتاج صياغات وتكوينات فنية

رائعة أنتجت فناً يتمتع بسمات خاصة تميزه فنياً وتشكيلياً وتستحق بجدارة أن تصبح موضوعاً للدراسة.

ولقد تمكن بعض العلماء والمؤرخين من معايشة تلك السمات الخاصة بالفنون البدائية وأبرز مهارة الفنان البدائي في توظيف العناصر التشكيلية من نقطة، خط، شكل ..... الخ، تحت أسس فنية خاصة، وفيما يلي عرض لهذه العناصر.

١- **النقطة** : كانت من أهم عناصر التشكيل التي إستخدمها الفنان البدائي في رسم أعماله الفنية فعن طريق تجاور النقط نشأ الخط كذلك صاغ ذلك الفنان من النقط أساليب فنية متعددة منها تنقيط الشكل المراد كلية كما إستطاع أن يبرز بالتجسيم والظل والنور عن طريق التأكد على كثافة اللون من خلال تجاور العديد من النقط.

٢- **الخط** : إستطاع الفنان البدائي أن يوظف الخط للحصول على أشكال بسيطة معطياً التأثير التعبير عن طريق نوعيات الخطوط المختلفة كالخط المستقيم، المنحني كما لجأ إلى الخط المستمر والخط المتقطع الذي يجعل المشاهد في حالة تشوق وإستنتاج لما يعبر عنه ذلك الخط وبرزت تلك الأعمال الخطية على جدران الكهوف إما بأسلوب الحفر أو باللون أو بالحفر ثم تلوين ذلك الحفر، وتعد خطوط الأشكال المحرفة، الخطوط المتعرجة، الخطوط الحلزونية من أشهر وأروع الخطوط التي ميزت الفنان البدائي.

أ – خطوط الأشكال المحرفة أو رسوم التكتيفورم : Tactiform :

هي خطوط ازدهرت في العصر الحجري القديم وكانت ترسم في المنحنيات العميقة الحالكة الظلام، ويتكون هذا النوع من الخطوط من رسوم مضلعة مستديرة ذات خطوط متوازية مستقيمة أو متعرجة وبها زوايا ونقط، ويرجع البعض أن هذه الرسوم كانت تمثل المصايد أو الأفخاخ التي كانوا يستعملونها أو هي وسيلة أو تميمة سحرية يسحر بها الصياد فريسته ويوقعها في قبضته ولقد تمكن الفنان البدائي من خلال تلك الخطوط أن ينتج أو يبدع تكويناً رائعاً يتميز بالإيقاع الحركي المتمثل في حركة للخطوط المتعرجة أسفل اللوحة أو من خلال مجموعة الخطوط المتوازية في أعلى اللوحة.

كذلك نجد الفنان قد حاول الهروب من الفراغ عن طريق ملء للمساحات بنوعيات مختلفة من الخطوط منها ما هو متقاطع ومنها ما هو مستقل بذاته كوحدة مستقلة وبذلك نراه قد حقق عنصر السيادة بطريقة فطرية من خلال تشابك الخطوط في المجموعة العليا في اللوحة بما فيها من خطوط متشابكة ومكثفة تجذب عين الرائي لها، ثم حاول شد انتباه المتفرج وإراحة عينه عن طريق فرد نوعيات أخري من الخطوط في النصف الأسفل.

ب – الخطوط المتعرجة أو خطوط ماكروني "Macaroni Lines" :

هي خطوط يعدها بعض العلماء والمؤرخين لأول مظاهر الفن التصويري حيث بدأت كرسومات محفورة أو مرسومة ويصنفها العلماء من أولي مراحل الكتابات التصويرية للإنسان، والخطوط المتعرجة ذات أشكال حلزونية متقاطعة أو غير متقاطعة ولقد أصطلح على تسميتها "ميكروني"

وأحياناً باسم "أرابيسك" لتشابه أشكالها مع أشكال بعض الفنون الزخرفية العربية.

ويظهر في الشكل الإحساس بالتماثل والتناسب والذي ظهر جلياً في تلك الأعمال بالإضافة إلى الاتزان، كما كان للأشكال الحلزونية والدائرية الفضل في الإحساس بالحركة الدائرية.

جـ - الخطوط الحلزونية :

تعد الحلزونيات من أهم السمات الفنية في الفن البدائي وقد ظهرت نتيجة لمعايشة الفنان الصادقة لبيئته حيث أكتسب من صنع الأواني الخزفية بلفاتها الطينية الدائرية وكذلك من لفه للجدائل المستخدمة في صنع السلال مصدراً خصباً للإستلهام فبرزت خطوطه الحلزونية وربما جاءت تلك الخطوط من مجرد ملاحظة الفنان للأشكال الطبيعية مثل القواقع الحلزونية أو بعض النباتات المتسلقة أو من أشكال بعض الحيوانات والطيور ومن الملاحظ بشكل عام أن الحلزونيات في الفن البدائي متساوية البعد عن نقطة معينة في المركز.

والحلزونيات البدائي قد تكون متصلة وتعطي شكل حرف، وإذا كانت في مساحة ضيقة يكمل الشكل سلسلة من الخطوط متساوية الطول وأحياناً تستكمل المناطق الخالية بين الحلزونيات بأشكال حلزونية أخري.

كما توجد حلزونيات متساوية العرض خلال مسارها كله. والحلزونيات رسمت مزدوجة في بعض الأحيان وبصورة واسعة وعريضة ومفردة عادة ولكن لا تتعانق مع بعضها، وفي المساحات الموجودة خارج هذه

الحلزونيات توجد زخارف على شكل محاليف نباتية أو زخرفة دائرية بشرط الحفاظ على وجود الخلفية مفككة وتحتفظ تقريباً للشكل العام بنفس العرض الذي يشغله الحلزون وقد تأخذ الخطوط الخاصة بالحلزونيات البدائية أشكال حيوانية والطيور.

كما جاءت الحلزونيات بخطوطها المحنية العفوية والتلقائية بدون تماثل محققاً قيمة الاتزان من خلال توزيع الخطوط المنحنية فظهرت الخطوط المنحنية الدائرية والمتعرجة بشكل تلقائي وفطري.

د – الخطوط الهندسية :

ظل الأسلوب المطابق للطبيعة سائداً حتي نهاية العصر الحجري القديم ومع الانتقال إلى العصر الحجري الحديث فضل الفنان البدائي عدم محاكاة الطبيعة وسرد تفاصيلها فلجأ إلى العلامات الرمزية أو الاصطلاحية، وأصبحت الأشكال الهندسية هي أساس الرسوم الزخرفية وبرزت من تلك الأشكال الشرائط الزجزاجية، أو الحلزونيات والمثلثات بأنواعها.

٣ – الشكل :

يعد الشكل من أكثر العناصر التشكيلية إمتاعاً وأهمية وكثيراً ما يتوالد الشكل عند استخدام الخط لتحديد مساحة فيخلق شكلاً، وقد نتعرف على الشكل من خلال اختلافات الألوان أو القيمة أو الملمس بين الشكل والمساحة التي حوله.

وللحقيقة فعلي الرغم من بساطة الخطوط التي استخدمها الفنان البدائي إلا أنه أبدع على الرغم من ذلك في إنتاج أشكال بنسب متوازنة.

يضع الفنان البدائي عناصره التشكيلية في مجموعها، كعائلة كلية واحدة مشتركة، وإن بدأ أحياناً شيء من العزل أو الفصل في تلك العناصر لتأكيد أهمية عنصر مثلاً كالحيوان أو إبراز القيمة العقائدية في شكل ما، كما يلاحظ استخدام لون مهيمن أو مسيطر، وهو لون قريب من البيئة كاللون البني وذلك بصورة سائدة، لتصبح باقي الألوان تابعه، مع إنشاء وحدة بين كل ألوان التكوين ولون الخلفية.

كما يحقق الفنان البدائي التوازن عن طريق توزيع المساحات والبقع اللونية للون واحد، أو في الغالب بأسلوب "السلويت" في جميع أنحاء العمل الفني.

ويمكن تفسير حدوث الاتزان والوحدة في العمل الفني للبدائي في ضوء خصائص الشكل من حيث :

أ – التشابه :

حيث أن الخصائص المتشابهة تميل إلى التجميع في صيغ موحدة يمكن إدراكها لعناصر الأدمية، وتميل بفعل عمليات التنظيم الإدراكي والخصائص المتشابهة إلى التجمع في صيغ على هيئة صفوف رأسية، ويرجع السبب في ذلك إلى أسلوب "السلويت" والذي يعطي مبدأ السيادة والسيطرة على مجال الرؤية مما يحقق أعلي قيمة للاتزان.

ب- التقارب :

حيث تلعب المسافة دوراً هاماً في تحديد صيغ وتكوينات الأشكال مما يساعد على تحقيق الاتزان .

ولعل خاصية التقارب بين العناصر سواء كان في للشكل أو الدرجة أو في الحركة تضفي على العمل الفني الوحدة والترابط، مما لا يدع مجالاً للتشتيت البصري عند رؤية العمل.

ج – التماثل :

وهو ملمح آخر من ملامح الشكل في الفن البدائي، فالأشكال المتماثلة توجد في أبسط الأشكال الزخرفية على وجوه وأجسام القبائل البدائية المعاصرة حيث تزين كسلاسل من النقط المتماثلة الترتيب، تبدأ عبر الأنف وحتي صوان الأذن، ومن رسوم العصر الحجري القديم، نلاحظ أشكال هندسية يظهر فيها التماثل على الجانبين.

وقد يمكن تفسير ميل الإنسان البدائي بوجه عام إلى اعتبار الأشياء المختلفة كما لو كانت متشابهة بل متماثلة، أو على الأصح رؤية التشابه والتماثل في الاختلاف والتباين بموقفه من نفسه ونظرته إلى ذاته وأعتبار تلك الذات هي مركز الكون ولذا فكثيراً ما ينظر إلى الأشياء التي توجد في البيئة التي تحيط به، كنظرته إلى جسمه ويطلق عليها بالتالي أسماء وصفات مستمدة من جسمه ومن شخصيته هو، ففروع الشجرة هي (يد) الشجرة بالنسبة إليه ، وورقة الشجر (أذن)، وساق النباتات (قدم) ومقدمة الشجرة (جبهة)، وقمة الشجرة (رأس) وهكذا.

د – التراكب :

أعتمد الفنان البدائي على خاصية التراكب بوضع مساحات أو إجزاء من العنصر، فوق أجزاء مساحات أخري خلفها على سطح اللوحة، مما يعطي إحساساً بالعمق أو يلجأ الفنان إلى وضع أجزاء لكي تغطي أجزاء أخري مما

يعطي إحساساً بالتدرج من الأمام إلى الخلف في أسلوب يحقق نوع آخر من الشفافية في العمل الفني، كما نجد مثال هذا في كهوف "لاسكو والتاميرا".

٤- اللون :

دلت الكشوف الأثرية على أن جميع الكهوف في العصر الحجري القديم تقريباً كانت تحوي ملونات وأصباغ تستخدم في تلوين الأعمال الجدارية الكهفية أو كمستحضرات للزينة ومنها الأبيض من الحجر الجيري، أو الأسود الناتج من الفحم الحجري والمنجنيز والعظام المحروقة والرمادي الناتج عن النيران التي كان يشعلها الإنسان الأول والفحم النباتي وبعض البقايا من الأصباغ النباتية والعديد من درجات الطين والتراب التي تتراوح ما بين البنيات ودرجات الأحمر، الأصفر حتي أقصي الدرجات الفاتحة.

وقد قام الفنان البدائي بإذابة مساحيقه الملونة في وسائط خاصة استوحاها من البيئة المحيطة به مثل الماء، وشحوم ودهون الحيوان ونخاع العظام وبعض المواد اللاصقة النباتية كما استخدم في ذلك بعض جماجم الحيوانات والقواقع والحجار وقرون الحيوانات التي لفها حول خصره وكان كل قرن خاص بلون واحد ثم يقوم بالرسم بواسطة غصن نبات لين كما استخدم الصخور المسطحة والمفرغة بتقعر كأوعية لحفظ تلك الألوان وبالإضافة إلى استخدامه للعظام المفلطحة الكبيرة لخلط الألوان كما عثر المكتشفون على باليت كانت الألوان مصفوفة فيها بانتظام من الفاتح إلى الداكن ما يدل على أنها وضعت بآلية فنان ينحدر من فترة متأخرة.

- السمات التشكيلية للفن البدائي :

وتكشف الأبحاث عن عدد من الثوابت في فن الصخر في أي قارة تكون قد أنتجت فيها مثل استخدام نفس التكنيك والألوان، والمجال الضيق والمتكرر من الموضوعات ونفس طريقة الجمع بين عناصر مختلفة ونفس نوع المنطق، وتكرار مجال من الكتابات الرمزية وخاصة المجمع بين الصور والرموز والرسوم، وهذا يثير مزيداً من الأسئلة ويوحي بأن الأساس البنيوي ونفس الديناميكيات المفاهيمية قد تكون في أساس كل الفن الخلاق.

فقد أبدع الفنان البدائي أعمالاً فنية ذات قيمة جمالية بالمقاييس والمعايير الفنية والجمالية الحديثة فقد برع في توظيف عناصره التشكيلية من نقطة وخط وشكل ولون وملمس مع تحقيقه للقيم الجمالية من إيقاع واتزان وسيادة وتناسب واتساق من خلال الحركة والتوافق والتباين والتنوع في عناصره التشكيلية في إطار من السمات الفنية التشكيلية المميزة له والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

١- ظاهرة الخلو من المنظور :

وتعد هي الظاهرة الفنية الوحيدة التي اشتركت فيها كل الفنون البدائية حيث ظهرت كل الأعمال الفنية تقريباً مسطحة ذات بعدين فقط فيما عدا قلة من اللوحات الفنية التي وجد فيها عمقاً وبعداً بسيطاً والذي حققه الفنان من خلال تظليله لأجسام بعض الحيوانات فكان من نتيجة ذلك أن اكتسبت تلك الأجزاء المظللة للإيحاء بالتجسيم.

وقد يرجع ذلك الإيحاء إلى أن الفنان البدائي كان يتخير أحياناً جزء ناتئاً (بارزاً) من الصخر فيرسم عليه ويلونه وبالتالي تعطي المناطق البارزة للون هذا الإحساس بالمعتم والمضيء أو أن يلون الفنان السطح

مستخدماً راحة كفه حيث يصنع بها الألوان أو أن يدفعها من فمه فينتج عن ذلك عدم الانتظار في توزيع كثافة اللون مما يوحي بالتجسيم.

٢- ظاهرة المبالغة والانحراف عن الواقع :

ويقصد بها عدم الالتزام بالأصل الطبيعي بهدف إبراز بعض المعاني والتأكيد عليها عن طريق المبالغة والحذف أو الإجمال أو التفصيل فعندما أحب الفنان البدائي الحيوان وكان هو محور اهتمامه الأول وكان الإنسان هو المحور الثاني فجاءت رسوم الإنسان تشبه إلى حد كبير رسوم الكاريكاتير حيث ظهرت السيقان بالغة الطول والأجساد نحيفة والرؤوس صغيرة دون أي ملامح.

تلك المبالغات والانحرافات ليس دليلاً على عدم إدراك الفنان البدائي لحقيقة الأبعاد والمقاييس أو لمعيار التناسب الصحيح بين أجزاء الجسم ولكنها مبالغات أتت نتيجة النزعة الدائمة لتحرر وعدم قبوله للمحاكاة ومطابقة الواقع بما يحد من حماسه وانطلاقه.

٣- ظاهرة الخدع الشكلية :

وجد الخداع الشكلي في الفنون القديمة بصورة تلقائية تتفق مع الطبيعة الفطرية والنظرية والعضوية التي تتسم بها تلك الفنون وفي التصاوير الجدارية للفنان البدائي أصدق مثال على تواجد تلك الظاهرة في الفنون القديمة فها هو يوظف عناصره وأشكاله المسطحة مضيفاً لها طابعاً من الخيال السحري المتمثل في شفافية الأجسام المعتمة أو تراكب بعض أجزاء من العمل الفني فوق بعضها أو الجمع بين أكثر من زاوية للرؤية في العمل الفني الواحد أو عن طريق وضع حيواناته في حركات

خاطفة يشوبها الفزع المتمثل في الالتفاتات العنيفة لرقاب الحيوانات تجاه ما يوجه إليها من سهام، كل ذلك أكسب العمل الفني ما يوحي بالخدع الشكلية.

٤- الواقعية :

عرفت الواقعية عند الفنان البدائي بعدة طرق منها البساطة في التصوير فتأتي الرسوم بشكل مبسط مفهوم من غير تعقيد لدي المشاهد مثل تصاوير البوشمان ورسوماتهم التي تلقي إعجاباً كبيراً من المشاهد حيث لا يجد أي صعوبة في فهمها.

كما عرفت الواقعية أيضاً بمطابقة التصوير للطبيعة حيث أعطانا انطباعاً بصرياً بلغ من التلقائية ونقاء الشكل والتحرر من كل قيد حداً كبيراً ما لم نجد له نظيراً في تاريخ الفن إلا منذ حلول الانطباعية الحديثة.

٥- الرمزية :

إن جميع الأعمال الفنية التي أبدعها الفنان البدائي كانت ذو طابع رمزي ولقد اكتسبت ذلك الطابع نتيجة لمحاولاته التغلب على خوفه من الطبيعة ومظاهرها المحيطة به، والتي يهابها فحاول إرضاءها عن طريق إبداع التعاويذ السحرية والأقنعة، التمائم والتماثيل التي تعبر في جملتها عن عقائده وطقوسه في شكل رمزي.

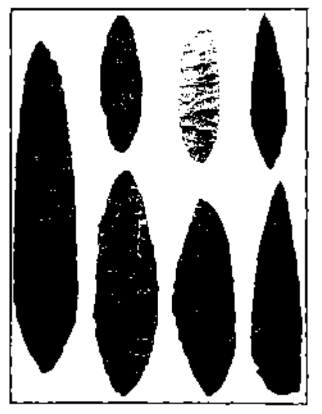
٦- التجريدية :

ظل الأسلوب المطابق للطبيعة في الفن سائداً حتى نهاية العصر الحجري القديم مع حلول العصر الحجري الحديث ظهر الاتجاه الهندسي وكان ذلك أول تغير تصميمي في تاريخ الفن كله.

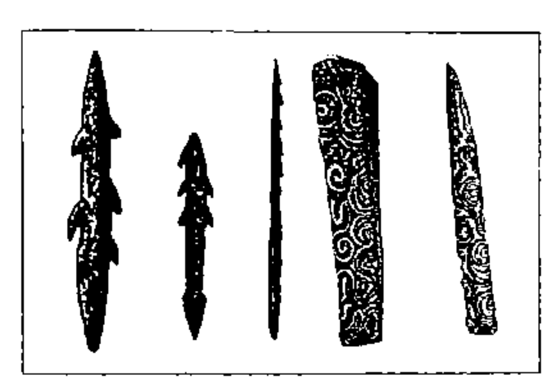
ويرجع ذلك إلى انقسام العالم أمام الإنسان الأول إلى واقع منظور وما فوق الواقع أي غير المنظور وبعد أن كان يستخدم السحر ذو النزعة الحسية أصبح الاتجاه السائد هو المذهب الروحاني الذي يميل إلى التجريد وبعد أن ظل الفنان يقلد الطبيعة إذاً بفنه يصطبغ بالصبغة العقلية واستعاض عن الصور والأشكال العينية برموز وتجريدات واختصارات وعلامات اصطلاحية وبالتدريج تحولت الصورة إلى لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثيلياً أي أنه لكي يصل الفنان إلى التجريدية مر بالرمزية حيث بسط الأشكال واختصر تفاصيلها واحتفظ بمضمونها الدلالي.



شكل (١)

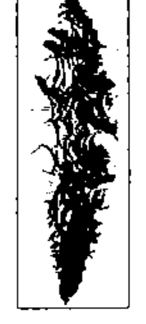


شكل (٢)



شكل (٣)

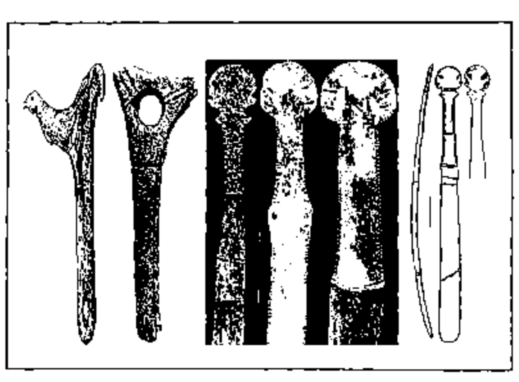




شكل (٤)



شكل (٥)

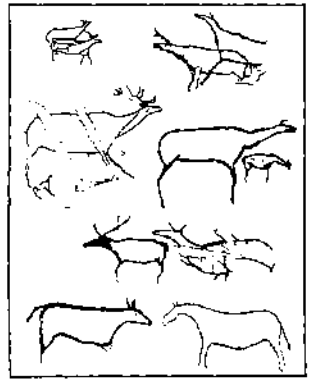


شكل (٦)

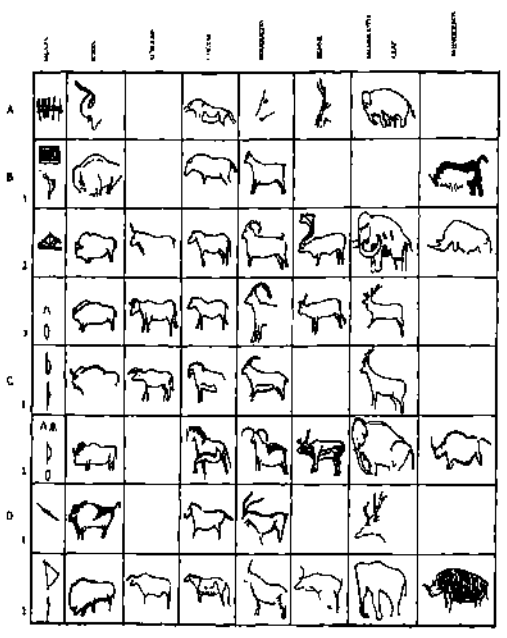


شكل (٧)

الأشكال (١ : ٧) نماذج لأدوات الصيد المنحوتة من حجر الصوان والتى تمثل أقدم الأمثلة لبدايات الفن حيث يرجع تاريخها لما يقرب من ١٠٠ ألف عام قبل الميلاد



شكل (٨) رسوم خطية مبسطة لحيوانات الفن البدائى



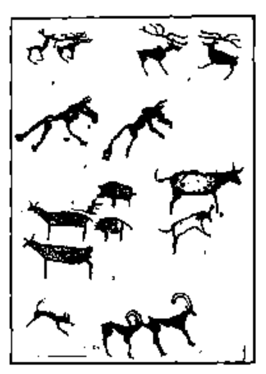
شكل (٩) أمثلة لتنوع أشكال الحيوانات في الفن البدائي وتطور رسمها



شكل (١٠)



شكل (١١)



شكل (١٢)



شكل (١٣)

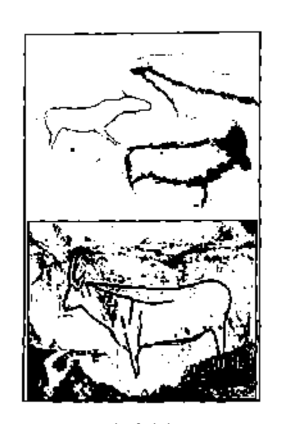
الأشكال (١٠: ١٣) لأشكال لرسوم الحيوانات رسمت بأسلوب السلويت والتي توضح مدى إدراك الفنان البدائي لعلاقة الشكل بالأرضية وقيمة الإيقاع الحركي للخط الخارجي للشكل



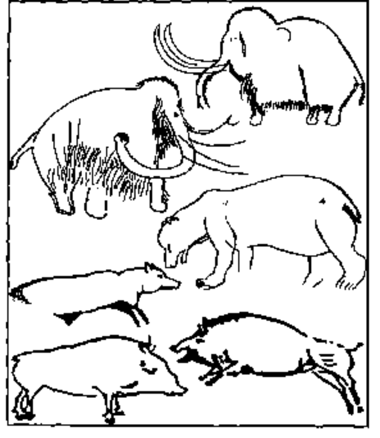
شكل (١٤) مثال على صورة للفنان البدائي الإبداعية للرسم الخطي لحيوان الوعل والذى يؤكد إدراكه بالحركة والتنوع



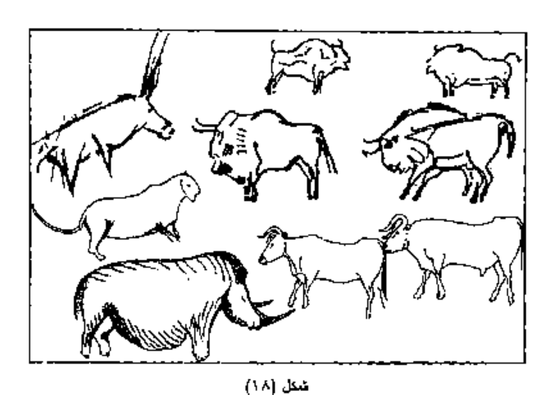
شكل (١٥) رسوم من الفن البدائي تمثل رسوم تحضيرية لشكل الحصان



شكل (١٦)



شكل (١٧)



شكل (١٨)

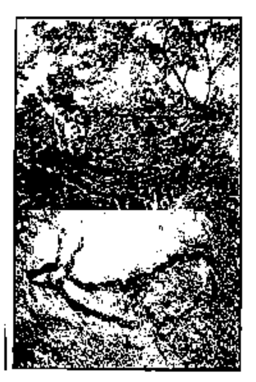
الأشكال (١٦ : ١٨) نماذج لرسوم خطية لرسوم حائطية للفن البدائي تمثل حيوانات مختلفة



شكل (١٩) رسوم خطية محفورة على أحد كهوف التاميرا (كنتابريا) بشمال أسبانيا لحيوان البيزون من العصر المجداليني والتي توضح قدرة الفنان الفائقة على تحقيق القيم الجمالية بمفهومنا المعاصر من خلال الإيقاع الخطي



شكل (٢٠) أشكال حيوانية محفورة حفر بارز وغائر ومنحوتة على الصخور يرجع تاريخها إلى العصر الحجرى الحديث



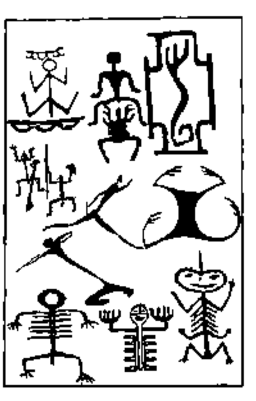
شكل (٢١) أمثلة لبداية فن للرسم الخطى والمحفورة على الكهوف والصخور لفنان ما قبل التاريخ والتى تعبر عن حيوان الوعل



شكل (٢٢)



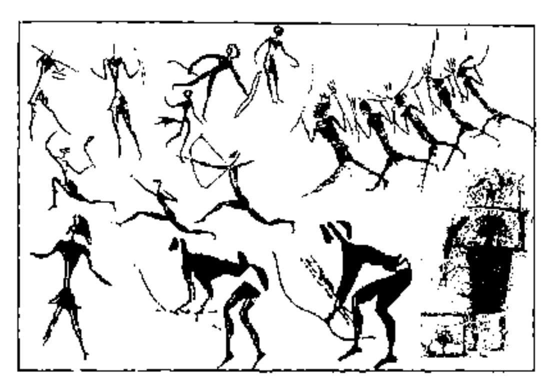
شكل (٢٣)



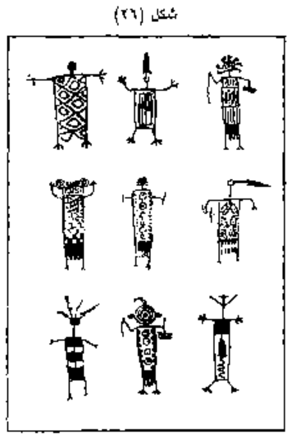
شكل (٢٤)



شكل (٢٥)

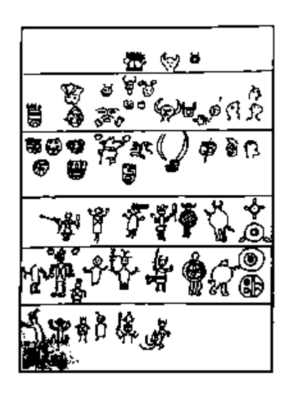


شكل (٢٦)

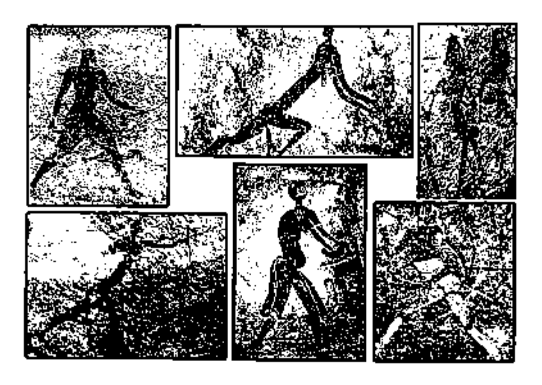


شكل (٢٧)

الأشكال (٢٢: ٢٧) أمثلة لأشكال حيوانية وبشرية محفورة على الصخور لفنان ما قبل التاريخ رسوم بدائية لأشخاص وحيوانات من العصر الحجري القديم – من أماكن متفرقة



شكل (٢٨) رسوم بشرية وجدت على جدران الكهوف بأمريكا الشمالية (بالمكسيك)



شكل (٢٩) أشكال بشرية رسمت بأسلوب فسلويت وجدت بكهوف تاسيلي بالصحراء الليبية



شكل (٣٠) شامان برأس وأقدام ظبي أفريقي وفي هذا التمثيل المجازي للغيبوبة – جبال دراكنسبرج –ناتال –جنوب أفريقيا



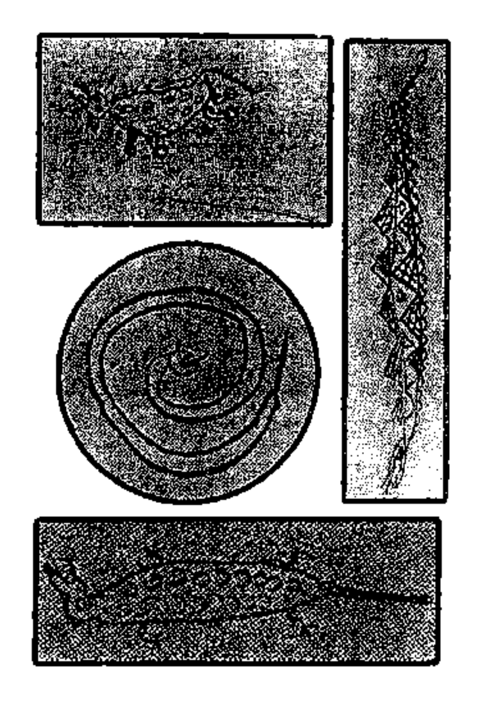
شكل (٣١) اشكال لآدميين على الارجح –شامانات– وادى النقوش الصخرية الصغير – كليفورنيا – الولايات المتحدة



شكل (٣٢) الشامان في وادي التنين الأسود – أوتاة –الولايات المتحدة



شكل (٣٣) رسم صخري لشامان – باستراليا



شكل (٣٤) أمثلة لرموز طوطمية أو شامانات

شكل (٣٥) رسم صخرى لشامان -الولايات المتحدة



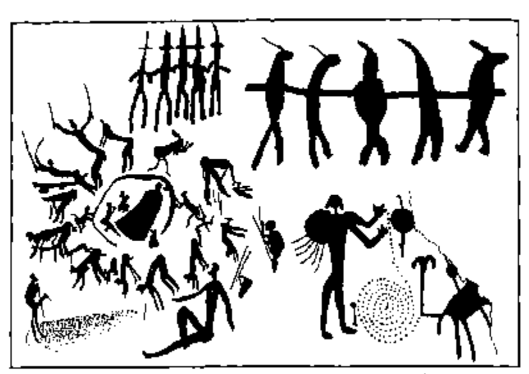
شكل (٣٦) شامان برأس حيوان -استراليا



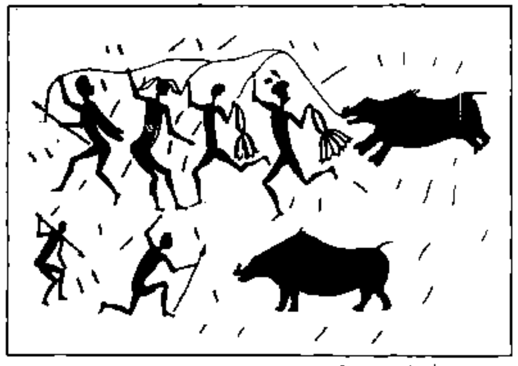
شكل (٣٧) شامان ويحيطه حيوان وطائر



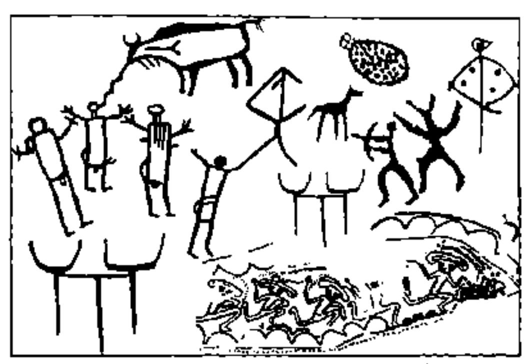
شكل (٣٨) شامان يمسك ثعباناً -جنوب افريقيا



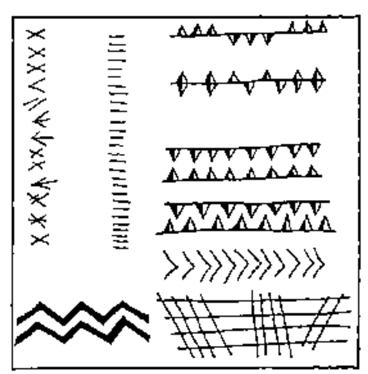
شكل (٣٩) أمثلة توضيحية لرسوم الفنان البدائى والتى رسمت بأسلوب السلويت والتى تعبر عن أشخاص يؤدون رقصات وطقوس سحرية



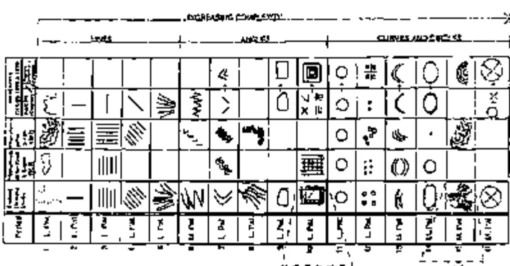
شكل (٤٠) أمثلة توضيحية لرسوم للفنان البدائى والتى رسمت بأسلوب السلويت والتى تعبر عن حيوانات وأشخاص أثناء قيامهم برقصات وطقوس سحرية



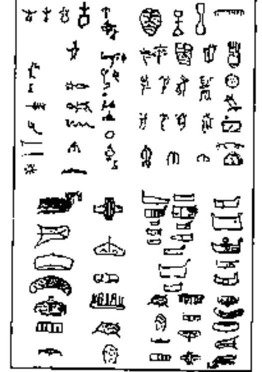
شكل (٤١) أمثلة توضيحية لرسوم الفنان البدائى والتى رسمت بأسلوب السلويت والتى تعبر عن رقصات وطقوس سحرية



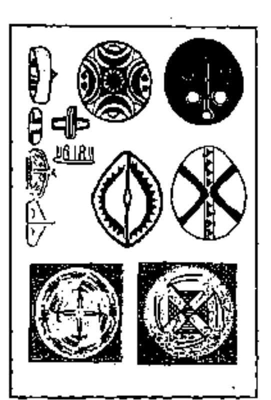
شكل (٤٢) أمثلة لخطوط متعرجة ومتقاطعة ومتقطعة برسوم الفنان البدائى بعصر ما قبل التاريخ



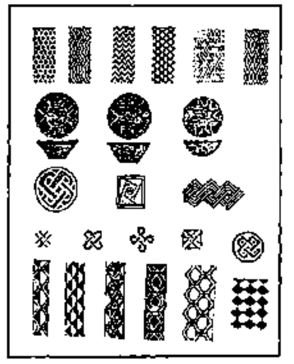
شكل (٤٣) خطوط متنوعة منحنية و محرفة ومتعرجة وهندسية ترجع للعصر الحجري القديم



شكل (٤٤) اشكال توضيحية رمزية وتجريدية لرسوم حائطية بكهوف فرنسا واسبانيا واماكن اوروبية متفرقة



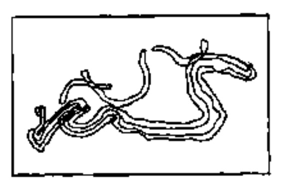
شكل (٤٥) اشكال لوحدات هندسية مجردة وحيوالية وبشرية مبسطة ومحرفة

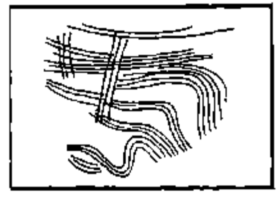


شكل (٤٦) خطوط متنوعة ترجع لعصر ما قبل الاسرات بمصر

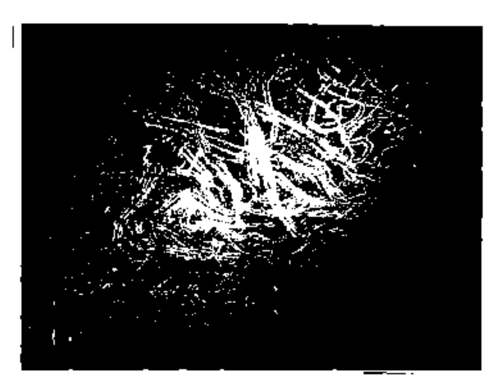


شكل (٤٧) الخطوط الهندسية - حلزونية تيكتيفورم - فرنسا





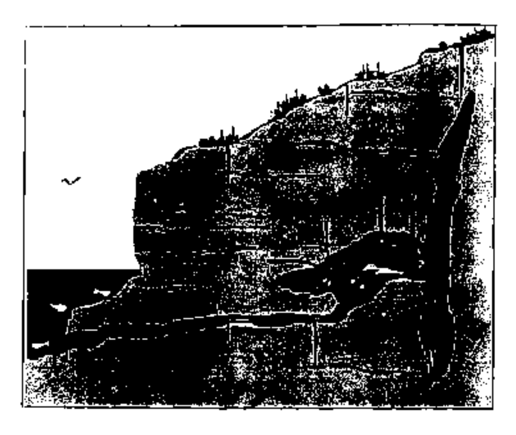
شكل (٤٨) خطوط متعرجة تسمى خطوط -مكرونى - الاعلى وجد بكهوف جورج بأمريكا و الأسفل بأسبانيا-عصر ما قبل التاريخ



شكل (٤٩) رسم صخري لخطوط مكروني – كهوف جوج بالولايات المتحدة الأمريكية



شكل (٥٠) نماذج لأشكال حلزونية بدائية من أماكن مختلفة من العالم



شكل (٥١) يوضح مثال لاماكن الكهوف التى يصعب الوصول اليها -فرنسا

تصنيف الفن البدائي

إن بدايات الفن هى عبارة عن الإنتاج الفنى للإنسـان الأول الـذى عاش فى العصور الحجرية السحيقة والتى مرت بعـدة مراحـل تاريخيـة وثقافات بدائية متعددة والفنون البدائية كظاهرة جمالية أولية كشـفت عـن الثراء الغزير فى استخدام المادة الخام المستخدمة فى التعبير أو أساليب ذلك التعبير كذلك الموضوعات التى تناولها الفنان البدائى .

وقد قام العلماء والباحثين بدراسات متعددة لمحاولة تصـنيف هـذه الفنون البدائية ويمكن تناول أهمها فيما يلى :

تصنيف الفن البدائى من حيث:

- المراحل التاريخية وتطور بدايات الفن
- مراحل تطور الثقافة البدائية .
- النشاط الإنسانى.
- الموضوع والاسلوب الفنى.
- علاقة الفن بالطبيعة .

تصنيف الفن البدائى من حيث:

المراحل التاريخية وتطور بدايات الفن :

إن الآثار الثقافية للأنماط البشرية بالعصر الحجري القديم تقع فـي سبعة أقسام رئيسية تختلف باختلاف المواضع التي وجدنا فيها أقدم الآثـار وأهمها في فرنسا وأسبانيا. وكلها جميعاً إنما تتميز باسـتخدام آلات غيـر

مصقولة؛ والأقسام الثلاثة الأولى منها قد تـم لنـا التكـوين فـي الفتـرة المضطربة التي توسطت العصرين الجليديين الثالث والرابع.

١- الثقافة "أو الصناعة"أو بدايات الفـن السـابقة للعهـد الشـيلي Pre-Chellean :

وهو عصر يقع تاريخه حول سنة ١٢٥٠٠٠ ق.م ومعظم الأحجار الصوانية التي وجدناها في هذه الطبقة الوطيئة من طبقات الأرض لا تـدل دلالة قوية على أن أهل ذلك العصر قد صاغوها بصناعتهم والظاهر أنهم قد استخدموها كما صادفوها في الطبيعة (ذلك إن كانوا قد استخدموها إطلاقـا) لكن وجود أحجار كثيرة بينها لها مقبض يلائم قبضة اليد، ولها حَدٌ وَطَرَفٌ "إلى حَدٍ ما" يجعلنا نزعم هذا الشرف للإنسان السابق للعهد الشيلي، شـرف صناعة أول آلة استخدمها ، وهي المدية الحجرية.

٢- بدايات الفن بالحقبة الشيلية:

ويقع تاريخها حول سنة ١٠٠٠٠٠ ق.م وقد تحسـنت فيهـا الآلـة بإرهاف جانبيها إرهافاً على شيء من الغلظة وبتدبيبها بحيث تتخـذ شـكل اللوزة، ثم بتهيئتها تهيئة تكون أصلح لقبضة اليد البشرية.

٣- بدايات الفن بالحقبة الأشولية Acheulean :

ويقع تاريخها حول ٧٥٠٠٠ ق.م ولقد تخلفت عنها آثار كثيرة فـي أوربا وجرينلاند والولايات المتحدة والمكسيك وإفريقية والشـرق الأدنـى والهند والصين؛ وهذه المرحلة لم تُصلح من المدية الحجرية إصلاحاً يجعلها أكثر تناسقاً وأحدُ طرفا فحسب، بل أنتجت إلى جانب ذلك أنواعاً كثيرة مـن الآلات الخاصة كالمطارق والسـندانات والكاشـطات والصـفائح ورءوس

السهام وسنان الرماح والمُدَى، وفي هذه المرحلة تستطيع أن ترى صورة تدل على مرحلة نشيطة للصناعة البشرية.

٤- بدايات الفن بالحقبة الموستيرية Mousterian:

وتوجد آثارها في القارات كلها، مرتبطة ارتباطاً يستدعي النظر ببقايا الإنسان الأول ، وذلك في تاريخ يقع على نحو التقريب ق.م بأربعين ألفا من السنين؛ والمُدَيَة الحجرية نادرة نسبيا بين هذه الآثار، كأنما أصبحت عندئذ شيئا عفا عليه الزمان وحلّ محله شيء جديد؛ أما هذه الآلات الجديدة فقوام الواحدة منها رقيقةً واحدة من الصخر، أخف من المدية السابقة وزنا وأرهف حَداً وأحسن شكلا، صنعتها أيد طال بها العهد بقواعد الصناعة.

٥- بدايات الفن بالحقبة الأورجناسية Aurignacian :

وتقع حول عام ٢٥٠٠٠ ق.م، وهي أول المراحل الصناعية بعد عصر الجليد، وأولى الثقافات المعروفة لإنسان "كرو- مانيون" وهاهنا في هذه المرحلة أضيفت إلى آلات الحجر آلات من العظم- مشابك وسندانات وصاقلات الخ- وظهر الفن في نقوش غليظة منحوتة على الصخر، أو في رسوم ساذجة بارزة

٦- بدايات الفن بالحقبة "السُّولَتريه" Solutrean:

التي ظهرت حول سنة ٢٠٠٠٠ ق.م في فرنسا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، وهنا أُضيفت إلى أسلحة العهد الأورجناسي السالف وأدواته، مُدًى وصفائح ومثاقب ومناشير ورماح وحراب وصُنِعَتْ كذلك إبَرٌ دقيقة حادة من العظم، وقُدَّت آلات كثيرة من قرن الوعل؛ وترى قرون

الوعل منقوشة أحيانا برسوم أجسام حيوانية أرقى بكثير من الفن في العصر الأورجناسي السابق.

٧- بدايات الفن بالحقبة المجدلية Magdalenian التي ظهرت في أرجاء أوربا كلها حول سنة ١٦٠٠٠ ق.م:

وهي تتميز في الصناعة بمجموعة كبيرة متنوعة من رقيق الآنية المصنوعة من العاج والعظم والقرن، وهي تبلغ حدها الأقصى في مشابك وإبر متواضعة لكنها تصل حد الكمال في الإتقان، وهذه المرحلة هي التي تميزت في الفن برسوم "التّاميرا" Altamira بأسبانيا وهي أدق وأرق ما صنعه إنسان من قبل ،

ووضع إنسان ما قبل التاريخ، في هذه الثقافات التي شهدها العصر الحجري القديم، أسس الصناعات التي كُتبَ لها أن تبقى جزءا من التراث الأوربي حتى الثورة الصناعية، وكان مما سهّل نقلها إلى المدنيّة الكلاسيكية والمدنية الحديثة انتشار صناعة العصر الحجري القديم؛ والجمجمة وتصاوير الكهوف التي وجدناها في روسيا سنة ١٩٢١، والأحجار الصّوانية التي كشف عنها في مصر "دي مورجان"De Morgan سنة ١٨٩٦، وآثار العصر الحجري القديم التي وجدها "سِتَن كار" Seton-Karr في الصومال؛ ومستودعات العصر الحجري القديم في منخفض الفيوم وثقافة جليج ستل في جنوب إفريقية، كلها تدل على أن "القارة المظلمة" قد اجتازت نفس المراحل تقريبا بأوربا قبل التاريخ، وذلك من حيث صناعة الرقائق الحجرية؛ بل ربما كانت الآثار التي وجدناها في ليبيا والجزائر، مما يشبه آثار العصر

الأورجناسي، يؤيد النظرية القائلة بأن إفريقية هي الأصل في تلك الثقافة، أو هي الحد الذي وقف عنده الإنسان الأول وبالتالي الإنسان الأوربي

ولقد أكتشفت آلات من العصر الحجري القديم في العراق وإيران وسوريا والهند والصين وسيبيريا وغيرها من أصقاع آسيا، كما عُثر عليها في منغوليا ؛ وكذلك أكتشفت هياكل للإنسان الأول وأحجار صوّانية كثيرة من العهدين "الموستيري" و "الأورجناسي" في فلسطين، ولقدأكتشف حديثا في "ببين" أقدم ما نعرفه من بقايا الإنسان وأدواته، ووجدت آلات من العظم في "نبراسكا" بالولايات المتحدة الامريكية، وأراد بعض العلماء الأمريكان الذين يتأثرون بالروح الوطنية أن يردوها إلى عام ٥٠٠٠٠٠ ق.م، وكذلك وجدت رءوس سهام صنعت عام ٣٥٠٠٠٠ ق.م، وهكذا نراه جسرا عريضا ذلك الذي نقل عَبرَ إنسان ما قبل التاريخ أسس المدنية إلى زميله الإنسان الذي يظهر في عصور التاريخ.

تصنيف الفن البدائي من حيث: مراحل تطور الثقافة البدائية :

وقد اتفق بعض العلماء على هذا التصنيف فقاموا بتقسيمه إلى أربعة مراحل وهي:

- مرحلة الهمجية
- مرحلة نشوء الاشكال الاجتماعية الثقافية
- مرحلة البربر (أو عصر الفخار)
- مرحلة المدنية والتحضر (عصر الكتابة)

أ - مرحلة الهمجية:

وهى تمتد من ظهور أول ثقافة فى العصر الحجرى القديم قبل حوالى نصف مليون سنة إلى حوالى ١٠٠٠٠ سنة وهذه الفترة الزمنية الهائلة تشكل مرحلة الأصول الثقافية ، لكن المعرفة بالأشكال الأصلية التى كانت موجودة مثل اللغة أو التنظيم الأجتماعي أو الدين يكاد يكون معدوماً ، أى أن كل النواحى اللا مادية المشكلة للثقافة غير معرفة تقريباً

ب - مرحلة نشوء الاشكال الإجتماعية والثقافية:

امتدت هذه الفترة من عام ٩٠٠٠ ق . م تقريباً واستمرت حتى بداية الشكل القديم لنظام الدولة أي حوالى سنة ٥٠٠٠ ق.م فى الشرق الأوسط ، وتغطى هذه المرحلة فترة نشوء الأشكال الثقافية ، وظهر التعبير عن هذه الثقافة والمعتقدات على الجدران

ج - مرحلة البربر (عصر الزراعة أو الفخار):

تضم هذه المرحلة المجتمعات القديمة فى حوض البحر المتوسط والجزء الأقصى من الشرق الأوسط والشرق الأدنى والعالم الجديد ، وتضم شعوباً بدائية تستند على الزراعة المتقدمة وأصبح هناك بدايات لقوانين مدنية عملية فى تلك المرحلة . وظهرت بدايات الكتابة وصناعة الأدوات الفخارية وزخرفتها بأشكال هندسية .

د- مرحلة الحضارة (عصر الكتابة) :

وظهرت بدايات الانماط الفكرية المُشكلة لتميز المجتمعات والتعبيرات الفنية التى تحمل مضامين شكلت الحضارات والمدنية الحديثة

لكل مجتمع على حدة ، وتحولت الفنون من فنون عصر ما قبل التاريخ إلى الفنون الموثقة والمكتوبة والمدونة لتدلنا على تاريخها .

٣- تصنيف الفن البدائي من حيث النشاط الإنساني :

من الممكن التمييز بين خمس نوعيات عريضة من الفن كل منها له خصائصه الخاصة التي يمكن أن توجد في كل مكان.

فن القناصة الأوائل : وهو الفن الذي مارسه القناصة الذين كانوا يجهلون القوس والسهم، ويجمع بين العلاقات والأشكال ولكن بدون تكوين مشاهد وقواعده تتكون أساساً من تسلسلات منطقية وارتباطات مجازية.

فن الجامعون الأوائل : وهو الفن الذي مارسته الشعوب الذي يعتمد اقتصادها أساساً على جمع الفواكه البرية والذي يأخذ شكل مشاهد بسيطة ذات طبيعة مجازية تصور عالماً سيريالياً والكثير من هذا الفن يبدو أنه أنتج في حالة هلوسة.

فن القناصة في العصور المتأخرة : وهو فن يمارسه القناصة الذين كانوا يعرفون استخدام القوس والسهم ويتكون من منظار هزلية ووصفية ويصور أساساً الصيد وأحداثاً في الجماعة.

فن الرعاة : وهو فن تمارسه شعوب نشاطها الاقتصادي الأساسي (كما صورته في هذا الفن) هو تربية الماشية ويركز على تصوير الحيوانات الأليفة، ومشاهد من الحياة العائلية ومشاهد لاستأناس للحيوانات والتي تجمع بين الحيوانات والبشر.

فن الاقتصاد المركب : وهو فن تمارسه شعوب ذات اقتصاد متنوع يشمل الزراعة ويتكون أساساً من مشاهد أسطورية وتكوينات من العلامات والأشكال هذا التصنيف هو بالضرورة تصنيف تقريبي وهناك مراحل وجماعات انتقالية تظهر خليطاً من الخصائص كما يمكن أيضاً أن تكون هناك اختلافات واضحة في داخل نوعية واحدة، إلا أنه في الحالة الراهنة للأبحاث، ومع وضع في الاعتبار الكمية الكبيرة من الدلائل المتاحة فإن الموقف المبني على الأسلوب وعلى مادة للموضوع من الواضح أنه الموقف الذي يجب إتباعه لتخطي قيود الحدود الإقليمية.

وبتطبيق مجموعة من المعايير مبنية على للموضوعات ونمط الصور كان من الممكن تحديد بعض العناصر المتكررة ذات الدلالة وأيضاً تقديم فرضية وجود انعكاسات عامة معينة مرتبطة بطرق معينة للحياة، قد تكون قد أثرت لا على سلوك الناس فقط ولكن على تفكيرهم وعلى عملية الربط لديهم أيضاً (ومن ثم على أيديولوجيتهم) وبالتالي على أشكال الفن لديهم ومنذ البدايات الأولي تماماً للفن كما نعرفه، منذ حوالي ٤٠ إلى ٥٠ ألف عام، كان الآدميون يتصرفون طبقاً لعمليات عقلية معينة قادتهم إلى اختراع العلاقات والرموز والتجريد أو التسامي والذي يشكل حتي إلى يومنا هذا أحد خصائصهم العامة.

٤- تصنيف الفن البدائي من حيث الموضوع والأسلوب الفني :

وهو تصنيف يقوم على معرفة الزمن الذي ظهرت فيه تلك الأعمال الفنية البدائية مع توضيح الأسلوب الفني والموضوع المعبر عن تلك الحقب والفترات الزمنية وقد قسمت إلى أربعة فترات :

أ- الفترة الأولي "عصر البوهالوس" :

وهي أقدم الفترات الزمنية المعبرة عن حياة الصيادين حيث تعيش الحيوانات المفترسة كالجاموس البري والفيلة وفرس النهر والزراف والعجول والنعام، وقد اعتمد الرسم في هذه الفترة على الخط سواء كان محفوراً أو مرسوماً مع اتسامه بالإيجاز والبلاغة وكانت الحيوانات ترسم من الجانب بأسلوب واقعي مع التركيز بوضع التفاصيل على أجزاء الحيوان، وأغلب رسوم هذه الحقبة تتميز بكبر المساحة، وقد أطلق على هذه الفترة "البوهالوس" نسبة إلى "الجاموس البري" المنقرض والموجود بكثير من رسوم هذه المرحلة كما يطلق عليها أيضاً حقبة "الصيادين" نظراً لأن معظم الرسوم تتناول موضوعات صيد الحيوانات.

ب- الفترة الثانية " عصر الزراعة " :

وانتقلت حياة الصيادين البدائيين إلى حياة الزراعة مما كان له أثره في تغيير نمط الحياة وصاحبها تغير في تكون شخصية الفنان البدائي بشكل عام، وقد اقترن هذا بظهور فكرة وجود عالم آخر يتحكم في حياة الإنسان "عالم الأرواح الخيرة والشريرة" وعليه لم يعد العمل الفني مجرد تمثيل للواقع فقط (كما كان في الحقبة السابقة) بل أصبح تمثيلاً لفكرة أو رمز ولم يعد الفنان البدائي المزارع متجهاً إلى معرفة خواص الحيوان وبيئته وهجرته، إنما اتجهت أفكاره وإحساساته وقدراته إلي التخيل والابتكار، كما تميزت أعماله بالتلخيص والإيجاز البعيد عن الواقع الملموس.

ج- الفترة الثالثة "عصر الحصان" :

وقد أطلق بعض العلماء والباحثون على هذه الفترة "الحصان" لما تميزت به من ظهور العربة التي يجرها الحصان، ويتميز أسلوب التعبير في هذه الفترة أنه مال بالتدريج للرسم بالطريقة الاصطلاحية الهندسية.

د- الفترة الرابعة "عصر الجمل" :

أما هذه الفترة فقد رسم الفنان البدائي بها الجمل بشكل متميز على الصخور ويصاحبه غالباً أشكالاً لآدميين وقد كان هذا أما محفوراً أو مرسوماً على الصخور، وتميزت هذه الرسوم برسم الحيوان في حيوية وحركة وفي حجم أصغر مما سبق، وقد اختفي الأسلوب الاصطلاحي الهندسي في رسم الحيوان والأشخاص وإدخال بعض الليونة في الحركات، ومع بداية هذه الفترة ظهرت الرماح كسلاح وأداة للصيد برسوم هذه المرحلة.

٥- تصنيف الفن البدائي من حيث علاقة الفن بالطبيعة :

قسم بعض العلماء والباحثين الفن البدائي من حيث تطور علاقته بالطبيعة لثلاث مراحل على النحو التالي :

أ- مرحلة قديمة وتميزت بمحاكاة الطبيعة.

ب-مرحلة متوسطة وتميزت بالانتقال ما بين محاكاة الطبيعة والأسلوب الهندسي.

ج-مرحلة حديثة وتميزت بالرسوم الهندسية التجريدية.

أ- مرحلة محاكاة الطبيعة :

كان الفنان البدائي في عصور ما قبل التاريخ مهتماً بأن تكون صورة الحيوان متقنة بدرجة كبيرة بحيث تصبح أقرب ما تكون للطبيعة معتمداً على الملاحظة البصرية الدقيقة لمفردات الطبيعة وعناصرها ولكن مع عدم اهتمامه ومراعاته للنسبة والتناسب بين الصور المختلفة على الجانب الواحد ولم تكن الصورة محددة بإطار.

وكانت هذه السمات خاصة بفن الصيادين الأوائل، إذ كان عليهم أن يلحظوا جيداً خصائص وصفات الحيوان وحركاته والتفاتاته بمنتهى الدقة والإتقان في رسومهم وتصويرهم الجدارية حتى يتسنى لهم إنجاز عملية الصيد والقنص بنجاح حيث كان يصاحب الرسم مجموعة من الطقوس والشعائر الدينية والسحرية كما لو أنها تقوم مقام التعويذة أو التميمة السحرية.

ب- مرحلة الانتقال بين محاكاة الطبيعة إلى الأسلوب الهندسي :

مرت رسوم وتصاوير الفنان البدائي عبر الانتقال من محاكاة ومحاولة مضاهاة الطبيعة بالعصر الحجري القديم للوصول للأسلوب الهندسي الزخرفي بالعصر الحجري الحديث بمرحلة وسطى لكي يتم هذا التطور عن طريق المبالغة والتبسيط في الأشكال مما مهد للتصميمات والخطوط والأشكال الهندسية.

فنجد الفنان البدائي بهذه المرحلة قام بتحوير رسومه الطبيعية للحيوان وابتعد عن الواقعية ودقة التفاصيل وتزايدت نزعته التجريدية التلخيصية وربما يرجع ذلك لتحوله عن اعتبار الحيوان مصدراً أساسياً لغذائه بعد

معرفته الزراعة، وقد تطور هذا التحوير حتى صار مجرد خطوط ونقاط وأشكال تلخيصية مبسطة.

ولم يقف هذا التطور عند حد التحوير في الرسوم الآدمية والحيوانية بل إن بعض النباتات والأدوات المستخدمة في تلك المرحلة قد تم تحوير صورها واستخدمت كزخارف نقشت على غيرها من الأدوات وكان من هذه الأدوات السهام والأقواس والرماح والحراب، ورسمت هذه الأدوات والأسلحة أحياناً على شكل خطوط مستقيمة أو منحنية متوازية وربما جاء هذا التحوير بسبب رسم الوحدات الطبيعية أحياناً على مساحات ضيقة مما اضطر الفنان البدائي للاكتفاء برسم جزء من هذه السهام أو الحراب أو الأقواس أو ضغطها أو إطالتها بما يلائم الفراغ ثم تم تحويرها وتجريدها لوحدات زخرفية.

ج- المرحلة الهندسية التجريدية :

لم تكن الأشكال ذات التصميم الهندسي هي الأساس الذي كانت عليه بدايات الفن في عصور ما قبل التاريخ ولكنها ظهرت مؤخراً فمن خلال دراستنا للأدوات الحجرية بالعصور الحجرية حتى بداية العصر الحجري الحديث نجد تطوراً تدريجياً ليس فقط من حيث الإتقان بل بما اتسمت به من دقة ورقة وخاصة في زخرفة الأعمال الفخارية.

كما تحولت الصورة بالتدريج إلى لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثيلياً وتصاوير العصر الحجري الحديث تشير إلى الشكل الإنساني مثلاً برمزين أو ثلاثة رموز هندسية كخط رأسي مستقيم للجسم ونصفي دائرة مفتوح لأعلي والآخر مفتوح لأسفل للتعبير عن الذراعين والساقين.

فقد أصبحت مهمة الفن في هذه المرحلة الهندسية هي محاولة بلوغ فكرة الأشياء ومفهومها وجوهرها الباطن وخلق رموز متميز ومتفردة والبعد عن تقليد ونسخ الأشكال الطبيعية الواقعية.

ومع حلول العصر الحجري الحديث ظهر نوعين من الفن الهندسي أحدهما رمزي والآخر زخرفي :

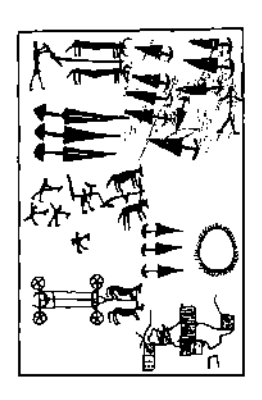
- النوع الرمزي :

والذي نشأ لتلبية متطلبات الجماعة والذي يتجسد بواسطة أشكال تصويرية ترمز لأشياء حسية مرتبطة بعقائد تلك الجماعة.

- النوع الزخرفي :

ونشأ لتلبية حاجة مادية حسية عندما بدأ رجل العصر الحجري الحديث بتجميل مصنوعاته وأدواته ومنتجاته الفخارية، إنما فعل ذلك لتلبية رغبته نحو شغل المساحات الفارغة بواسطة الزخرفة.

وقد ظهر تأثير هذه المرحلة على الطابع الهندسي الناضج بعدة حضارات أعقبت بداية الفن بالعصور الحجرية، والحديثة نسبياً مثل حضارتي البداري ونقادة بمصر، وحضارتي آشور وبابل بالعراق، وحضارة "المايا" بالمكسيك و"النازكا" ببيرو، والذي ظهر على أسطح الأواني الفخارية في غاية من الدقة وذات القيم الجمالية المتفردة.



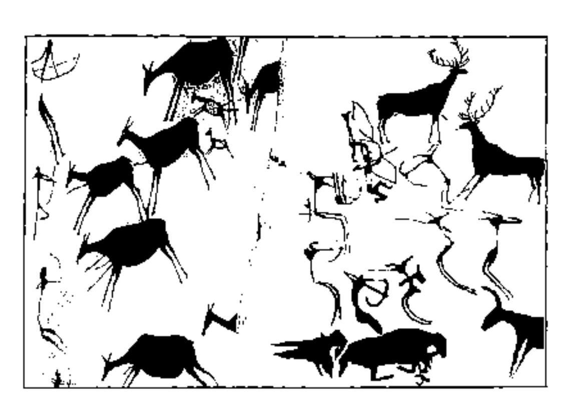
شكل (٥٢) توضيحى لرسوم صخرية تعبر عن الزراعة رسمت باسلوب السلويت



شكل (٥٣) مثال لرسوم خطية بدائية صخرية تعبر عن الصيد



شكل (٥٤) مثال لرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائى تعبر عن الصيد



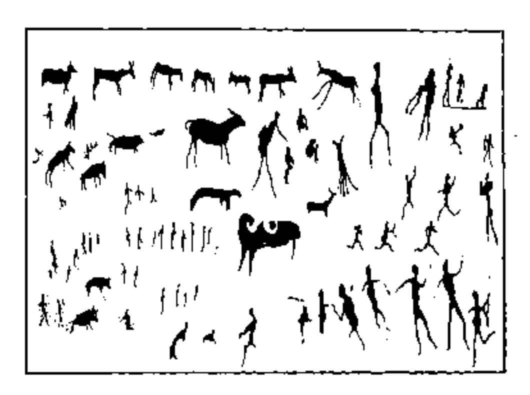
شكل (٥٥) مثال لرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائى تعبر عن الصيد



شكل (٥٦) مثالين لرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائي تعبر عن الصيد



شكل (٥٧) أحد الرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائي تعبر عن عملية استئناس الحيوانات- بكهوف تاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى الليبية



شكل (٥٨) أحد الرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائى تعبر عن عملية استئناس الحيوانات- بكهوف تاسيلى ناجر بالصحراء الكبرى الليبية

الجــــزء الثانى

بدايات الفن

فى العالم القديم

بدايات الفن في العالم القديم

بدايات الفن في أوروبا:

كان يعيش علي الأرض منذ قرابة خمسين أو ستين ألف سنة خلت، وقبل بلوغ العصر الجليدى الرابع ظهر مخلوق بلغ من قوة مشابهته للإنسان أن بقاياه مسار جدلاً كبير، ويقول العلماء أن هذا المخلوق كان يستطيع أن يوقد النار، وكان يلتجئ إلي الكهوف اتقاء البرد، غير أن العلماء السلالات البشرية يرون اليوم (بعد جدلاً كبير في الماضي) أن هذه المخلوقات لم تكن من الإنسان الحق في شئ فلهم فكاك ثقيلة بارزه وجباه منخفضة جداً وحروف حواجب كبيرة بارزة فوق العينين، ولم يكن إبهامهم معا يتقابل والأصابع كإبهام الإنسان، وقد خلقت أعناقهم علي وضع خاص لا يسمح لهم أن يرفعوا رؤوسهم إلي الوراء أو ينظروا إلي السماء وعظام فكاكهم عديمة الذقن وكان لقدارتهم وملكاتهم العقلية ترتيب آخر مغاير، مما يؤكد أنهم ليسوا أسلافاً للسلالة الإنسانية، إذ أنهم يختلفون عن الهيئة الإنسانية من الناحيتين العقلية والجسمانية.

وقد وجدت جماجم وعظام هذا المخلوق البائد بأماكن عديدة أبرزها عثر عليها بمدينة نياندرتال بالقرب من "دسلدورف" بألمانيا سنة ١٨٥٧ ويرجع تاريخها إلى ٤٠,٠٠٠سنة ق.م، ولذا أطلق العلماء علي هذا المخلوق العجيب أسم إنسان نياندرتال (أو إنسان الغاب المنقرض) ويفترض العلماء أنه ظل يقطن أوروبا مئات بل آلاف من السنين، ثم حدث منذ حوالي ثلاثين أو خمسة وثلاثين ألف سنة مع تقدم المناخ نحو الدفء قليلاً أن نزح إلي عالم النياندرتاليين من الجنوب جنس من كائنات أكثر ذكاء وأوسع معرفة، ولديها قدرة علي الكلام والتعاون مع بعضها، فطردوا الجنس النياندرتالي

من كهوف ومنتجعاته، وتصيدوا نفس الطعام الذى كان يأكله، ولعلهم قد قاتلوا هذه المخلوقات الغريبة وأعملوا فيهم الفناء هؤلاء الوافدون من الجنوب أو الشرق (فمن الغير معلوم بالتحديد بلادهم الأصلية) الذين أبادوا النياندرتاليين آخر الأمر إبادة تامة، كانت من نفس دماً وجنساً، وهم الإنسان الأول الحق، وآية ذلك أن جماجمهم وإبهاماتهم وأعناقهم وأسنانهم هي من الناحية التشريحية نفس ما لدينا، وقد عثر الباحثون في كهف كرومانيون، وفي آخر قرب جريما لدى بغرب أوربا علي عدد من الهياكل العظمية، وهي أقدم ما نعرف إلي اليوم من البقايا البشرية الحقة وبذلك يدخل جنسنا في سجل التاريخ وتبدأ قصة البشرية وإبداعتها ومعها بدأت معالم الفن الأولي.

١- فن الكهوف والصخور (بفرنسا و أسبانيا)

وأقدم ما يعرفه العالم من آثار بشرية عثر عليها في غرب أوربا وخاصة في فرنسا وأسبانيا (وإلي جانب أماكن متناثرة وسط وجنوب أوربا كالنرويج وإيطاليا...إلخ) فقد تم اكتشاف العديد من العظام والأسلحة وخدوش علي العظام والصخر ورسوم وتصاوير علي جدران الكهوف وعلي سطوح الصخور، ترجع فيما يظن إلي ثلاثين ألف سنة أو أكثر وخاصة في أسبانيا وفرنسا فهما أغنى بقاع العالم بتلك البقايا الأثرية القديمة عن أسلافنا من البشر الحقيقيين وقد كانت بدايات الفن فيما قبل التاريخ بأوربا وغيرها مرتبطاً بشكل وثيق بحياة القناصة والرعاة الذين ابتدعوه وكان فنا للطبيعة، وأولا وقبل كل شئ فن الهواء الطلق وتنتشر في كل أنحاء العالم ملايين من مواقع فن الصخر تشهد علي الأنشطة الخلاقة للآدميين علي مدى فترة زمنية تمتد في الماضي علي الأقل لعشرة آلاف سنة قبل التاريخ. وهذا الفن يتكون من لوحات محفورة. وبدرجة أقل (علي الأرجح لأنها لم تحفظ جيدا) رسومات ورسومات زيتية علي أسطح تختلف من منطقة إلي منطقة طبقا لخصائصها

الجيولوجية – فهي إما جلاميد منفردة, أو حقول مـن الجلاميـد (منـاطق مغطـاة بالصخور)، أو صخور مسطحة وأسطح من اللطريط (صخر أحمـر مسـامي)، أو أجزاء ناتئة من سفوح الجبال، أو حوائط مأوى من الصخر. وبالمقارنة بهذه الوفرة في مواقع فن الصخر في الهواء الطلق، فإن الأمثلة في الكهوف أقل نسـبياً وعلـي العكس، فإن فن أوربا في العصر الحجري القديم وخاصة في الفترة المجدلانية (١٧ ألف إلي ١٠ آلاف سنة ماضية) يوجد أساساً تحت الأرض.

فقد اكتشف حتى الآن حوالي ٢٥٠ كهفا مزينا بالصور الزيتية أو المحفورة، وهي موجودة أساسا في فرنسا وأسبانيا في مقابل عشرة أو ما يقرب من ذلـك فـي مواقع في الهواء الطلق، تتكون إما من صخور محفـورة، أو علـي شـكل مـأوى صخرية مزينة بصور منحوتة. وعلي خلاف الفن المفتوح للضوء والحيـاة، الـذى أنتجته المجتمعات المتنقلة، فإن فن الحوائط في الكهوف يختفي بعيـدا فـي أعمـاق الأرض المظلمة.

والعلامات التى اكتشفت في فوهات الكهوف في القرن التاسع عشر، التـى تدل علي أن الآدميين سكنوها في عصور ما قبل التاريخ، تؤكد الأسطورة القديمـة حول رجل الكهف. إلا أنه في واقع الأمر لم يعش القناصة في العصر الحجري أبدا في الكهوف المظلمة، ومن المستحيل علي الآدميين أن يعيشوا فيها لمدة طويلة.ويقال هذا فقط لإبراز المعني الرمزى للفن الحائطي الذى اخترعه الرسامون والنحاتون في العصر الحجري، والذى برعوا فيه، ولابد أن هؤلاء الفنانين قد تمتعوا بوضع ممتاز في المجتمع بفضل مهاراتهم، لأنهم عبروا عن المعـارف المكتسـبة والمعتقـدات للجماعات التى كانوا ينتمون إليها.

وكان فنانو الحضارة الجرافيتية (منذ ٢٥ ألف إلي ٢٠ألف عـام)، والتـي سميت كذلك علي إسم موقع لاجرافيت في جنوب غرب فرنسا، هم أول مـن جـرؤ علي دخول الكهوف، والتي اكتشفت منها حتى الآن حوالي عشرة، ولكنهم لم يغامروا أبدا بالدخول كثيرا في عمق الكهوف بعيدا عن ضوء النهار. وكهف نونبيرد (فـي مقاطعة جيروند في فرنسا) المليء بعشرات الصور المحفورة فيه، وكهف جارجـاس (في هوت – جارون، فرنسا)، والذي يحتوي علي صور محفورة وصـور زيتيـة (خطوط خارجية لشكل الأيدي)، هما مثلان رائعان علي عمل هـؤلاء الـرواد. إن فناني الفترة السوليوتريانية (منذ عام ٢١ ألف إلي ١٨ ألف سنة ماضـية)، والتـي سميت علي إسم موقع سوليوتريه، وهو في فرنسا أيضا، لم يكونوا أكثر جرأة بكثير، فقد وجد أقل من ٢٠ كهفا قاموا بتزيينها في فرنسا وأسبانيا. ولكنهم كانوا من الناحية الأخرى مهرة بشكل خاص في إبداع صور من النحت قليل البروز في مواقـع فـي الهواء الطلق.

إن أمثلة الفن البدائي الحائطي المبعثرة في تجـاويف وأروقـة الكهـوف، وبعضها فسيح (فتلك الموجودة في روفينياك في منطقة دوردوني في فرنسا علي سبيل المثال لعدة كيلومترات) تبين أن البدائيين قد اكتسبوا وحسنوا المهـارات المطلوبـة للعمل تحت الأرض. فقد استخدموا أطباقا مجوفة من الحجر، تكون عادة من الحجر الجيري، مملوءة بمادة دهنية حيوانية مع فتيل مصنوع من مواد نباتيـة كمصـابيح، والتي أثبتت التجارب الأخيرة أنها يمكن أن تستمر في الاحتراق لساعات طويلة.

والكهوف التي لها مدخل أو أكثر، وتجاويف وأروقة، وطرف أو أكثر يمكن الدخول منه، هي مكان محكوم ومقيد للعمل فيه، علي خلاف المأوى الصخرية فـي الهواء الطلق التي توفر سطحا عموديا تقريبا ذا بعدين، مثل شاشة تحجب الأفق.

إن مكان الصور الزيتية علي الصخر بالنسبة للملامح الطبوغرافية للكهف هو جزء لا يتجزأ من رمزيتها. ففي كهف نيو (في إريبج في فرنسا) علي سبيل المثال، توجد أنواع معينة من العلامات الحمراء المطلية، بعضها أشكال مكونة من نقط، وبعضها الآخر أشكال نبوتية أو علي شكل الهراوة، تظهر مجتمعة وموزعة علي طول الممر الذى يؤدى إلي الكهف ويخترقه. وهناك أشكال أخرى من الرسوم الهندسية أو التجريدية، مثل الزوايا، وهي موجودة فقط تقريبا في قاعة فسيحة ذات قبو تعرف باسم الصالون الأسود، حيث توجد مجتمعة مع رسومات لثيران وحيوانات أخرى مرسومة أيضا باللون الأسود.

فقد اهتم برسم الحيوانات المعاصرة التى كان يرغب في صيدها مثل الخيول والجاموس والغزلان. لذلك اقتصرت رسومه الأولي علي الحيوان دون الإنسان. ويعتقد العلماء أن فن الإنسان الصياد كان في مظهره الأول منبثقاً من اعتقادات تسيطر عليه، فربما كان يظن أنه مهارته في رسم الحيوانات التي يخافها يعطيه سلطة عليها، وتزيد من مقدرته علي التغلب عليها. لذلك تميزت رسوم الحيوانات بالدقة التامة والحركة والحيوية. ولقد حصل المصور الأول علي ألوانه من أكاسيد الحديد والمنجنيز واللون الأسود من العظام المحروقة.

وهكذا في كهف من العصر الحجري يتكيف التركيب الموضوعي للرسومات الزيتية علي الحائط (أي أشكال العلامات وأنواع الحيوانات) وتركيبها الرمزى (العلاقة المكانية بين الموضوعات) مع التكوين الطبيعي للموقع، ومع المسافات والأحجام وهي تتقدم في تتابع من فوهته حتى مؤخرته، ثم رجوعا مرة أخرى نحو الفوهة، وهكذا نحو الحياة الطبيعية في الخارج.

وتطوق الحوائط الزائر، وتخلق تنوعا لا حصر له في الحجم، فيسهل الدخول في بعضها والمرور فيه أكثر من أخرى، وبعضها فسيح ومثير للرهبة مثل الكاتدرائيات، والبعض مقبض ولا يزيد عن أماكن ضيقة لا يمكن الحركة فيها إلا زحفا. هذه الخواص الطبيعية للموقع تؤخذ في الاعتبار أيضا في طريقة وضع الرسومات الزينية، وتساهم في معناها الرمزي. فالزائر الذي يقف في وسط القاعة المستديرة في كهف لاسكو في دوردوني يستحوذ علي انتباهه الإفريز من الثيران الضخمة التي تجري حول الغرفة في خلفية من شرائط من الصخر الأبيض الناصع الذي يبرز بين قاعدة الحوائط التي تميل للسواد والسقف ذي الحفر العميقة والكتل الناتئة (البارزة).

ومن الواضح أن المواقع في الهواء الطلق ليس بها هذا التنوع الكبير في الأشكال والأحجام الموجودة في الكهوف وحوائطها وسقوفها وأرضيها.

إن الرسم أو الحفر علي الصخر في مأوى صخري يمكن الإلمام به في نظرة سريعة أو من نقطة واحدة متميزة. أما في الكهف، من الناحية الأخرى، فإن الناظر عليه أن يسير خلال المكان الرمزي الذي تخلقه الرسومات المعبرة حتى يستطيع أن يراها "ويقرأها" بأكملها وسواء كانت موضوعة في مجموعات أو معزولة ومتفرقة فهي لا تكتسب حياة إلا إذا تحرك الناظر، وبالتالي تحرك مصدر الضوء. وهي ثابتة في الظلام، ومتفرقة علي سطح الأشكال الطبيعية المعقدة ذات التنوع الهائل، ولذلك فهي تحتاج لبعض الوقت حتى يمكن رؤيتها في تتابعها، ثم إدراكها في مجموعها كأجزاء لشئ واحد كامل هو الكهف ذاته.

والرسوم الزينية في كهوف العصر الحجري، نظرا لأنها تخضع لقيود المكان والزمان والإضاءة المتقطعة لمصدر ضوء صناعي، لا تعيش إلا في ذاكرة هؤلاء الذين

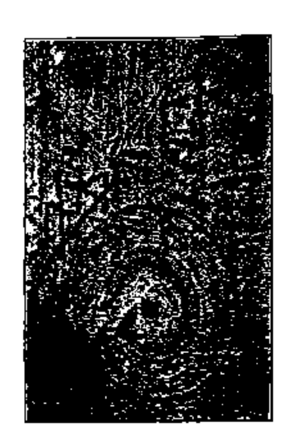
يعرفونها عن قرب، أو في التجربة السريعة لأولئك الذين يصدمون بها لأول مرة. إنها خارج الحياة العادية، وبعيدة عنها، وتنتمي تماما وقطعيا لعالم الخيال.

٢- فنون أخرى:

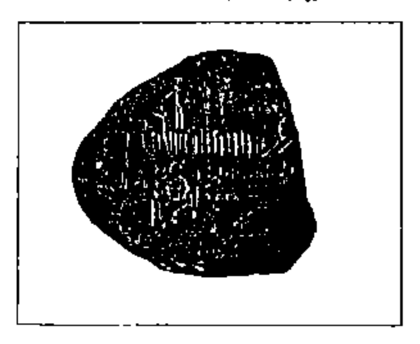
وإلي جانب هذا الفن الحائطي المعزول ماديا ورمزيا، يوجد فن العصر الحجري في شكل العديد من القطع الفنية المصنوعة يدويا، مثل الرسومات الزيتية والحفر علي قطع مسطحة من الحرج أو العظم، أو علي مقابض الأسلحة والمعدات، وأدوات للزينة الشخصية التى لا حصر لها، مثل العقود المصنوعة من الخرز، والدلايات والأساور، والتماثيل الصغيرة المنحوتة من الحجر أو العظم أو العاج. كل هذه الأشياء التى وجد آلاف منها في العديد من المواقع التى كانت مأهولة في أوربا في العصور الحجرية، من أوائل الفترة الأورجناسية، حوالي ٣٥ ألف سنة ماضية، إلي النهاية المتزامنة لعصور الجليد مع الحضارة المجدلانية، تمثل مجموعة كبيرة من الأيقونات الرمزية المندمجة تماما في الحياة اليومية ولسهولة نقلها فقد ساهمت في تنمية التبادل والاتصالات ونشر، الأفكار والأساطير.

٣- فن النحت:

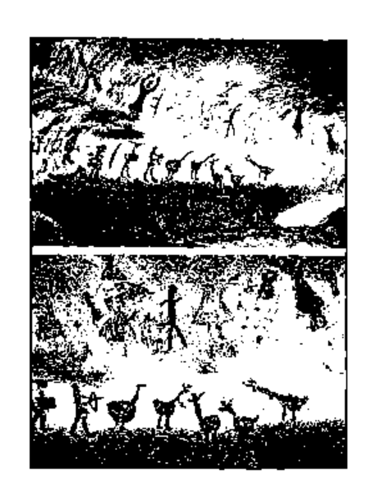
وتشهد تماثيل فينوس الصغيرة من العصر الجرافيتي – وقد وجد منها حوالي مائة تمثال صغير – في مواقع كانت مأهولة في جنوب غرب فرنسا، في براسيمبوي (لاند) وليبيج (هوت جاردن) علي سبيل المثال، وفي أماكن بعيدة جدا مثل السهول الروسية في كوستيينكي أو أفدييفو، علي درجة معينة من وحدة المفاهيم والأساليب الواحدة أو المتشابهة من أحد أطراف أوربا للطرف الآخر علي مدى أربعة أو خمسة آلاف سنة.



شكل (٥٩) حفر على الصخر لدوائر ذات مركز واحد مرتبطة بمحارب على اليمين عثر عليها بمنطقة بدولينا - كامونيكا - بإيطاليا



شكل (٦٠) رسم محفور يمثل قارب من العصر البرونزى–الدنمارك



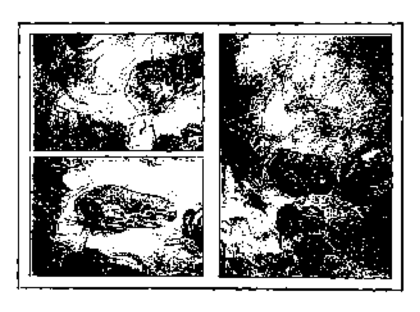
شكل (٦١) رسوم زيتية صخرية تعبرعن صيد الحيوانات رسمت على جدران صخرية ببولغاريا



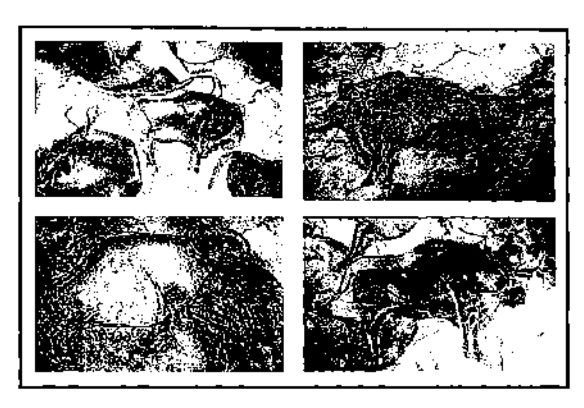
شكل (٦٢) نقوش على الصخر عثر عليها بمنطقة اوسفيك بالنرويج وتعود للعصر الحجرى



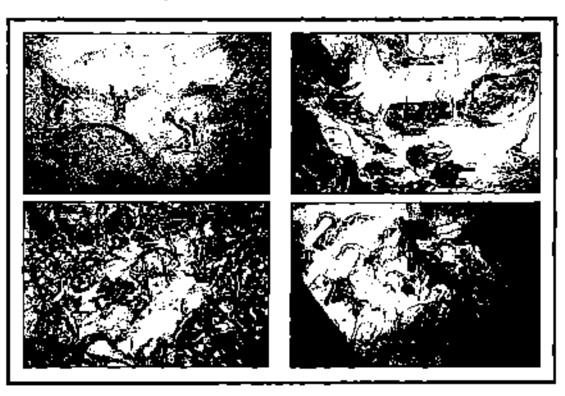
شكل (٦٣) امثلة للرسم الصخرى الملون بكهوف التاميرا باسبانيا والذى يمثل حيوان البيزون



شكل (٦٤) امثلة للرسم الصخرى الملون بكهوف التاميرا بالعصر الحجرى باسبانيا



شكل (٦٥) امثلة للرسم الصخرى الملون بكهوف التاميرا بالعصر الحجرى باسبانيا والذى يمثل حيوان البيزون- الثور الوحشى



شكل (٦٦) جدران كهوف التامير المزينة برسوم ملونة لحيوان البيزون والتى ترجع للعصر الحجرى



شكل (٦٧) رسم توضيحي لرسوم خطية زيتية على الصخر من صنع قناصي العصر الحجرى الاوسط بكهوف جنوب شرق اسبانيا والتى تمثل حيوان البيزون ورسم يجمع بين الانسان والثور



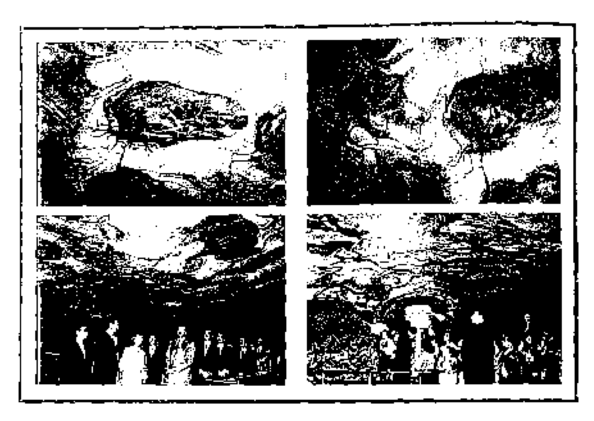
شكل (٦٨) مثال لصخرة رسم عليها بالحفر الغائر وتم تلوين الأشكال بالألوان الزيتية بعد الحفر وتعود للعصر الحجرى بأسبانيا



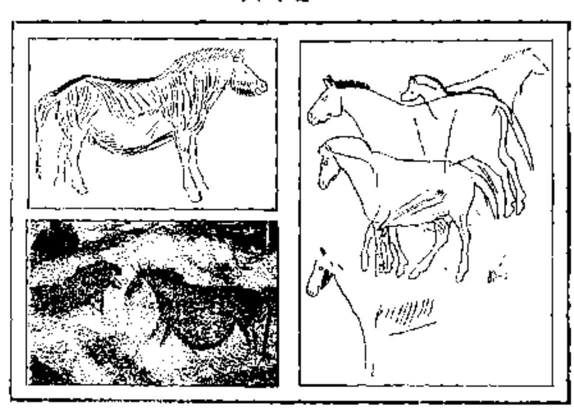
شكل (٦٩) مثال لقدرة الفنان البدائي بالعصر الحجري على الرسم بالتفاصيل التشريحية على أسطح الكهوف والتي تحمل جماليات وتقنيات عالية حتى لو قورنت بالقيم الجمالية والتقنيات المعاصرة



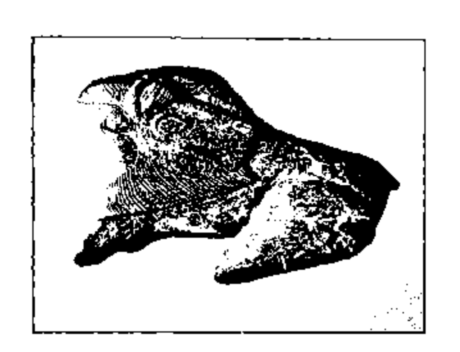
شكل (٧٠) مناظر الصيد بكهوف التاميرا وتمثل حيوانات مختلفة مطعونة بسهام وتظهر عليها تعبيرات الأصالة



شكل (٧١) منظر للرسوم الصخرية الملونة بالالوان الزيتية والتى تعد من أعظم المناطق الأثرية باسبانيا

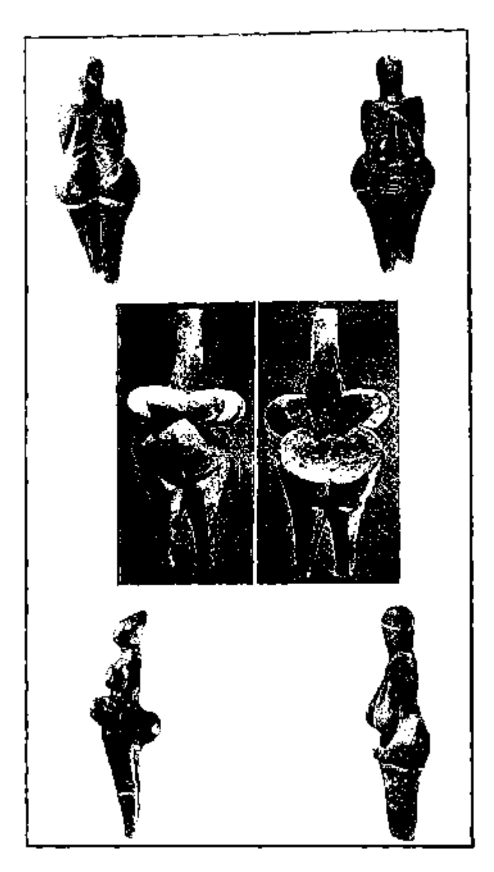


شكل (٧٢) امثلة للفن البدائى بكهوف فرنس تمثل حيوان الحصان

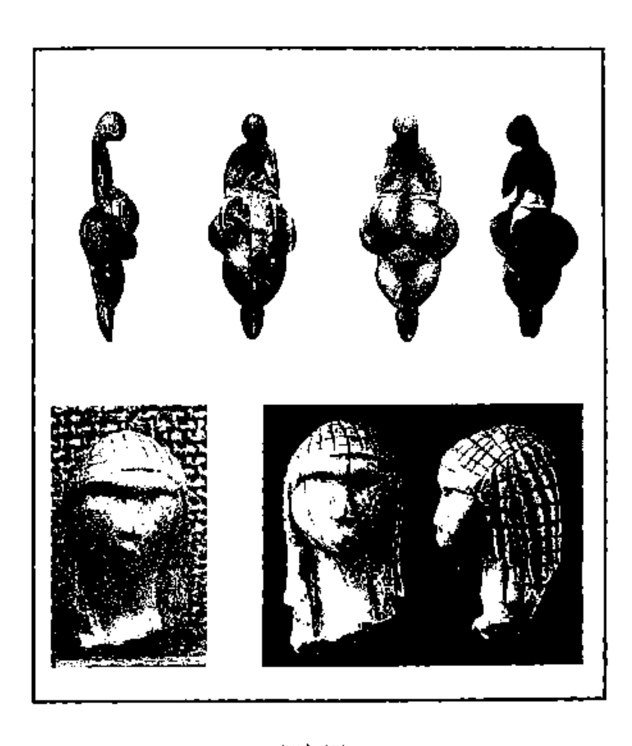


شكل (٧٣) تمثال منحوت على العاج على هيئة حيوان يستدير للخلف يعود للعصر الحجري بمنطقة فلاندروف بفرنسا

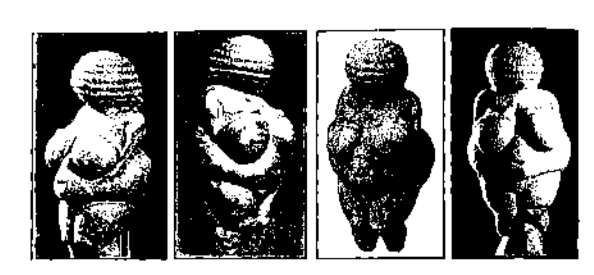
شكل (٧٤) رأس ثور منحوتة على الحجر الجيري عثر عليها بمنطقة أنجل – سير – أنجلان بفرنسا



شكل (٧٥)



شكل (٧٦)



شكل (٧٧)



شكل (٧٨)

الأشكال (٧٥ : ٧٨) امثلة لتماثيل صغيرة لاشكال نسائية والمسمى غادة فلاندروف والتى عثر عليها بمنطقة فلاندروف على الحدود النمساوية الفرنسية ومدينة ولبسورج بفرنسا

شكل (٧٩) أمثلة لسوم الحصان بكهوف شاوفيت بفرنسا



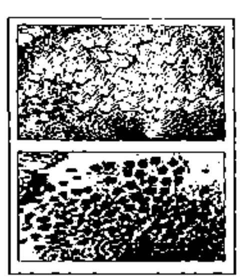
شكل (٨٠) رسوم خطية صخرية بالالوان الزيتية لخرتيتين يتصارعان على جدار كهف بمدينة شاوفيت بفرنسا



شكل (٨١) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف شاوفيت بجنوب فرنسا



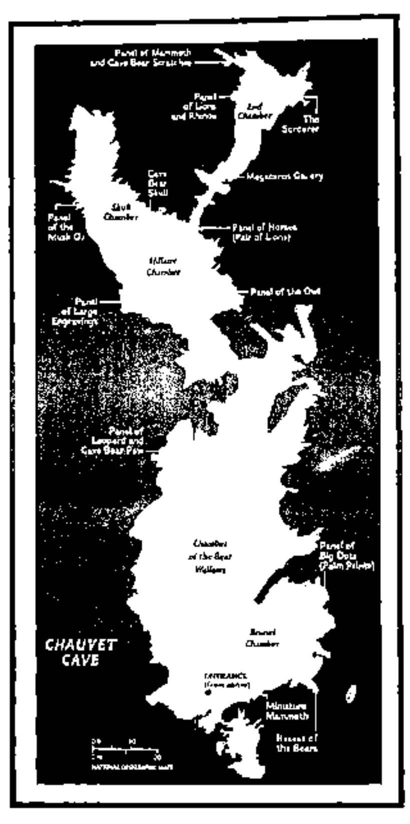
شكل (٨٢) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف شاوفيت بفرنسا



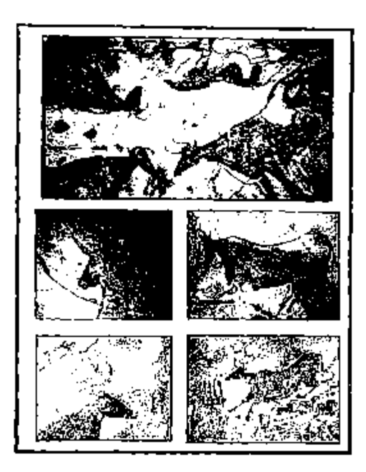
شكل (٨٣) رسوم زيتيةً لآثار ايدى للفنان البدائى طبعت على كهوف شاوفيت بفرنسا



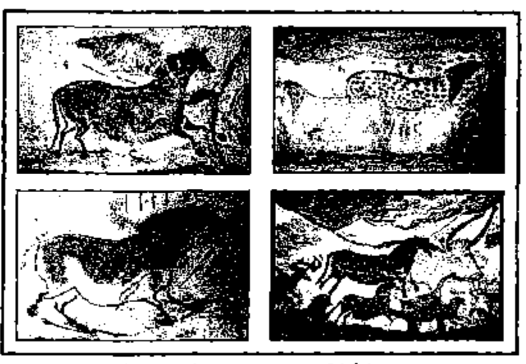
شكل (٨٤) صورة لكهف شاوفيته الضخم بجنوب فرنسا



شكل (٨٥) خريطة توضح أماكن الكهوف بمدينة شاوفيت بجنوب فرنسا



شكل (٨٦) رسوم زيتية ملونة التى تمثل حيوان الثور والتى يظهر بها قدرة الفنان البدائى – على التعبير عن حركات الحيوان المتنوعة بكهوف لاسكو بجنوب فرنسا+



شكل (٨٧) أمثلة لرسوم الحصان بكهوف لاسكو بفرنسا

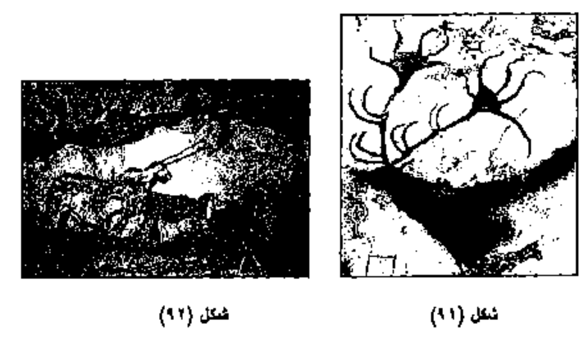


شكل (٨٨) رسوم خطية زيتية ملونة التي تمثل حيوان الثور والتي توضح جماليات الايقاع الحركي الخطي للفنان البدائي - كهوف لاسكو بجنوب فرنسا



شكل (٨٩) رسوم زيتية جدارية ملونة ضخمة رسمها الفنان البدائي بالعصر الحجري على جدران كهوف لاسكو بجنوب فرنسا

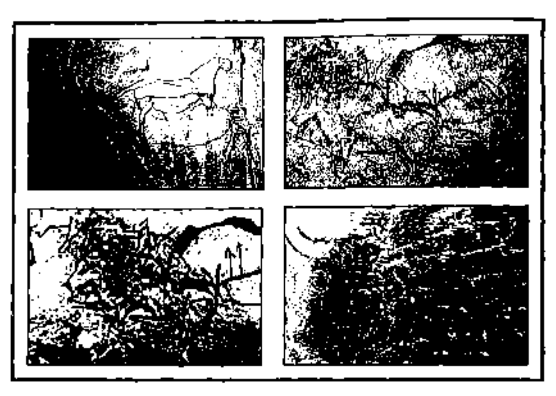
شكل (٩٠)



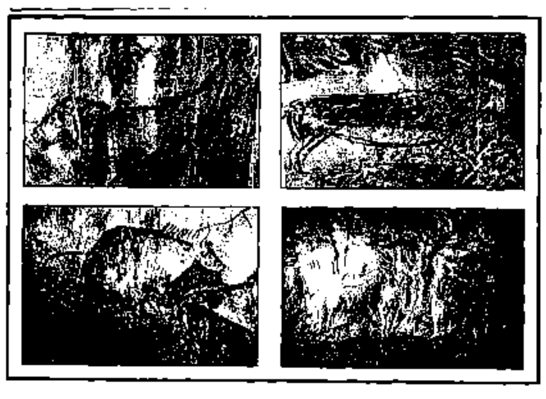
شكل (٩١)

شكل (٩٢)

أشكال (٩٠ : ٩٢) رسوم زيتية ملونة رسمها الفنان البدائي بالعصر الحجرى على جدران كهوف لاسكو بجنوب فرنسا



شكل (٩٣) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف نيو بفرنسا



شكل (٩٤) رسوم زيتية ومحفورة على الصخر لمناظر صيد لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف "نيو" بفرنسا

بدايات الفن في استراليا :

أن السكان الأصليين لكل من قارة استراليا والأمريكتين أصحاب الأرض الحقيقيين ليس لديهم سوى التاريخ المنقوش علي الصخور كسند ملكيتهم لأرضهم، والتي اغتصبت منهم من قبل الغرب الأوربي وتم استعمارها وطرد وإبادة أصحابها الأصليين.

فقد كان سكان استراليا الأصليين من الأبوريجين دائما قناصة – جامعين يعيشون في انسجام مع محيطهم، إنهم يعتقدون أنهم يستطيعون المساعدة في الحفاظ علي دورات العالم الطبيعي من خلال طقوسهم، وأنهم جزء من هذه الطبيعة مثلهم مثل الرياح والمطر والتربة. وفهم خبايا الطبيعة عملية تستغرق حياة بأكملها وهي لا تنكشف تماما إلا لكبار السن في القبيلة والعشيرة.

والفن لدى الأبوريجين هو تعبير عن الحياة الحالية، أي الحياة التي تعتبر حاضرا منذ بداية الزمن. إن حضارتهم هي أقدم الحضارات، والحضارة المستمرة الأكثر شبابا في العالم، وهي أقدم حضارة كما تشهد علي ذلك عملية تحديد التاريخ المسماة "التألق الحراري" وأكثرها شبابا، لأن الممارسات المصورة في رسومات الصخر ما زالت جزءا من حضارة الأبوريجين حتى هذا اليوم.

وطبقا للأبوريجينيين، فإن المحفور أو المرسوم بالألوان علي الحجر هو تعبير عن قوانين العالم الثابتة التي انبثقت منذ "عصر الحلم"، العصر الهلامي غير المتبلور قبل أن يتشكل العالم بالشكل الذي نعرفه اليوم. وقد وضعت هذه القوانين في مكانها بواسطة الأسلاف. وكانت حتى فترة قريبة فقط لا يراها أو يفهمها إلا قلة من العارفين، هم كبار السن الذين أظهروا جدارتهم علي المعرفة.

ويعتقد الأبوريجينيين أنهم إذا لم يحافظوا علي الأرض بشكل إيجابي فإن الأرض ستتوقف عن منح الحياة، كما أنهم يستوقفوا عن الوجود إذا أبعدوا عنها.

قانون "ووناں":

ويعد فن الصخور الاسترالي بمثابة وثيقة مرئية إنه القانون "المكتوب" بلغة الأبوريجيين أن المعلومات في الرسومات وترتيب الأحجار صريحة تماما. إن قانون الرجل الأبيض يتغير من عام لعام، ولكن هذه الرسومات لا تتغير أبدا. إن تصوير أحد الرجال، وهو يعطي شيئا لرجل أخر، علي سبيل المثال، لا تتعدل أبداً، وقد كانت هناك، بالنسبة للأبوريجينيين، منذ الأزل. ولها بالنسبة لهم قوة القانون.

فعلي سبيل المثال، رسم لرجل يعطي شيئا لرجل آخر؟، إنها "تعني وونان"، أو فعل المشاركة.

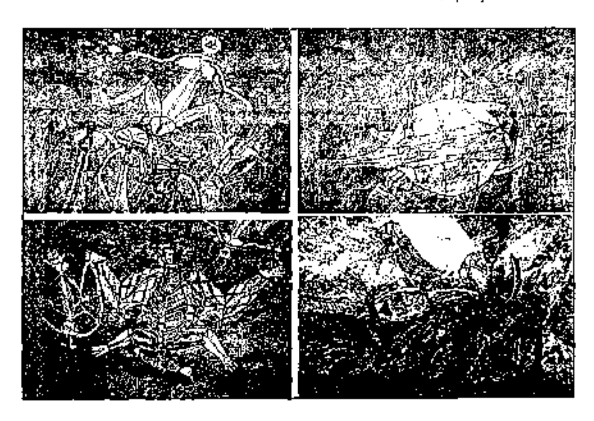
إن قانون الوونان يسري علي الجميع. إن كل شئ كان دائما مشتركا بين الجميع. لا أحد يعيش خارج السلسلة. كل واحد أنت وأنا، وكل واحد – في داخل وونان، الحيوانات والأشياء والطيور، كل شئ جزء من قانون وونان.

لقد بدأ كل شئ عند مائدة وونان الحجرية. إنها المائدة الحجرية التي ترشدنا. لقد اجتمع كل شعبنا هنا لوضع القواعد والقوانين.

لقد أتت كل القبائل من الأربعة أركان في المنطقة لوضع قانون وونان، لقد تكلموا واتفقوا علي كيفية المشاركة في الأرض، وأين يجب أن تكون الأماكن المقدسة. لقد اصطف كل رجال قانون وونان ولم يترك أحد. لقد قسمنا الأرض. لم نترك أحدا ولم ننس أحد.



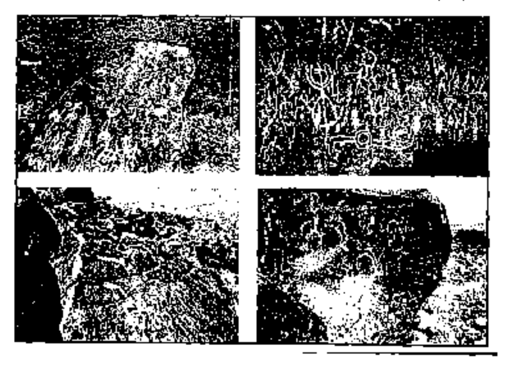
شكل (٩٥) جمجمة لانسان من العصر الحجرى عثر عليها باستراليا



شكل (٩٦) رسم صخرى للابوريجيين الأوائل يعبر عن أشكال آدمية وحيوانية



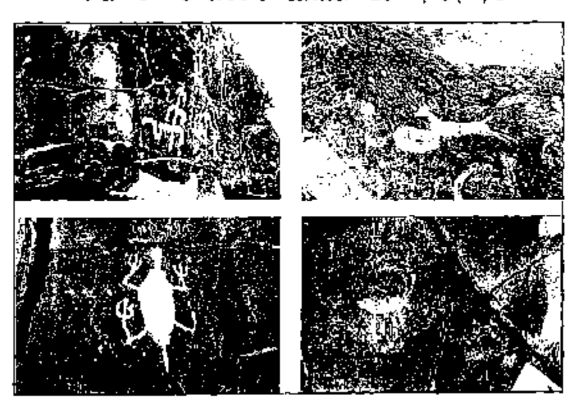
شكل (٩٧) حفر صخري للابوريجيين الاوائل يعبر عن اشكال رمزية وحيوانية



شكل (٩٨) رسم صخري للابوريجيين الاوائل يعبر عن اشكال هندسية وحيوانية



شكل (٩٩) رسم صخرى للابوريجيين الاوائل يعبر عن اشكال حيوانية-



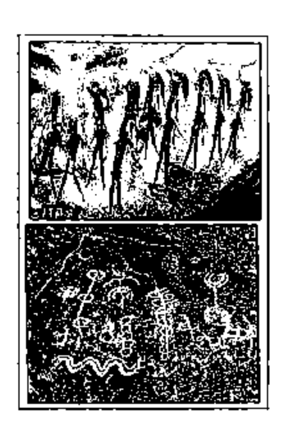
شكل (١٠٠) رسم صخرى للابوريجيين الاوائل يعبر عن اشكال حيوانية



شكل (١٠١) رسم صخرى للابوريجيين الاوائل يعبر عن اشكال آدمية وحيوانية



شكل (١٠٢) رسم صخرى للابوريجيين الأوائل يعبر عن حيوان الكنجارو



شكل (١٠٣) رسم صخرى للابوريجنيين الاوائل يعبر عن اشكال آدمية وآدمية محورة أو محرفة



شكل (١٠٤) تحديد لأشكال أيدى وفئوس – ممر كارنافون – كوينزلاند –استراليا



شكل (١٠٥) جزء تفصيلي من رسوم كهف كيب ريفر – بالقرب من مدينة كونوتورا – بشمال استراليا



شكل (١٠٦) احجار ضخمة تسمة – احجار الشيطان – والتي توجد بالقرب من ينابيع آليس – بشمال استراليا والتي تعتبر موقعا مقدساً بواسطة الابوريجيين

بداية الفن في الأمريكتان:

تذخر كارتا أمريكا الشمالية والجنوبية بالعديد من الآثار التي تمثل بـداياته الفن في العصور الحجرية القديمة، فنجد ذلك في كهوف الولايات المتحـدة (بسـان فرانسيسكو – كاليفورنيا – وأوتاه) والمكسيك والأرجنتـين والبرازيـل وأرجـواي وبيرو، وترجع جميعها لفنون الإنسان الأول بأمريكا.

قد بدا وانتشار الإنسان في أمريكا منذ حوالي ٣٥ ألف سنة ق.م عندما أخذت جماعات من صيادي العصر الحجري القديم في الخروج من شمال شـرق سـيبريا متجهاً إلى الأمكا عبد الجسر الجاف الذي وجد في بعض فترات البليستوسين فـي ممر "بيرنج" حاملة معها حضارات متنوعة إلى موطن جديد.

وقد تكونت العشائر والقبائل نتيجة لعملية النمو الطبيعي المسـتمر وازدادت سرعة تلك العملية بفضل الامتداد الجغرافي الضـخم للقـارة الأمريكيـة وبمـرور السنوات أدي بدوره إلى قلة الموارد اللازمة للوجود، وبالتالي أدي ذلـك لانفصـال جزء من السكان للبحث عن مناطق جديدة ذات ظروف طبيعية أفضل وطقس معتدل دافئ وتشير المعلومات إلى أن قبائل الهنود الحمر عاشت في مستوي متطور خلال مرحلة العصر الحجري الحديث ووصولاً إلى مرحلة متقدمة في تصـويب السـهام وكذلك ظهرت أدوات إنتاجية جديدة من الأدوات والأسلحة.

واستخدم الخشب بكثرة في تصنيع القوارب وتشييد أعمدة المسـاكن، كمـا استخدم الشحم الحيواني وقوداً أساسياً، كما أنهم اعتمـدوا علـى صـيد الماموث والبيزون "الثور الأمريكي" وحيوانات أخري ونتيجة للتنوع المتزايـد فـي البيئـة المحيطة التي تتوافر فيها أنواع نباتية وحيوانية متعددة صالحة للاستغلال، فقد شعر

الإنسان البدائي الأمريكي باحتياج لتكوين معرفة أكثر للبيئة المحلية ومواردها النافعة، وبما يمكنهم من التكهن بالمدي الذي يكون فيه كل مورد منفرداً.

وقد ظل الشكل السائد للتنظيم الاجتماعي هو القبائل والعشائر حتي ظهور الزراعة في أمريكا الوسطي والرعي في وقت متأخر عن ظهورها في مصر وباقي أجزاء العالم القديم، ومع استقرار الإنسان البدائي في أمريكا ظهرت فنون متنوعة وعديدة منها صناعة الفخار وعمل السلال والفنون الحجرية الدقيقة تعتبر من أوائل الصناعات والحرف اليدوية التي مارسها الإنسان البدائي تلبية لاحتياجاته بالإضافة للزراعة والصيد، ثم تلا ذلك اكتشاف المعادن وخاصة البرونز وقد شهد ذلك تطوراً كبيراً في المجتمعات البدائية وتلا ذلك ظهور علوم الفلك وعلوم الحساب عند شعوب أهالي المايا، كما هو مسجل على الآثار الحجرية عندهم التي كانت فريدة في العالم القديم.

وتعد الزخارف المتميزة وأشكال الفخار بالمكسيك والمايا وبيرو القديمة وأيضاً منسوجات بيرو القديمة الذي تفوق على نظيره في مصر القبطية وهذه الأعمال الفنية ظهرت في بدايات الفن في أمريكا ولقد تركت هذه الفنون البدائية أثرها على الفنون الشعبية المعاصرة في نصفي القارة الأمريكية، ويمكن أن نتناول بدايات الفن في الأمريكتان من خلال دراسته فيما سيلي:

١- بدايات الفن في أمريكا الشمالية:

أ- بداية الفن في الاسكيمو.

رغم أن سكان الاسكيمو القدامي لم يكونوا مجموعات كبيرة ولكنهم احتلوا منطقة جغرافية شاسعة تمتد من شمال غرب الأسكا إلى جرين لاند ولا برادار، وتتشابه حضارة الاسكيمو كحضارات شعوب المناطق القطبية، وقد وصلت مظاهر

فنون هذه الحضارات ذروتها وتقدمها في الاسكا وتميزت بدايات الفن بالاسكيمو بفنونهم التشكيلية الصغيرة والتي تمثلت في تماثيل صغيرة مصنوعة من العاج أو العظم إلى جانب النقوش المحفورة أيضاً على العاج أو العظم، والتي تمثل أحياناً مناظر الصيد لأشكال حيوانية وأدمية صغيرة منقوشة في غاية الدقة.

ومن الغريب ما وجده علماء الآثار من تشابه قوي يحدد التوازي الشكلي بين الفن الصيني القديم والفن الزخرفي لهنود الساحل الأمريكي الشمالي الغربي بالاسكيمو، رغم أنها تفصل بينهما مساحات شاسعة وحقب زمنية طويلة.

ب- بدايات الفن في كولومبيا :

يعتبر أهم مراكز الفن البدائي وأشهر أنواع للفن الهندي الأمريكي في الشمال الغربي بمنطقة كولومبيا وهو ما يطلق عليه أسم "طوطم القطب" وهو فن شائع جداً في جميع أنحاء أمريكا ويشمل فن النحت والرسم والنقش على الحجر، الذي يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ ومنها ما عثر عليه بجزيرة "فانكوفر" لأشكال حيوانية منقوشة على الحجر، أما عن النحت فقد تميز النحت الخشبي بالأسلوب الواقعي ومحاكاة الطبيعة بدقة، ومن الواضح أن الخامة الزائلة لم يدوم فترة طويلة مع ذلك المناخ الرطب .

ولهذا لم يتبق لنا سوي عدد قليل من الآثار لهذا الفن الطبيعي المبكر في كولومبيا ومن أمثلة هذه المنحوتات تمثال خشبي صغير لضفدع عثر عليه في مقبرة في أعالي نهر فريز بكولومبيا والموجود حالياً بمتحف برلين.

كما عثر بهذه المنطقة على العديد من الأقنعة الخشبية المصنوعة من خشب الأرز الملونة بالأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأصفر والتي غالباً ما كانت تستخدم في الطقوس الشعائرية والرقصات والتي تعبر عن أساطير القبائل وتستخدم

لتمثيل الأقطاب الطوطمية وهي الشخصيات الأسطورية التي لها صفة التقديس في القبائل الهندية الأمريكية.

بدايات الفن في الولايات المتحدة الأمريكية :

وتذخر الولايات المتحدة بالعديد من الآثار التي تمثل بدايات الفن في العصور الحجرية القديمة بولاية سان فرانسيسكو وكاليفورنيا وأوتاه وتكساس – الخ، ويمكن أن نتناول آثار ولاية تكساس على سبيل المثال فيما يلي:

وتعد مساحة تكساس الشاسعة غنية بالكنوز الأثرية من الآثار التي تمثل بدايات الفن في العصور الحجرية القديمة بولاية سان فرانسيسكو وكاليفورنيا وأوتاه وتكساس .. الخ، ويمكن أن نتناول آثار ولاية تكساس على سبيل المثال فيما يلي:

وتعد مساحة تكساس الشاسعة غنية بالكنوز الأثرية من الآثار الإنسانية والأعمال الفنية، وجامعة تكساس بها مركز للبحوث الأثرية والإنسانية في هذه الولاية، وأهم الفنون هي الفخاريات، والأعمال النحتية الصخرية، أقداح وقوارير من الفخار موجودة في أقلي "كادو" في مقاطعة "كامب" وفي ولاية تكساس، أما رسوم الكهوف الصخرية فنجدها في جميع أنحاء الولاية وبعض هذه الرسوم ذات مساحات ضخمة ومليئة بالرسوم تحتوي هذه الرسوم أحياناً على رسم الحية الخرافية (التنين الأسطوري)، والذي يلعب دوراً هاماً في أساطير القبائل البدائية في العديد من الولايات الأمريكية.

بدايات الفن بالمكسيك :

تعد بدايات الفن بالمكسيك لها وضع متميز عن كافة المناطق الأمريكية، إذ أنها أصل الحضارات القديمة البدائية في أمريكا والتي ترجع تاريخها إلى عصور ما

قبل التاريخ، ولقد برزت على حضارتى "المايا والازتيك" بالمكسيك القديمة وتميزتـا بما تركتاه من آثار ثرية وأعمال فنية ذات قيمة جمالية متميزة ويمكن أن تستعرض أحدهما وهى حضارة المايا فيما يلى:

حضارة المايا

وتعتبر منطقة (تيو تيهوا كان) المتميزة بالأهرامـات المتدرجـة والمعابـد العديدة والآثار النحتية الضخمة من أقدم الحضارات المتميزة في أمريكا اللاتينية ولقد أطلق على حضارة المكسيك القديمة أسم "حضارة المايا".

شعب المايا ترجع أصوله إلى الهنود الحمر الأمريكيين الذين ساهموا في بناء حضارة في المكسيك. ووصلت حضارة المايا أقصى مراحل تطورها الكبـرى فـي منتصف القرن الثالث الميلادي واستمرت في الازدهار لأكثر من ستة قرون.

أنتج شعب المايا نماذج مرموقة من فن العمارة والتصوير التشكيلي والخزف والنحت، وحققوا تقدمًا كبيرًا في علم الفلك والرياضيات وطوروا تقويمًا سنويًا دقيقًا. وكانوا أحد الشعوب الأولى في النصف الغربي للكرة الأرضية، حيث كـان لـديهم شكل متطور للكتابة. وعاش شعب المايا في مساحة تقارب ٣١١ ألف كم٢، وقُسمت في الوقت الحاضر أرض المايا بين عدة بلدان من أمريكا الوسطى. فهي تتكون من الولايات المكسيكية كامبيشي، ويوكاتان، وكوينتانا رو وجزء من ولايتيّ تاباسـكو، وتشياباس. كما تضم كذلك بليـز ومعظـم جواتيمـالا، وأجـزاء مـن إلسـلفادور والهندوراس. ويوجد مركز حضارة المايا في الغابة المدارية للأراضي المنخفضـة في جواتيمالا الشمالية. وتطور في هذه المنطقة عدد من مدن المايا المهمـة، مثـل: بييدراس نيكراس، وتيكال و أوكساكتون.

تم اكتشاف أهرامات تابعة للمايا على طول المناطق الممتــدة مــن أمريكــا الوسطى إلى جزيرة "جــاوا" الأندونيسية في المحيط الهادي فهرم سوكوه الموجــود على مفوح جبل لاوو بالقرب من سوراكارتا في جافا الوسطى هو عبارة عن معبــد مذهل يحتوي على بلاطة منقوشة واقفة في قمته درجات نازلة من جهاته الأربعــة بحيث يشبه تماما أي هرم موجود في غابات أمريكا الوسطى وهو متطابق تماما مع الأهرامات الموجودة في موقع المايا الأثري المشهور في أوكزاكتون بــالقرب مــن تيكال جواتيمالا.

فقد عثر في أحدى المعابد الهرمية في "بلانكو" بالمكسيك والذى شيد في عهد "المايا" منذ أكثر من الفي عام علي تابوت حجري يحمل غطاؤه صور لشخص يشبه في هيئته ملاح فضاء علي وشك الإقلاع بصاروخ واضعاً إحدى قدميه علــي دواة وتبدو إحدى يديه وكأنها تعمل علي لوحة القيادة، ويعتقد بعــض خبــراء الملاحــة الفضائية في العصور القديمة أن هذا النقش النائي يمثل جهازاً يشبه الصاروخ وحين تم فك رموز النقوش تبين أنها تمثل رموزاً كونية.

ومن الغريب أيضاً أن أحد هذه المعابد الهرمية بمنطقة اكرافــي بالمكســيك احتوى علي أربعة جوانب من السلالم وكل جانب مكون من ٩١ سلماً وهذه السلالم جميعاً مع القاعدة عددها ٣٦٥ سلمة، وهو ما يمثل عدد أيام السنة وهو ما ينم عــن معرفة هذه الحضارة القديمة بالحساب وعلوم الفلك.

فقد كان المايا القدماء ضالعين جدا في علم الفلك كما أنهم رياضــيون بــارعون وكانت مدنهم القديمة تتناغم بيئيا مع الأرض الزراعية المحيطة بها.لقد شيدوا القنــوات ومدنا من الحدائق الهيدروبونية (حدائق تنمو فيها النباتات بواســطة مــواد عضــوية وكيماوية غنية جدا بدلا من التربة العادية) على طول شبه جزيرة اليوكوتان .

بعض للكتابات الصورية هي ليست كتابة أكثر من كونها نقوشا ورسـومات ترسل ذبذبات أثيرية خاصة لطرد الحشرات ،ويسود اعتقاد كبيـر بـين البـاحثين وعلماء الآثار بأن المكتبة الكونية السرية التي تكلمت عنهـا جميـع المخطوطـات القديمة،والتي تحتوي على أسرار ا لوجود هي موجودة في أحدى المواقع في بـلاد المايا ربما تحت أحد الأهرامات أو وسط نظام معقد من شبكة أنفاق ومتاهات تحـت أرضية وبعض المصادر تقول أنها مخزنة في قطع كريستالية من للكوارتز والتـي صنعت بطريقة خاصة تجعلها قادرة على تخزين كمية هائلة من المعلومات كما يفعل القرص المدمج العصري Cd.

وفي ١٩ ابريل, ٢٠٠٦ تم إكتشاف عالم بأكمله تحت الأرض أقامته حضارة المايا، فقد كان الإنسان في حضارة المايا القديمة يعتقد أن الفجوات الموجـودة فـي صخور الغابات التي تحتوي على مياه شديدة النقاء، ما هي إلا بوابات للعالم السفلي وعرش إله المطر الذي يهدد الكون دائما والذي يتعين تهدئته بقرابين بشرية.

والآن فإن هذه الفجوات العميقة بالصخور الجيرية التي تحتوي على المياه فـي أسفلها تخرج لاكتشافات علمية ربما يكون من بينها وسائل لعلاج مرض السرطان.

وفي ريفييرا مايا وهي شريط من المنتجعات السياحية في الكاريبي، بما في ذلك موقع تولوم الأثري الشهير، يوجد أكثر من ٥٠٠ فجوة صخرية بعضها ينفذ إلى الغابات في حين أن فجوات أخرى بها ثقوب صغيرة للغاية مثل فتحة العين تسـمح بدخول ضوء الشمس وجذور الأشجار.

ويقوم الغواصون بالنزول إلى تلك الفجوات التي تزخر بها شـبه جزيـرة يوكاتان لاكتشاف شبكة لأنهار هائلة تحت الأرض.

وتمكن الغواصون حتى الآن من رصد ٦٥٠ كلم من القنوات التـي تشـكل جزءا من دلتا نهر هائل تحت الأرض يصب في البحر الكاريبي وهـو مـا اعتبـر مجرد بداية.

ويجري العلماء دراسات حول شبكة من الكهوف والدهاليز التي شكلتها مياه الأمطار التي تمر عبر الحجر الجيري المسامي ووجدوا ثروة من الآثـار وعظـام حيوانات من فترة ما قبل التاريخ.

ومن الاكتشافات الأخرى التي حققها الغواصون الذين يتجولون فـي تلـك الممرات العميقة المظلمة عظام حيوانات عملاقة تشبه الأرانب وحتى الماموث وهي كائنات تعود لما قبل آخر عصر جليدي.

ويقول "سام ميتشام" وهو من مكتشفي العالم الموجود تحـت الأرض ومـن المدافعين عن البيئة "عندما نقول للناس إن هناك أفيالا تحت الأرض يعتقـدون أننـا فقدنا صوابنا".

وقد تسربت المياه عبر الحجر الجيري الذي يشبه الإسفنج مما جعلها نقيـة وشفافة للغاية حتى أن الغواصين يقولون أنهم يشعرون وكأنهم يعومون في الفضاء.

وتتراوح أعماق عيون المياه من عدة أمتار إلى أعماق كبيرة لم تصل إليها بعـد يد الاستكشاف متعدية مسافات يزيد عمقها على ١٥٠ مترا. وهذه البيئة الموجـودة فـي الأسفل فريدة وهي تضم أشكال حياة لم يكن يتصور أحد على الإطلاق أنها موجودة.

لماذا اختفت تلك الحضارة؟

المعروف عن المايا أنهم كانوا من أكثـر الشـعوب إيمانـاً بضـرورة تقـديم الأضحيات البشرية خصوصاً للآله فينوس (كوكب الزهرة) و الذي كانوا يحضرون لـه عدداً من الفتية و الفتيات لقتلهم عند ظهور الإله فينوس في السماء في مناسـبات كانـت

تأتي كل عشرين عاماً. حسب اعتقادهم، كانت الأضحيات البشرية بمثابة الطلب من الآله بأن ينقذهم و ينقذ حضارتهم. لتجنب التهديدات التي كانت تحيط بعالمهم، إتجه المايا الى علم الفلك، الذي كانوا أساتذة فيه، و قاموا باستخدام معارفهم الفلكية في التنجيم الذي آمنوا بقدرته على إزالة الأخطار المحدقة بحضارتهم أو الحد منها.

لهذا قاموا أيضا بوضع تقويمين؛ واحد للإستخدام المدني و الأخر للإستخدام الديني... و قاموا بحساب مواقع الأجرام السماوية على امتداد مئات السنين لاعتقادهم بأن الأحداث الماضية يجب أن تتكرر في المستقبل.

الأيام و الأعوام كانت بمثابة كائنات حية بالنسبة لهم، و كل منها لـه قوة خاصة (إما إيجابية أو سلبية)، فقد كان فينوس الآله الأعظم من الناحية التدميرية، لهذا كان عليهم دائما إبقاءه هادئا بتقديم الأضحيات البشرية، فكل تلك الشعائر، القاسية جدا بطبيعتها، لم تفدهم في شيء... فنهايتهم جاءت بكل الأحوال.

طور سكان المايا لغة خاصة بهم و تمكنوا من إنشاء أهرامات عظيمة الحجم و مبان متعددة الطوابق... و مما تم اكتشافه أيضا أنهم كانوا أول من لعب كرة القدم في التاريخ... المدن الرئيسية مثل كوبان، تيكال و كاراكول هُجرت بالكامل و ابتلعتهن الغابات المحيطة.

عندما تعرف الإسبان على تلك الحضارة في القرن السادس عشر، كان المايا مجرد مجموعات صغيرة من البشر الذين كانوا دائمي الحديث عن حضارتهم التي ازدهرت بين الأعوام ٢٠٠ و ٨٠٠ ميلادية.

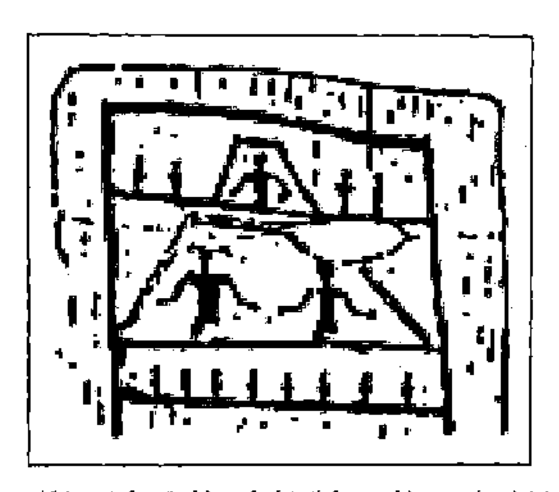
ما الذي أوصلهم الى النهاية؟

كان المايا يعتبرون أنفسهم أسياد العالم (على الأقل، العالم المعروف لهم)... لهذا فقد استغلوا مواردهم الطبيعية دون حساب... احتفظ أفراد العائلة الحاكمة و الطبقة العليا من المجتمع بحاجز يفصلهم عن بقية أفراد الشعب الفقير بالإعتماد على أساليب مختلفة منها الدين... حتى أفراد تلك الطبقة العليا كانوا مفرقين فيما بينهم و في حالة عداء دائم... كل هذا أدى الى إهمال المصلحة العامة.

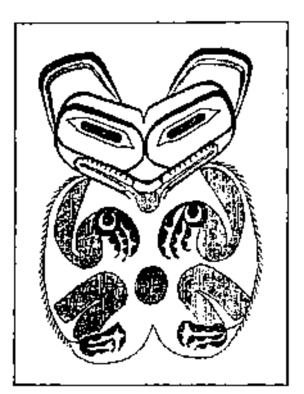
الزراعة كانت من أسس اقتصاد المايا في بيئة كانت مناسبة في البداية، فقاموا بالقضاء على الغابات المحيطة بمدنهم ليفسحوا المجال للزراعة... و توسعوا في زراعتهم باستمرار.

صعوبة المواصلات جعلت الوصول الى بعض المناطق لجمع المحاصيل أمرا في غاية الصعوبة؛ فهم لم يعرفوا الدواليب (أو العجلات) ولم يستعملوا الآلات في الشحن... ثم أنهم ركزوا في زراعتهم على محاصيل الذرة في اقتصاد معتمد على عامل واحد مشابه للاقتصاد المعتمد على النفط اليوم.

بسبب الاستخدام غير المتوازن للتربة و المياه... ظهرت مشاكل لم تتمكن الطبقة الحاكمة من إيجاد حلول عملية لها، فلجأت للحلول الدينية و الشعائرية كالأضحيات البشرية مما أدى الى تفاقم المشكلات و بمرور الوقت أصبح الجفاف و من ثم الأعاصير و تفشي الأمراض من الأمور دائمة الحدوث و معها انتهت ثقة المواطنين بالحكام مما أدى الى ثورتهم عليهم في مدن عديدة... و في النهاية، هجر المواطنون تلك المدن تماماً... و انتهت حضارة المايا... بفضل المنجمين.



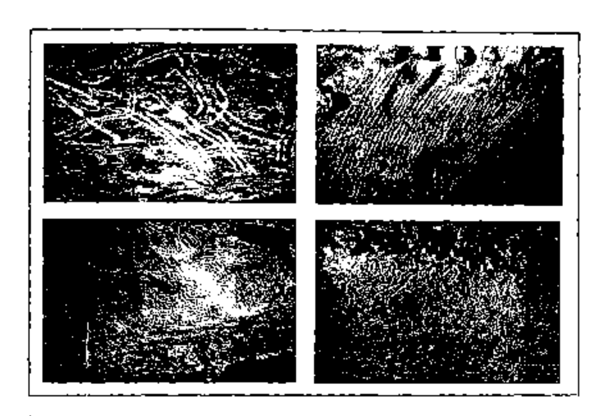
شكل (١٠٧) رسوم خطية توضيحية لأشكال آدمية وزخرفية تمثل بداية الفن بمنطقة الاسكا ويرجع تاريخها للعصر الحجرى



شكل (١٠٨) رسم توضيحي يمثل شكل لحيوان الدب
ويرجع للعصور البدائية بمنطقة كولومبيا بأمريكا الجنوبية



شكل (١٠٩) رسم توضيحي لتمثال منحوت من الخشب يمثل شكل ضفدع مجوف طوله ٢٢سم
موجود بمتحف برلين ويرجع للعصور البدائية بمنطقة كولومبيا بأمريكا الجنوبية



شكل (١١٠) رسوم صخرية مرسومة على جدران كهف جورج بالولايات المتحدة الامريكية يرجع تاريخها للعصر الحجرى والتى تتميز بإحتوائها على أنوع عديدة من الخطوط المجردة



شكل (١١١) رسوم جدارية للفنون البدائية والتي تعبر عن صيد الحيوانات ترجع للعصر الحجرى عثر عليها بولاية تكساس الامريكية



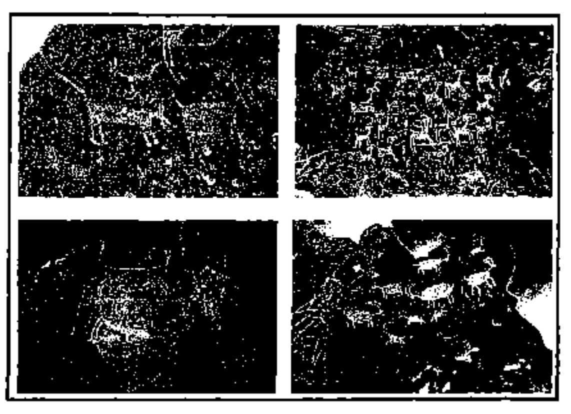
شكل (١١٢) رسوم جدارية للفنون البدائية والتي تعبر عن اشكال آدمية ترجع للعصر الحجرى عثر عليها بولاية تكساس الامريكية



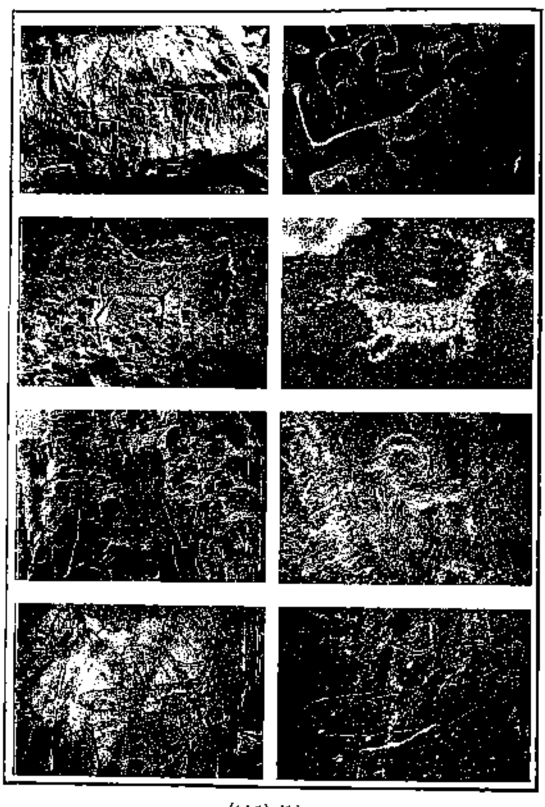
شكل (١١٣) حفر على الصخر يعبر عن مجموعات من الاشكال الآدمية والحيوانية والرموز المجردة على جدار صخري – بصخرة الجريدة newspaper-rock بمدينة كانيونلاند بولاية أوتاه بالولايات المتحدة الامريكية



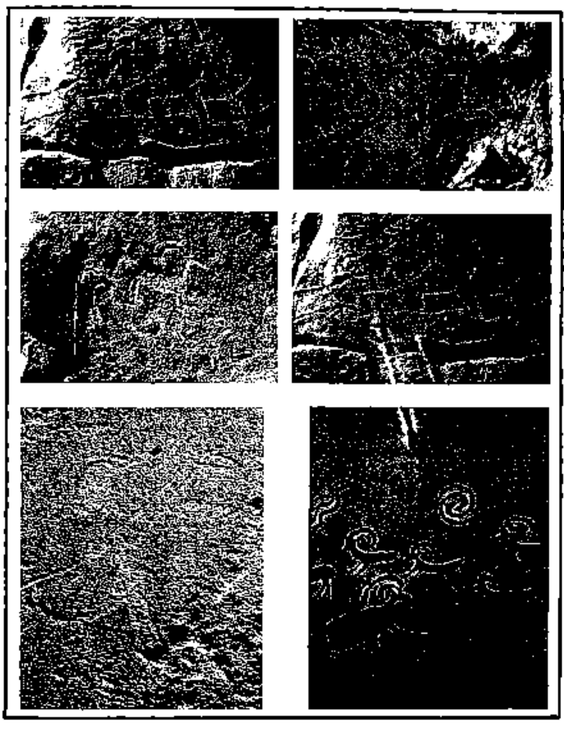
شكل (١١٤) حفر على الصخر يعبر عن مجموعات من الأشكال الآدمية والحيوانية والرموز المجردة على جدار صخري - بصخرة الجريدة newspaper-rock بمدينة كانيونلاند بولاية أوتاه بالولايات المتحدة الامريكية



شكل (١١٥)

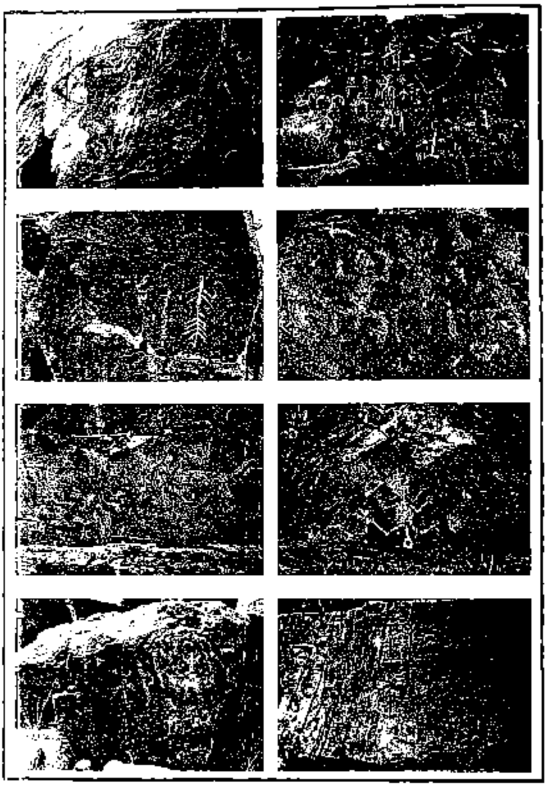


شكل (١١٦)

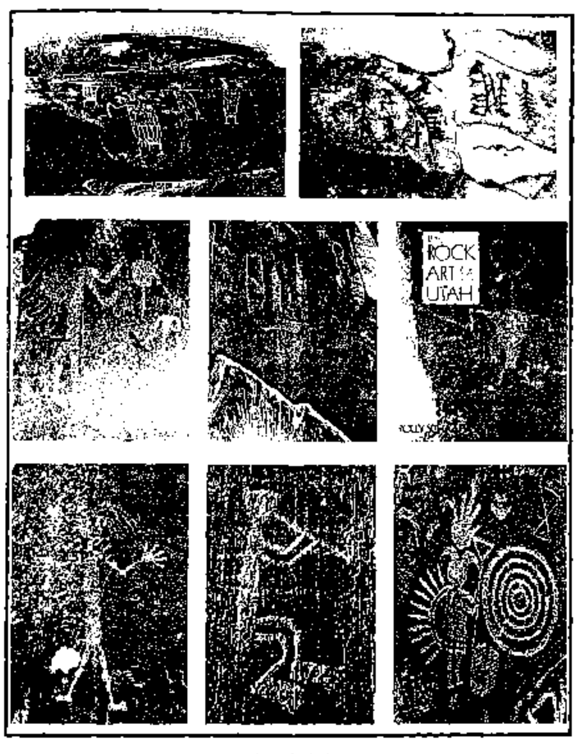


شكل (١١٧)

أشكال (١١٥ : ١١٧) رسوم صخرية لأشكال حيوانية عثر عليها بالولايات المتحدة الامريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجرى

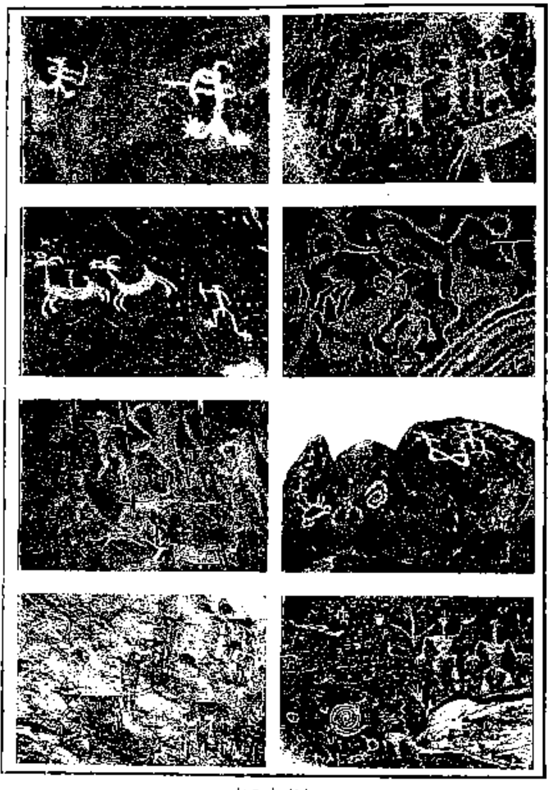


شكل (١١٨)

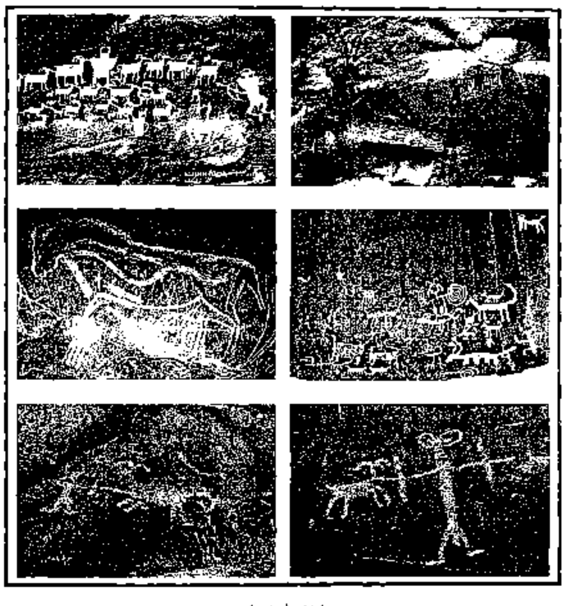


شكل (١١٩)

أشكال (١١٨: ١١٩) رسوم صخرية لاشكال آدمية عثر عليها بالولايات المتحدة الامريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجرى

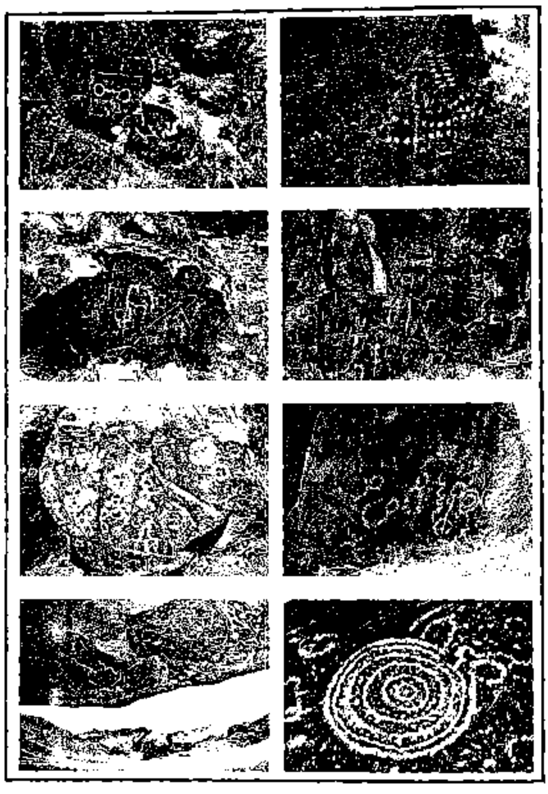


شكل (١٢٠)

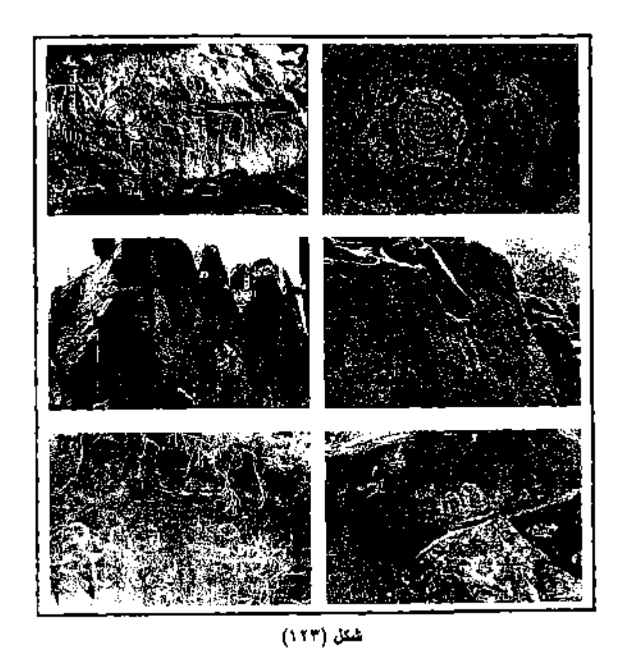


شكل (١٢١)

أشكال (١٢٠: ١٢١) رسوم صخرية تعبر عن الصيد عثر عليها بالولايات المتحدة الأمريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجرى

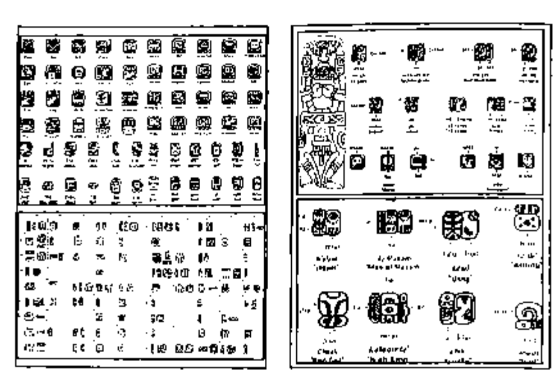


شكل (١٢٢)

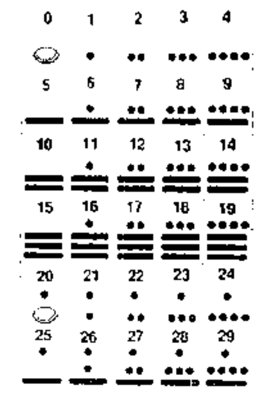


شكل (١٢٣)

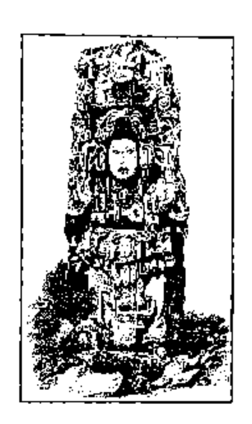
أشكال (١٢٢: ١٢٣) رسوم صخرية تعبر عن أشكال رمزية وهندسية عليها بالولايات المتحدة الأمريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجرى



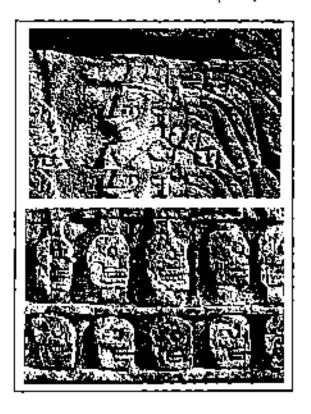
شكل (١٢٤) أمثلة للرموز والأرقام المميزة لحضارة المايا بالمكسيك



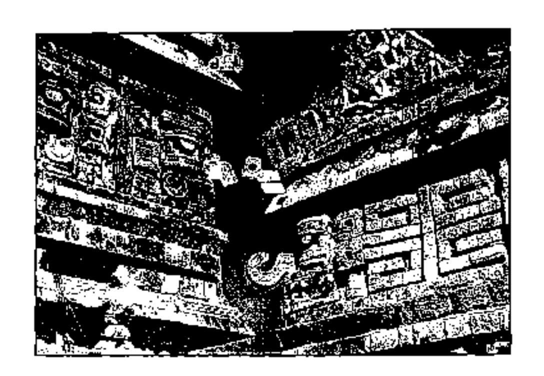
شكل (١٢٥) جدول الأرقام لدى شعب المايا



شكل (١٢٦) صورة أحد تماثيل شعب المايا



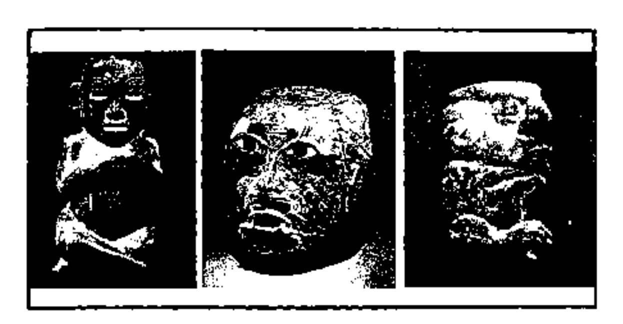
شكل (١٢٧) أمثلة لبدايات فن النحت الجدارى البارز بالمكسيك والذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



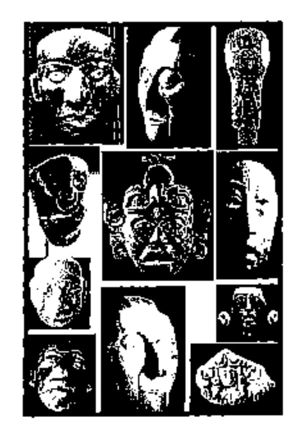
شكل (١٢٨) أمثلة لبدايات فن النحت الجدارى البارز بالمكسيك والذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



شكل (١٢٩) امثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخة لعصر حضارة المايا



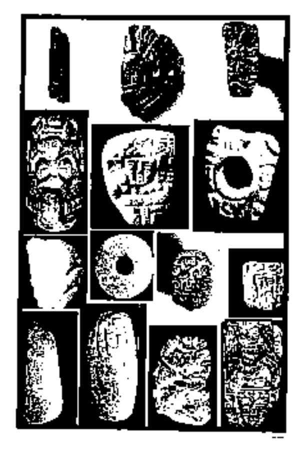
شكل (١٣٠) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت   بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



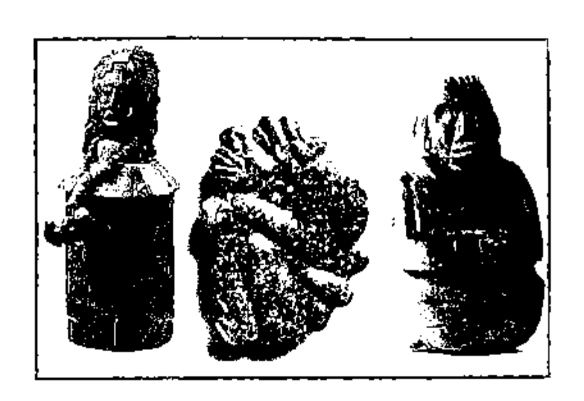
شكل (١٣١) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت   بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



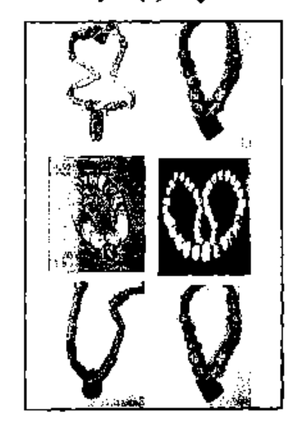
شكل (١٣٢) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



شكل (١٣٣) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



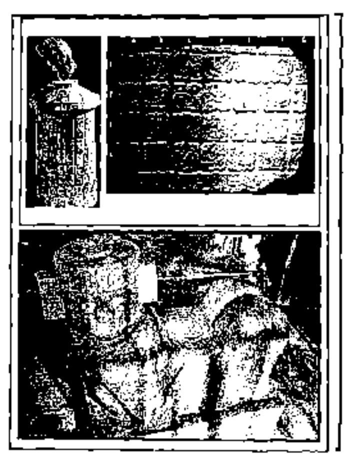
شكل (١٣٤) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



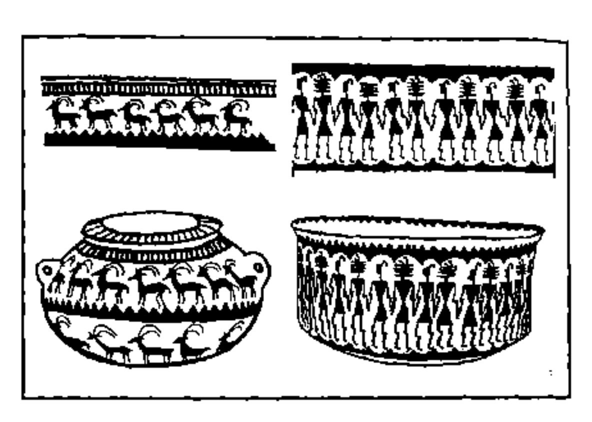
شكل (١٣٥) امثلة لفن الحلى بالمكسيك الذى يرجع تاريخة لعصر حضارة المايا بالمكسيك



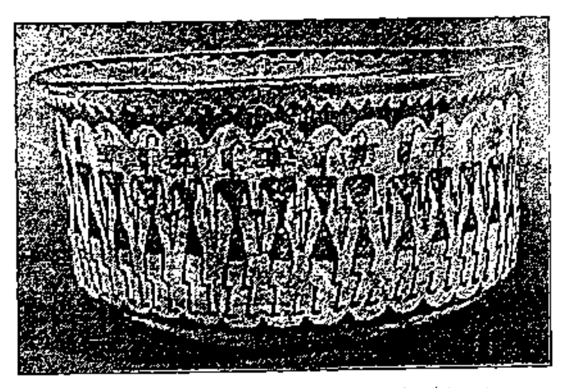
شكل (١٣٦) أمثلة للتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



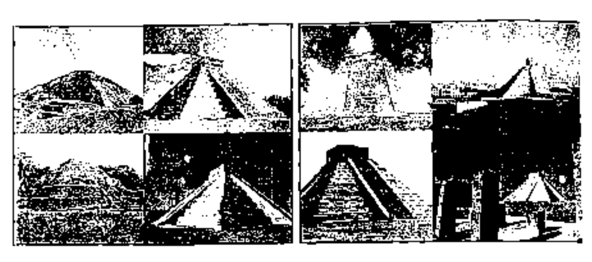
شكل (١٣٧) النماذج تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



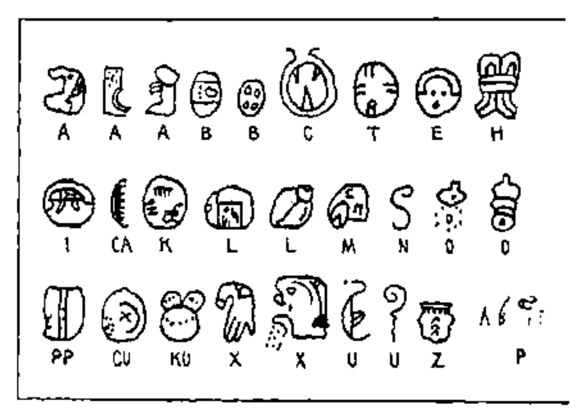
شكل (١٣٨) تكرارات لزخارف آدمية وحيوانية على أوانى فخارية- حضارة المايا بالمكسيك



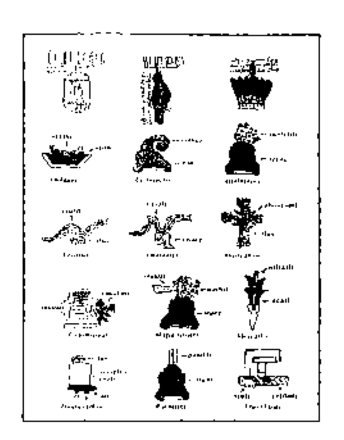
شكل (١٣٩) أناء فخارى به تكرارات لزخارف آدمية - حضارة المايا بالكسيك



شكل (١٤٠) اهرامات حضارة المايا بالمكسيك



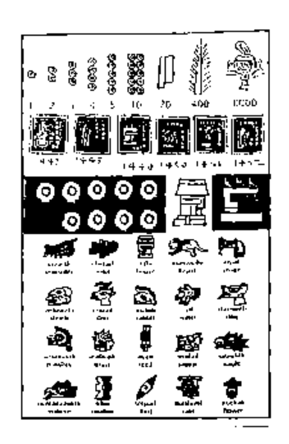
شكل (١٤١) حروف الكتابة فى عصر حضارة المايا بالمكسيك



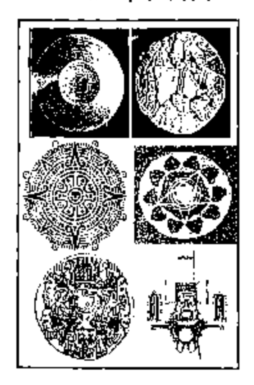
شكل (١٤٢) أمثلة للرموز بحضارة الازتيك بالمكسيك



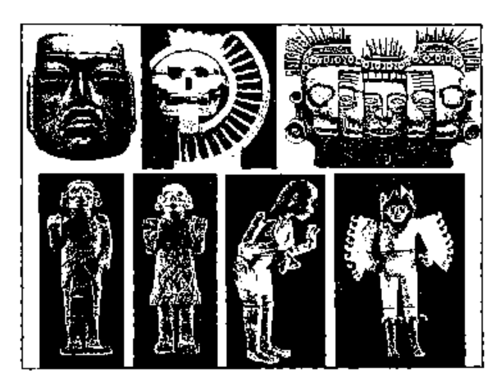
شكل (١٤٣) أمثلة للرموز والرسوم الخطية المميزة لحضارة الازتيك بالمكسيك



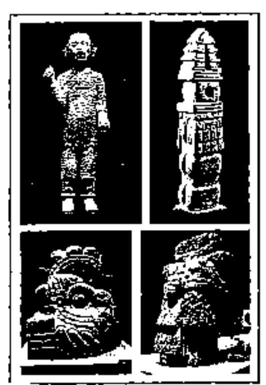
شكل (١٤٤) أمثلة للرموز والأرقام المميزة لحضارة الازتيك بالمكسيك-



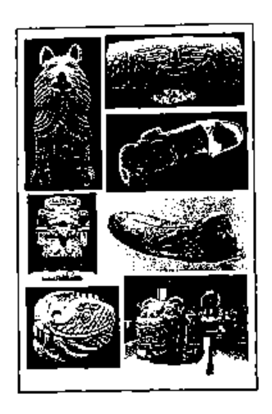
شكل (١٤٥) أمثلة للفنون الزخرفية بحضارة الازتيك بالمكسيك



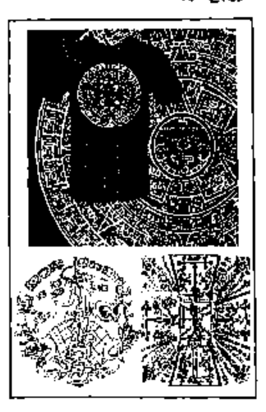
شكل (١٤٦) امثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة الازتيك



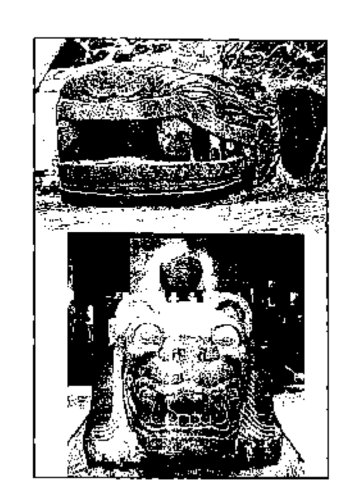
شكل (١٤٧) امثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة الازتيك



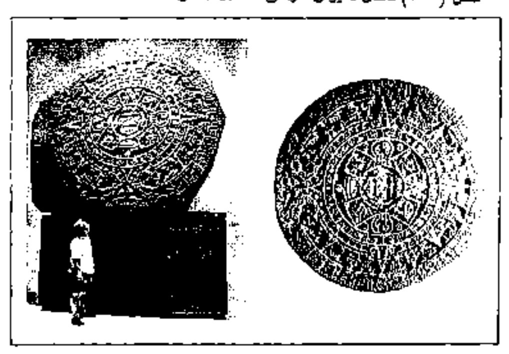
شكل (١٤٨) أمثلة لتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذى
يرجع تاريخه لعصر حضارة الازتيك



شكل (١٤٩) أمثلة للزخارف والرموز الفلكية بحضارة الازتيك بالمكسيك



شكل (١٥٠) تمثال لحيوان خرافى – تنين يرجع لعصر حضارة الازتيك



شكل (١٥١) مثال للحفر الغائر والبارز المزخرف بالرموز الفلكية بحضارة الازتيك بالمكسيك

بدايات الفن في أمريكا الجنوبية :

تعد منطقة كولومبيا أحد الأماكن العريقة التي انتشر بها الفن البدائي القـديم والتي تعتبر من أشهر أماكن إنتاج الذهب في العالم القديم إلى جانب معدن الفضـة والنحاس وأنواع عديدة من السبائك وقد عثر على آثار عديدة من المنتجات الذهبيـة من التماثيل البشرية والحيوانية وأواني ذهبية بالإضافة إلي أنواع عديدة من الحلي.

بدايات الفن في "بيرو" (حضارة النازكا):

تشكل شبكات شاسعة من خطوط منقوشة في تربة نازكا بجنوب بيرو بأمريكا الجنوبية منذ ما يقرب من ثلاثة ألف سنة تصميمات غريبة لم يزل معناها يحير الكثير من علماء الآثار، والموقع مدون في قائمة التراث العالمي منذ عام ١٩٩٤.

وهذه الخطوط تشكل تصميمات هندسية أو موضوعات رمزية؛ تعكس نظاماً كونياً، بدأنا بالكاد نفهمه، فهذه الخطوط المرسومة منذ ما يقرب من ثلاثة ألف سـنة رسمها أهالي ثقافة نازكا، وكأنها مكتوبة علي لوحة أردوازية هائلة، تغطي مسـاحة تبلغ حوالي ٥٠٠ك متر مربع من أرض قاحلة محوطة بطبقات صخرية بارزة.

ولكي نستطيع مشاهدة هذه الرسوم نحتاج لمشاهدتها من خلال طائرة مرتفعـة عن سطح الأرض لنري نجمة طولها ٢٨٥ متراً وجواناي (طائر أمريكي شبيه بالديك الرومي) طوله ٢٨٠متراً وسحلية طولها ١٨٠متراً، وهذه الرسـومات المحفـورة لا تستوعب من سطح الأرض ولكن يمكن استيعابها بالكامل من الجو، وكـان وجودهـا غير معروف علي مدى قرون عديدة وإلي اليوم تبدو وكأنها لغز أثري.

فمن هم النازكا ذلك الشعب الذي ازدهرت حضارته في هذه المنطقـة مـن العالم ذات الشمس اللاذعة والريح الذارية ومما معني رسوماتهم؟ ففي هذه المنطقـة

وصحراءها القاحلة طور للنازكا ثقافة جادة معقدة ينعكس الكثير من تاريخها علي إنتاجها الحرفي اليدوي، من منسوجات ومصوغات ذهبية مطروقة والأواني الفخارية الجنائزية التي استعمل فيها حوالي مبعة ألوان، وفي ظلالها تباين عجيب مع أضواء الصحراء الكالحة المحيطة بها، وفي متحف "بيرو" للآثار القومية قرابة ٢٥٠٠ قطعة من هذه القطع الخزفية ذات اللمسات المتقنة، وهي في حالة جيدة من الحفظ بفضل جو هذه المنطقة الجاف.

وهذه الرسوم المدهشة تبدو وكأنها تطورت من موضوعات رمزية إلى أنماط هندسية ورمزية، وهناك نوعان من التصميم لهذه الرسوم يمكن تمييزها.

- فالنوع الأول: يتكون من رسومات للحيوانات والنباتات وإن كانت رسوم الحيوانات أغني وأكثر إثارة للإعجاب، فيوجد علي منحدرات وادي نهر "أنجينيو" مثلاً رسوم علي شكل قرداً أو عنكبوتاً، وكلباً وعصفوراً وحوتاً، أما صور الآدميين القليلة مثل زائر الفضاء، ويبلغ طوله ٣٠متراً والرجل البومة المنقوش علي سفح تل بالقرب من جومانا فهي صور مخلوقات خيالية.

وكما توجد رسوماً أخرى تمثل أزهاراً ونباتات وأشجاراً ملتوية وأدوات من المستعملة كل يوم مثل نول النساج.

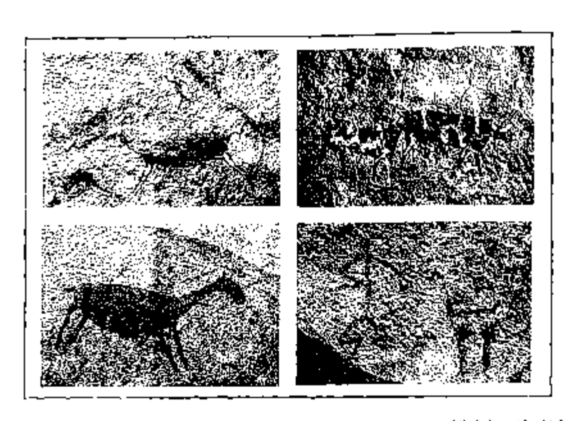
- **النوع الثاني**: هذه الموضوعات الرمزية تنتقل إلي شكل رمزي أكثر اندماجاً، تنتج منه النوع الثاني وهي خطوط تبدو وكأنها رسمت بمسطرة وشقت عبر السهل، أحياناً لبضعة كيلومترات متصلة من أشكال هندسية كمثلثات ومستطيلات ولولبات وأشكال أخرى تمتد إلي الخارج من قلب الجبل أو بطوقه.

ومعظم الموضوعات سواء الرمزية والهندسية موجودة علي الأواني الخزفية والمنسوجات التي ترجع إلي نفس العصر.

والتقنية التي كان النازكا يستخدمونها لإنتاج هذه الرسومات كانت بسيطة وبارعة، وكان كل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يجرفوا سطح التربة لكشف طبقة الطين السفلي الافتح لونا، ويكنسوا الفضلات الناتجة علي ارتفاع ٣٠ سنتيمتراً في أكوام علي جانبي الخط، ومن شأن درجة الأكسدة العالية في التربة والرياح الندية التي تهب ليلاً فتغسل الأخاديد التي تثقلها بالرمال والرياح التي تهب نهاراً، والتي حمت خطوط الناركا حتي وقتنا هذا.

وبالإضافة إلي هذه الرسومات التي علي شكل نقش غائر ونقوش بارزة ونقوش أخرى أكثر قدماً محفورة علي جوانب الجبال وتدل دقة المقاسات والزوايا لهذه الرسوم علي أنه كان عندهم تحكم هندسي دقيق، ويؤكد المؤرخ الأمريكي "بول كوزول" أن الخطوط نازكا هي تقويم فلكي هائل يسجل تعاقب الفصول ويتنبأ بكسوف الشمس وخسوف القمر ولن الناركا كانوا يعرفون حركات الأجرام السماوية ويحسبون متي يشرعون في الزراع وبذر الحبوب ومتي يجتمعون للحصاد، ومن ثم نفي إمكانهم الإدعاء بأن لهم مكانة في تاريخ الفلك، فيرى بعض المؤرخون أن النجوم هي القالب الذي يوجه خطوط النازكا فكان العنكبوت مثلاً وطوله ٤٦متراً مرتبطا ببرج أوريون، والقرد الهائل وطوله ١١٠متراً مرتبطاً بكوكبه "الثور"، أما الكاتب المؤرخ الشهير "إريك فون دانيكن" فقد افترض أن الخطوط كانت بمثابة قطاعات طويلة من الأرض المقصود بها أن يراها من في السماء من مخلوقات ناشئة خارج الأرض، إلا أن معظم العلماء يتفقون الآن علي أن هذه الحليات المعمارية والرسوم الأرضية كانت تؤدى وظيفة شعائرية مقترنة بالفلك ولن الرسوم

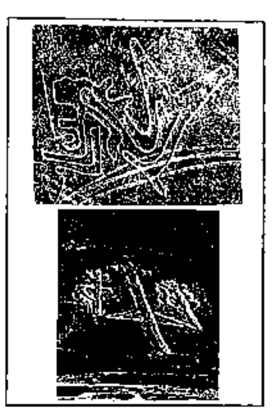
علي الأرجح تصورات طوطمية مقترنة بالعشائر تعمـل علـي تعزيـز السـيطرة الاجتماعية والدينية للتازكا علي مدي قرون وبعض علماء الآثـار ينظـرون إلـي الرسومات علي أنها معابد خيالية في الهواء الطلق تتيح للنـاس أن يشـاركوا قـوة الروح الكونية التي رسموها، والحقيقة أن معظم الرسومات لها مداخل واضحة مثال ذلك أن في الإمكان الانطلاق من ذيل القرد الملتف إلي أعلي، والذي يتكـون مثـل التصاوير الأخرى من خط واحد لا ينقطع، ومتابعة الصورة إلي أن يعود المرء إلي نقطة الانطلاق وفي الإمكان الحدس بأن مثل هذه الاستمرارية لابد أن يكـون لهـا غرض شعائري.



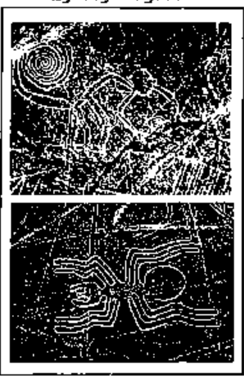
شكل (١٥٤) أمثلة لرسوم صخرية مرسومة بأسلوب السلويت على الصخور عثر عليها بالارجنتين يرجع تاريخها للعصر الحجرى



شكل (١٥٥) امثلة لرسوم صخرية مطبوعة بأسلوب البخ من خلال عزل مناطق الايدى على الصخور عثر عليها بالارجنتين يرجع تاريخها للعصر الحجرى



شكل (١٥٦) منظرين من الجو على شكل رموز فلكية محفورة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



شكل (١٥٧) منظرين من الجو احدهما للشكل قرد وطوله حوالى ١١٠ أمتار والاخر لشكل عنكبوت وطوله حوالى ٤٦ متراً بصحراء بيرو ويؤكد علماء الفلك انه يرتبط بكوكبة الثور ويرجع لعصر حضارة النازكا



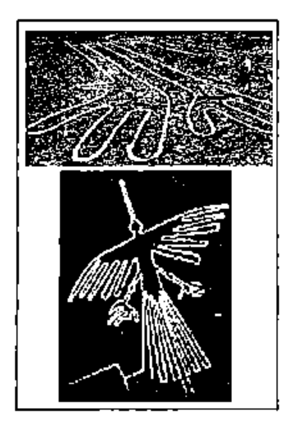
شكل (١٥٨) منظرين من الجو احدهما لطائر والاخر لشكل كلب بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



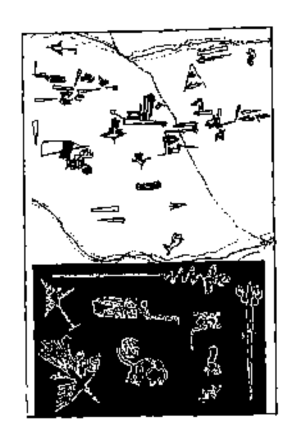
شكل (١٥٩) منظرين من الجو احدهما لطائر والاخر لشكل السان يسمى بالانسان البومة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



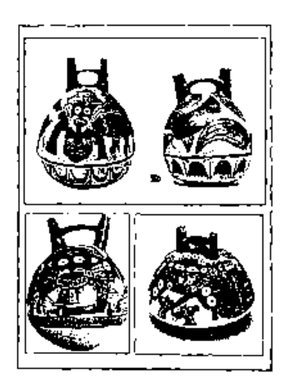
شكل (١٦٠) منظرين من الجو احدهما لشكل هندسى والاخر لشكل وردة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



شكل (١٦١) منظر من الجو لطائر الطنان المحفور بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



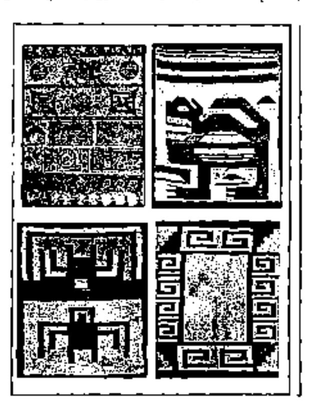
شكل (١٦٢) منظر من الجو للاشكال المحفورة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



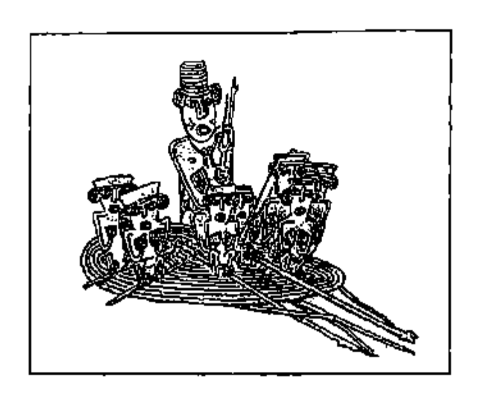
شكل (١٦٣) أمثلة لفن الخزف المتميز بحضارة النازكا



شكل (١٦٤) أمثلة لفن الخزف المتميز بحضارة النازكا-



شكل (١٦٥) أمثلة لفن النسيج المتميز بحضارة النازكا



شكل (١٦٦) عمل فنى مصنوع من صفائح واسلاك ذهبية – جنوب امريكا



شكل (١٦٧) تمثال نحتى من التماثيل الضخمة – بجنوب امريكا

بدايات الفن في أفريقيا:

لقد وجد فن ما قبل التاريخ في الهضاب المرتفعة في القارة الأفريقيـة أمـا سلاسل الجبال والمنخفضات وأودية الأنهار والغابات المدارية، فكانت أفقـر بكثيـر لهذه الفنون الأولي، فظهرت هذه الفنون بوفرة فوق الجروف والحافات الجبلية، وأهم منطقتين بالنسبة لهذا الفن هما الصحراء الكبري وجنوب أفريقيا، ففي المنطقة التـى يحدها من الشمال جبال أطلس ومن الشرق البحر الأحمر ومـن الغـرب المحـيط الأطلنطي توجد مئات من المواقع الأثرية وهي تحتوى علي عشـرات الآلاف بـل مئات الآلاف من النقوش والصور.

١- بداية الفن بشمال أفريقيا:

ومن أمثلة هذه البدايات الفنية لعصر ما قبل التـاريخ بالصـحراء الكبـرى الأفريقية ما وجد في هضبة ميساك لليبيـة وتاسـيلي نـاجر بالصـحراء الليبيـة والجزائرية وجنوب المغرب، وفي "فزان" بليبيا، وفي "أير" و"تنيرية" بـالنيجر وفـي "يتبستي" بتشاد وفي بلاد النوبة بمصر وفي مرتفعات أثيوبيا وفي "ضـهار تشـيت" بموريتانيا وفي "موزاميد" بأنجولا، وفي الساحل الشرقي السوداني.

ولعل أبرز مثال من هذه البدايات الفنية بالصحراء الأفريقية كانـت هضـبة ميساك في الصحراء الوسطي لليبية والتى كانت آهلة بالسكان منذ العصر الحجري القديم ولكن علي الأرجح أنه فقط في أثناء المرحلة المطيرة من العصـر الحجـري الحديث قامت جماعات من القناصة ولرعاة بتزيين حوائط ولحاتها بنقـوش جميلـة وعلي خلاف منطقتي جبل اكاكوس وتاسيلي ناجير الثريتين فـي فـن الصـخور، والموجودتين أيضاً في الصحراء الكبرى الأفريقية، والتي تميزت بالرسومات الزيتية

الملونة، ويمكن معرفة تاريخ النقوش التي وجدت في الصحراء الكبـرى الأفريقيـة بالرجوع للاختلافات في طبيعة ولون غشاء القدم الذى تكون فون سطح الصخر، وقد قام العلماء بتميز حقبة أخر مرحلة زمنية بالعصر الحجري باسم حيوان احتذت عليه فنون الصخر بغزارة في هذه المرحلة وعلي هذا فتم تقسيم هذا العصر إلي أربعـة أقسام وهي: التيتل – والثور – والحصان – والجمل.

وكان التيتل نوعاً من الجاموس الضخم والذى يرجعه العلماء والمؤرخـون للعصور الحجرية إلي أقدم العصور الأفريقية وتمتاز هذه الفترة برسوم الفيلة وفرس النهر، ثم عصر الثور فيرجع إلي الثور الأبيرى (البري) ذو القرون القصيرة القوية أو الثور الاطلنطي ذو القرون الطويلة التى تشبه القيثارة، ثم عصـر الحصـان وق رسم احياناً يجر عربة أو يأخذ شكل الحصان الطائر وهو مصور بشكل طبيعي في الفنون الموجودة في منطقة غرب أفريقيا من المغرب إلي السودان وفي شرق أفريقيا في منطقة "فزان" الليبية فقد رسم بشكل نمطي أما الجمل فهو يأتي في مؤخرة هـذه الفترة التاريخية ويرجع أن الفرس قد ادخلوه لمصر أثناء غزوهم لها، ثم شاع رسمه في أوائل العصر المسيحي.

وقد احتوت آثار الفنون البدائية الأولي الأفريقية بهذه المنطقة علـي ثـراء عجيب من حيث تمثيل الطبيعة بدقة وتفاصيل إلي جانب الرسوم الخيالية الغامضـة، ومن خلال هذا التصنيف للموضوعات الأفريقية في فنونها البدائية بالصحراء الكبرى بشمال أفريقيا يمكن أن نتناولها بالتحاليل فيما يلي:

أ- رسوم محاكاة الطبيعة (الواقعية):

إن نقوش ورسوم الفنون البدائية الأفريقية الشمالية ملفته للنظر لما بها مـن تنوع وتفرد المناظر ومحتواها الثري وبالتقنيات المستخدمة في صنعها أن بعضها ذو

بروز قليل حيث الجزء الأمامي من الصور وخلفيتها مصورة بواقعية بالطرق الدقيق والصقل الجزئي. وتبرز تقنية خاصة للخط المزدوج الانطباع بالعمق فـي بعـض المناطق، مثل المخالب والأنف والفكين.

والحيوانات البرية والأليفة هي الموضوع الرئيسي. ولإعطاء انطباع بالعدد أو بالقطيع يتم رسم سلسلة من الرؤوس علي شكل مروحة بزوايا مختلفـة، والتـي تخف تدريجيا حتى الخلفية، وتبدأ بحيوان كامل مصور تفصيليا في الجزء الأمـامي من الصورة والتأثير الكلي مثير، ويدل علي درجة عالية من الموهبة فـي التكـوين والأنواع المختلفة من القرون، والتي كثيرا ما تمثل في قطيع واحد صغير هي إشارة للتنوع وعلي الأقل هناك ثلاثة نقوش تمثل مناظر حلب اللبن. وعلي الأرجح أن اللبن كان يخزن في جلود معلقة بين أفرع مشعبة. وكانت الماشـية تسـتخدم كحيوانـات للحمل، وأحيانا للركوب. والسروج المزخرفة بشدة، والقرون المزينة توحي بطقوس احتفالية.

وتصوير الآدميين ليس قليل التكرار، ولكنه يبدو مرتبطا بأحـداث خاصـة (الصيد، الطقوس، والمناظر الرمزية) أكثر منه بأنشطة روتينية. والأسلحة الأساسية للصيد تشتمل الأقواس البسيطة المقوسة، والمطارق، وعصي للقـذف ونـوع مـن الخطاف أو الهوق لإيقاع النعام في الشرك من عنقه، وهـو نـوع مـن الأحجـار (الموجودة بكثرة في شمال أفريقيا) يستخدم لشل حركة الحيوانات المتوحشة يبدو في كثير من النقوش التي تصور وحيد القرن والزراف والنعام والأسود والحمير والقليل من الأشكال المصورة بالتفصيل تعطينا فكرة ما عن الملابس التي كان يرتديها هؤلاء الناس، وتشمل سروالا قصيراً وقميصاً ذا أكمام قصيرة وبعض الشخصيات ترتـدي

شرائط متوازية من القماش وهناك صور أيضا لسترات قصيرة منتفخة. ويظهر بعض الرجال وهم يرتدون جلد الحوت.

وترتدي النساء عادة أردية كاملة تصل تقريبا إلي الكاحل، وشعرهن علي شكل قمع من الممكن أن يكون مصنوعا بضفائر أو عصابات وكثيرا ما تكون ملامحهن كبيرة، وأنوفهن بارزة، ولكن من الجائز أنهن ترتدين أقنعة علي وجوههم وهذه النساء المقوابة تظهر في العادة مع حيوانات متوحشة أو مع بقار (مستأنسة).

مجموعة ثرية من الحيوانات

والنقوش منفذة بدقة شديدة لدرجة أن بعض الحيوانات المصورة يمكن التعرف عليها بدرجة معقولة من التأكيد وينطبق هذا بشكل خاص علي الأبقار البرية والتي انقرض بعضها منذ ذلك الحين وهذه الحيوانات إما أن تقف بمفردها أو تكون محاطة بالقواسين الذين يكونون عادة صغيري الحجم وبالإضافة إلي عدة أنواع من الظباء، هناك ثلاث حيوانات ضخمة غير مدجنة هي الجاموس القديم، والجاموس الأفريقي. وتكرار تصوير الجاموس يشير إلي أهميتها في هذه المنطقة والنقوش التي تمثل الأراحض (الجاموس الوحشي) التي تم الإيقاع بها بأحجار معينة توحي بمحاولات تدجينها ونظرا إلي أن هذا الحيوان هو سلف الثور المدجن، فإن هذا الجزء الجبلي من الصحراء من الجائز أنه كان مركزا مبكرا لاستأناس للحيوانات.

والحيوانات البرية وفيرة ومصورة بدقة والأفيال والخرتيت مصورة كثيرا مع صغارها في عدد من الأوضاع للديناميكية الواقعية وتظهر أفراس النهر والتماسيح في عدد من الأماكن التي من المحتمل كان بها آبار مياه دائمة، أو بحيرات في مناخ رطب. واليوم لا يوجد سوي عدد قليل من العيون المائية التي لا تمتلئ كل عام، ولكن في بعض الأحيان قد تحتوي علي الماء لأكثر من ستة أشهر. والسمك

نادراً ما يصور. وهناك صور كثيرة للزراف الذي تصور مواكب عرسه بحساسية ورشاقة ويصور جلده في بعض الأحيان بواسطة علامات أكواب صغيرة، والتي تعطي تأثيرا جميلا. ويظهر أيضا النعام والحمير والفهود والأسود وابن آوى، وبعض الحيوانات الكلبية المتوحشة الشبيهة بالثعالب. وبعض الخنازير الوحشية.

ب- الرسوم والتصاوير الخيالية الغامضة الخصبة:

بعض الحوائط من الحجر الرملي مزخرفة بحيوانات سيريالية مما يعكس خيالا جماعيا مبتكرا حيوانات مهجنة خيالية – نعامات ذات رؤوس غزلان وأفيال برؤوس خراتيت، وجسم قرد برأس أرنب بري – جنبا إلي جنب مع شطحات الخيال التي تجمع بذكاء بين خطوط زرافة، وجسم خرتيت ورأس ثور، وتظهر أيضا طيور قليلة، أسطورية على الأرجح.

كما نجد نقوشاً ورسوماً خاصة في منطقة تاسيلي تاجر بصحراء ليبيا والجزائر لمخلوقات بشرية عجيبة تطير في السماء وترتدي أجهزة طيران ولبس فضاء ورواد فضاء، ورجال ونساء يرتدون ثياباً حديثة كالتي نرتديها في زماننا الحالي، ورجالاً يرتدون ملابس الضفادع البشرية، ورجالاً آخرين يجرون نحو أجسام أسطوانية غامضة، ومنذ إكتشاف هذه الكهوف في عام ١٩٣٨ واستقطب هذا الاكتشاف اهتمام علماء الأثار والإعلام كافة وجعلهم يتدافعون لزيارة الحدود الجزائرية الليبية لمعرفة المزيد عن تلك الرسوم والنقوش العجيبة، وأهم تلك الزيارات كانت في عام ١٩٥٦م عندما قام الرحالة الشهير (هنري لوت) برفقة مجموعة كبيرة من العلماء بزيارة لتلك الكهوف والتقطوا لها صوراً فوتوغرافية عديدة، وبعد البحث والدراسة، واستخدام وسائل متطورة للغاية (للتحليل الذري) لمعرفة عمر تلك النقوش.. جاءت النتيجة مذهلة بحق فلقد قدر جميع الخبراء عمر

تلك الرسوم والنقوش بأكثر من عشرين ألف سنة!! أي خيال محمـــوم وق ف منــذ مائتي قرن كي يسكب علي جدران الكهوف أسراره الخارقة !! أي عبقرية في فجر التاريخ آثرت أن تترك الرمح كي ترسم رسوما تسبق عصرها بعشرين ألف سنة !! ولأي غرض...؟

كما نجد نقوشا ورسوما وخاصة في منطقة (تاسيلي نـــاجر) لمخلوقـــات بشرية عجيبة تطير في السماء.. وترتدي أجهزة طيران.. ولسـفن فضــــاء.. ورواد فضاء.. ورجال ونساء يرتدون ثيابا حديثة كالتي نرتديها في زماننا الحالي.. ورجالا يرتدون لباس الضفادع البشرية.. ورجالا آخرين يجرون نحــو أجســـام أسـطوانية غامضة..ومنذ اكتشاف في عام ١٩٣٨م واستقطب هذا الاكتشاف اهتمـــام علمـــاء الآثار ووسائل الإعلام كافة.. وجعلهم يتدافعون لزيارة الحدود الجزائريـــة الليبيـــة لمعرفة المزيد عن تلك الرسوم والنقوش العجيبة.. وأهم تلك الزيارات كانت في عام ١٩٥٦م.. عندما قام الرحالة (هنري لوت) برفقة مجموعة كبيرة من العلماء بزيارة لتلك الكهوف.. والتقطوا لها صورا فوتوغرافية عديدة.. وبعد البحـــث والدراســـة.. واستخدام وسائل متطورة للغاية (كالتحليل الذري) لمعرفة عمر تلـــك النقــوش.. جاءت النتيجة.. وكانت مذهلة بحق.. لقد قدر جميع الخبراء عمـــر تلـك الرســوم والنقوش بأكثر من عشرين ألف سنة!!.. أي خيال محموم وقف منذ مائتي قرن كي يسكب على جدران تلك الكهوف أسراره الخارقة؟.. أي عبقرية في فجــر التـــاريخ آثرت أن تترك الرمح كي ترسم رسوما تسبق عصرها بعشرين ألف ســنة؟.. ولأي غرض؟ ومن اغرب الامثلة التى عثر عليهـــا بمنطقـــة تاسـيلي نـــاجر بـــالجزائر بالصحراء الكبرى ، رسم للوحة جدارية لاحد الكهوف التي اكتشفها العالم الفرنسي " هنري لوت " وأطلق عليه علي سبيل الهزل والفكاهة " آلة المريخ " ويعد هذا الرسم

مثالاً لأعظم شطحات الفكر والخيال الذي يتقارب ويتشابه بشكل غريب بكثير من الرسوم التي تمثل سكان المريخ في مجالات الخيال العلمي المعاصرة ، كما عثر أيضا على رسوم جدران كهوف تاسيلي ناجر تمثل قبعات وأقنعة طقسية تتقارب بملابس الغواصين وملاحي الفضاء المعاصرين.

ومن أغرب الرسوم الحائطية التاسيلية أيضاً رسما جدارياً نري فيه نوعاً من شفرات المراوح تعلو بعض الأشخاص البشرية ، وتذكرنا بالمراوحة الكهربية المدلاة أو بمروحة طائرة الهليكوبتر ، فماذا تمثل هاتان الآلتان؟ وتقول أكثر الفرضيات شيوعاً انهما مركبتان من كوكب آخر زارتا المنطقة في الماضي البعيد ، ومن المحتمل والمرجح أن الإنسان الأول كان يرغب في أن يحلق في السماء ولن جميع هذه الرسوم المليئة بالرموز الفلكية تؤلف قصة مجازية عن تشكل الكون ، وسفر الإنسان إلى عالم النجوم وهذا يعتبر قصص خيال علمي منقوش على الحجر.

وهز اكتشاف هذه الكهوف الأوساط العلمية هزاً.. وتفجرت علامات استفهام ودهشة لا حصر لها.. وصنعت تلك الرسوم ما يعرفه علماء الآثار باسم : لغز كهوف تاسيلي.. وظهرت عدة نظريات لتفسير الأمر.. فالبعض قالإن هذه الكهوف تقع فوق القارة المفقودة (أتلانتس) ولن أحد سكان (أتلانتس) قد قام برسم كل تلك الرسوم العجيبة التي تمثل التقدم العلمي الذي وصلت إليه تلك القارة آنذاك.. ولكن ظهر من يعارض هذه النظرية بحجة أن (أتلانتس) إن كانت موجودة بالفعل.. فمن المفترض أن تقع في تلك الفجوة ما بين المملكة المغربية.. وقارة أمريكا الشمالية..

فظهرت نظرية أخرى تقول إن مخلوقات من كوكب آخر قد زارت كوكبنا منذ قديم الزمان.. ورسمت تلك الرسوم لتكون دليلا على زيارتها للأرض.. أو أن الذي رسمها شخصا أو مجموعة أشخاص ينتمون لإحدى الحضارات الأرض البالغة

القدم والتي كانت قد بلغت شأنا كبيرا من التقدم العلمي.. ولكنها اندثرت لسبب مـــا.. وجميع تلك النظريات غريبة وتقلب جميع المفاهيم المتعارف عليها.. حتى وإن تـــم إثبات صحة أحدها يوما من الأيام.

٢- بدايات الفن في جنوب وشرق أفريقيا

وبهذه المنطقة تراث ضخم من الصـخر الذي يسجل بدايات الفن والذي ساعد علي حفظه ثلاث عوامل رئيسية تتمثل في أنظمة المعتقدات – عدم إمكانية الوصول إليه – والسرية.

وتوجد مواقع هذا الفن بشكل عام في المرتفعات وتتكون من مأوى صخرية ومن كهوف ومساحات صخرية مفتوحة مستوية. وأغلب المأوى الصخرية التي بها رسومات زيتية موجدة في أماكن عالية علي سفوح التلال المغطاة بالشجيرات، والتي تواجه أو تطل علي السهول والوديان والأنهار.

ويبدو أن الرسامين قد فضلوا مثل هذه المواقع لأنها كانت تشرف علي منظر واسع من السهول والأماكن المحيطة بها مباشرة مما مكنهم من مراقبة الصـــيد، أو الشعوب المحاربة المعادية في بعض الأحيان وكانت قمـــم الـــتلال مناســـبة أيضـــا للعسكرة خاصة خلال المواسم الممطرة عندما تغمر الأمطار السهول المنخفضة.

وكانت أغلب المواقع يمكن دخولها فقط لمجموعات خاصة من النـــاس فـــي أوقات معينة، وكان هناك حظرا صارما علي الزيارة، وعلي قطع الأشجار والرعي، أو حتى جمع أخشاب الوقود منها وكنتيجة لذلك ترك ما حولها بدون إزعاج وكان لا يسمح بالدخول في أغلب المواقع للقرويين، والناس الذين استطاعوا الوصول إليهـــا حال الحظر دون قيامهم بتخريب هذا الفن والأهم من ذلك كله أن بعـــض المواقـــع

كانت في العادة معروفة فقط لكبار السن، وممارسي الطقوس الذين حـاولوا إبقـاء مواقعهم سرية.

ويؤكد المؤرخون وعلماء الآثار أن رسم وحفر الحيوانات في جنوب أفريقيا كان المقصود به أغراضاً دينية، أما الأشكال المحفورة حزاً دقيقاً فكان يقصـد بهـا التعليم، وكانت هذه الأشكال المحفورة والمنحوتة يستعمل فيها الحفر ثـم تشـطيب الخطوط وتنعيمها من الداخل لكي تبين الظلال أو ملامس جلود الحيوان، وهذه التقنية تسبق عمليات الحفر والنحت المصرية القديمة بل هناك نوعاً آخر تم حفر الأرضية وترك الخطوط وأشكال الحيوانات بارزة علي السطح الحجري، ولذا كانت الصخور الطبيعية التي يتم النقش عليها تختار بعناية واستخدام التقنية المناسبة لهذه الصخور، وعند مشاهدتنا لهذا الفن البدائي الأفريقي يجب ألا نفصل الرسم عن الحفـر علـي الصخر ويدل حفر الشكل العام للحيوان علي الصخر علي أن الفنان بدأ أولاً بحفـر هذا الشكل توطئة لتكوينه وإضافة التفاصيل بعد ذلك، مما يدل علي أن العمل الفنـي لدية يصل إلي ذرة الإبداع ويتضمنه من مهارة فائقة وعمل فني متميز.

كما دلت الأماكن المرتفعة التي وجدت بها هذه الرسوم الصخرية علـي أن الفنان كان لديه احترام خاصاً لعمله الفني وأنه أراد أن يتحاشي المسـتويات الـدنيا القريبة من الأرض والتي تتأثر بالمشاة وهذا احتاج بالتأكيد إلي استخدام مـا يشـبه السلالم أو السقالات، وكان التلوين أما بلون واحد أو بأكثر من لون.

وقد وجدت بجنوب أفريقيا بقايا الورش التي كانت تقـدم بإعـداد الأحجـار والألوان فقد وجدت مثلاً بعض أحجار الرحى التي قطعت من الأحجار بآلات دقيقة لكي تطحن الصخر الذي تستخرج منه الألوان، كما وجدت بها بقايا الألـوان، وقـد استخرج الفنان الأفريقي الأول درجات الألوان بتدرج كبير من الأحمر والبني مـن

أكاسيد الحديد، بينما استخرج اللون الأبيض من الكاولين أو أكسيد الزنك واللثي (عصارة ورقية) أما اللون الأسود فاستخرج من الفحم النباتي والعظام المحرقة أو الدخان والدهن المحروق.. كما وجد اللون الأصفر والأخضر والبنفسجي وغيرها. وكانت حبيبات الصخر أو المعدن أو خام اللون تطحن في أهوان صغيرة، وتخلط ثم يضاف إليها سائل (لعله اللبن) أو سائل نباتي أو زلال البيض أو العسل أو نخاع العظام المطبوخة، أو أي مادة لزجة ماسكة أخرى وهو ما يفسر لمعان هذه الصور بعد هذه الآلاف من السنين.

وكانت الألوان تعالج بالأصابع أو بالقش أو الخشب الممضوغ، أو فرش من شعر الحيوان أو الطيور، وكانت ترش بوضع السائل في الفم ثم بخه وإطلاق رزازها، وقد وجدت طباعة للأصابع في الرسم كأنها توقيع للفنان، وأحيانا كان يجر في تصحيح في الرسم دون إزالة الخطوط الرئيسية الأولى، فيعطي للثيران أربعة قرون والرجال ثلاثة أذرع وهكذا.

توزيع المواقع والموضوعات بجنوب وشرق أفريقيا

القرن الأفريقي(أثيوبيا، أريتريا، جيبوتي، الصومال):

رسومات زيتية تصور أساسا ماشية ذات قرون طويلة بلا سنام (موجودة أيضا في كينيا في مواقع حول جبل إلجون).

السودان:

مأوى صخرية وكهوف مرسومة في تلال داجو جنوب دارفور صور لحيوانات برية وأحصنة راكبوها مسلحون بالدروع وجنود مشاة مسلحون بالدروع والحراب.

زامبيا، زيمبابوي، وجنوب أفريقيا:

رسومات زيتية لحيوانات وآدميين، ورسوم تخطيطية مثل الخطوط المتوازية، ودوائر ذات مركز واحد تخرج منه خطوط كالأشعة.

شرق أفريقيا:

أكثر المناطق ثراء توجد في وسط تانزانيا (دودوما، وخاصة مقاطعة كوندوا، ومناطق سينجيدا) تركيزات معزولة من المواقع في تانزانيا توجد في ماساسي، ومبولو، وموانزا، وبوكوبا، ولونيلامويزي، وسهل هايدا وتمتد مواقع موانزا وبوكوبا لتشمل مواقع على الجانبين الكيني والأوغندي من جزيرة بحيرة فيكتوريا.

شمال كينيا:

نقوش لحيوانات برية (ظباء وغزلان وفرسان البحر وزراف وخرتيت) حيوانات مدجنة (مثل الجمال والحمير والماشية وآدميين بأسلوب رسم معين).

٢- بدايات الفن في وادى النيل:

من المتفق عليه إطلاق مسمى وادي النيل على الأرض الواقعة على جانبي نهر النيل والممتدة من الدلتا في أقصى شمال مصر حتى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في الخرطوم بوسط السودان. وليس في هذا الوصف ما يمنع بطبيعة الحال من إضافة بقية أقاليم السودان جنوب الخرطوم لوادي النيل. تقسم مصر في المصادر التاريخية عادة إلى إقليمين هما، مصر العليا (الوجه القبلي) ومصر السفلى (الوجه البحري). تمتد الأولى من الشلال الأول حتى الأطراف الجنوبية للدلتا، حيث يجري نهر النيل شاقًا أرضًا صحراوية مكوناً شريطاً ضيقاً من الأرض الزراعية. أما مصر السفلى فتشمل منطقة الدلتا حيث يتفرع النهر إلى عدة أفرع تصب في البحر المتوسط وتكثر فيها البحيرات

والمستنقعات. وعلى الرغم من التشابه الطبيعي بين هذين الإقليمين فإنهما أسهما في الحضارة المصرية بأدوار مختلفة تجمعت وتكاملت لتمنحها طابعها المتميز.

أما السودان فيقسم بدوره إلى قسمين، النوبة السفلى، وتمتد من الشلال الأول إلى الشلال الثاني؛ والنوبة العليا التي تمتد من الشلال الثاني حتى الخرطوم جنوباً مع أن كثيرين يحصرون منطقة النوبة في الأرض الممتدة من الشلال الرابع شمالاً حتى الحدود المصرية السودانية. وفي بقية السودان من حدوده الجنوبية والشرقية حتى الخرطوم تجري الأنهر وأفرعها والمجاري والأودية الكبيرة، كما توجد بالسودان مساحات شاسعة بعيداً عن مجرى النهر صالحة للزراعة والرعي قديماً وحديثاً. لقد أتاحت الظروف الطبيعية بيئات متنوعة للبشر على مرّ العصور كان لها عظيم الأثر في المنتج الحضاري كما كان لها أثرها في مستويات الاتصال بين أقاليم قطري وادي النيل. وسوف يتضح ذلك لاحقاً عند وصفنا لتطور حضارات العصور الحجرية. ومن جهة أخرى لا يكتمل الوصف الجغرافي لوادي النيل دون الإشارة إلى الصحارى التي تحف بوادي النيل، فقد أوضحت الدراسات الجيولوجية والآثارية المتصلة أهمية الصحراء، وبخاصة الجزء المتاخم من الصحراء الكبرى لنهر النيل، حيث تنتشر الآبار والعيون والمنخفضات والأودية الكبيرة التي تصب في النهر.

أما الصحراء نفسها فقد كانت هي أيضاً مأهولة بالسكان خلال معظم حقب العصور الحجرية، وهناك من الأدلة الآثارية ما يؤكد الاتصال والتنقل بين الصحراء ووادي النيل خاصة خلال فترات التقلب المناخي مما نتج عنه امتزاج وتداخل بين الجماعات السكانية وثقافاتها الشيء الذي أثمر بدوره في إثراء المنجزات الثقافية في هذا الجزء من العالم القديم وعلى ضفتي النهر في مصر والسودان نشأت مدنية من أعظم مدنيات الشرق الأدنى القديم. فالمدنية المصرية القديمة معروفة على نطاق واسع بعظمة

منجزاتها في ميادين النظم السياسية، والإدارية، والعمارة، والفنون، والآداب، والمعتقدات، واللغات. وقد وصل إشعاع هذه المدنية العظيمة ليس فقط للأقاليم المجاورة وإنما امتد لآفاق بعيدة في الشرق والغرب. كذلك عرف جنوب الوادي في السودان مدنية عريقة تبدأ بظهور دولة المدينة في كرمة نحو ٢٠٠٠ ق. م. كأول مدينة في أفريقيا خارج مصر، وهي التي تلتها الحضارة الكوشية بعصريها النبتي والمروي اللذين امتزجت فيهما المؤثرات الحضارية المصرية مع المنجزات المحلية المتميزة.

ومما لا شك فيه أن مدنيات وادي النيل تلك قامت على تجارب حضارية تمتد لأعماق ما قبل التاريخ إذ لم تكن المنطقة بعيدة عن ما أنجزته مجموعات الصيادين الأوائل في أفريقيا والشرق الأدنى من ابتكارات وتحسين في صنع الأدوات والأسلحة ومختلف ضروب الفنون البدائية والتمكن من استغلال البيئة الطبيعية والتكيف الناجح على الصعوبات الطبيعية. ويكتسب وادي النيل أهمية خاصة عند النظر في تطور أدوار العصور الحجرية وانتشار البشر من أفريقيا إلى خارجها. فأوائل البشر الذين انتقلوا من شرق أفريقيا منذ مئات الآلاف من السنين ومن بعدهم أقدم سلالات الإنسان الحديث قد سلكوا مجاري المياه القديمة، ونهر النيل فيما بعد إلى شمال أفريقيا وشرق المتوسط. وعندما ظهرت أقدم المدنيات والدولة المركزية كانت أصولها موجودة محليًا في مجتمعات العصر الحجري الحديث التي أنجزت مرحلة إنتاج القوت متمثلاً في الزراعة، وتربية الحيوان، وعمل الفخار، والصناعات الحرفية المختلفة، وبناء الإقامات المستقرة.

من هنا تكتسب دراسة العصور الحجرية في وادي النيل أهمية خاصة لسببين رئيسين: الأول هو موقعه في القارة الأفريقية وسطاً بين شرق أفريقيا أقدم مراكز البشر الأوائل وآسيا في الشرق، وشمال أفريقيا ومن ثم أوروبا في جهة الغرب؛ والسبب الثاني

طبيعة التطور الثقافي خلال فترة ما قبل التاريخ في المنطقة نفسها الذي شكل القاعدة التي قامت عليها أقدم مدنيات الشرق الأدنى.

أ- التاريخ الجيولوجي لنهر النيل والبيئة القديمة

يمثل نهر النيل أطول أنهار العالم، شريان الحياة وعصبها في مصر والسودان، ليس في الوقت الحاضر فقط، وإنما على امتداد تاريخ استيطان البشر على ضفتيه. فالنيل هو مصدر المياه الدائم للإنسان والحيوان، وفيه بعض مصادر الغذاء كالأسماك وغيرها. وفي انحداره من الهضبة الإثيوبية يجلب النيل الأزرق الطمي المعدني، في حين يجلب النيل الأبيض الطمي النباتي مما يخصب الأرض على نهر النيل ويجعلها صالحة للزراعة مصدراً للاقتصاد المعيشي الأساس للسكان منذ آلاف السنين. كذلك ربط النهر بين الشمال والجنوب حيث كان الوسيلة الرئيسة للنقل وحوله تشكلت حياة الناس وقامت الفنون والعبادات والأساطير ولا يستطيع المرء استيعاب التاريخ الحضاري للمنطقة دون النظر في مزايا نهر النيل وعطاياه. ومثلما كان النيل ولا يزال حلقة الوصل بين السودان ومصر، فإنه كان أيضاً السبب في جذب الجماعات السكانية منذ أقدم العصور من شمال أفريقيا والصحراء الكبرى. لقد عاش الناس منذ عشرات آلاف السنين قبل ظهور المدنية المصرية القديمة فما هو تأثير النهر على إنسان ما قبل التاريخ؟ ومتى شق النيل مجراه الحالي؟ وكيف تتأثر وتيرة تدفق المياه فيه بالتحولات المناخية العالمية والإقليمية؟ تمثل تلك نوعاً من الأسئلة التي طرحها علماء الآثار والجيولوجيا منذ وقت بعيد عندما رصد بعضهم المصاطب ذات المستويات المختلفة على جانبي الوادي ووجدوا في طبقاتها الأدوات الحجرية وعظام الحيوانات من عصور مختلفة.

تختلف نتائج الدراسات الجيولوجية حول قضية قدم نهر النيل كمجرى مائي تأتيه المياه من المنابع المعروفة اليوم في وسط وشرق أفريقيا وكذلك حول معاني الظواهر الطبيعية التي تعكسها التكوينات الرسوبية بالقرب من ضفتي النهر. فالبعض يرى أن نهر النيل بدأ بحفر مجراه الحالي منذ أكثر من ربع مليون سنة مضت حيث دللوا على ذلك بوجود رسوبيات طمية من أصل إثيوبي في تكوين دندرة. وبعد ذلك تقطع النهر ولم يعد لحالته إلا خلال الفترة ١٠٠,٠٠٠-٦٠,٠٠٠ سنة ق.م. والرأي الآخر يقول بتاريخ حديث للنهر إذ كان في واديه عدد من الأنهر تأتيها المياه من الأمطار المحلية ومنابع أخرى بعيدة ولكن امتد مجراه من الهضبة الإثيوبية حتى شمال مصر لأول مرة في التاريخ المذكور أعلاه. ويختلف العلماء أيضاً في تفسيرهم للعلاقة بين فيضانات النهر الكبرى وأحوال المناخ المحلية فالبعض يرى أن المصاطب الرسوبية تقابل فترات امتداد الجليد في شمال الكرة الأرضية. وعندما ينخفض مستوى مياه النهر لسنوات قد تطول أو تقصر فذلك يقابل الفترات الدافئة التي تقع ما بين كل عصر جليدي وآخر. وهناك رأي آخر يقول أن هذه المصاطب قد تكونت عندما كان النهر ضعيفاً بحيث أنه لم يتمكن من إكمال جريانه حتى الدلتا وأن أولها تكون منذ أكثر من ٣٠,٠٠٠ سنة ق.م ولم يتمكن النهر من حفر مجراه مرة أخرى إلا نحو ٢٠,٠٠٠ ق.م. وبحلول فترة العصر الحجري القديم المتأخر تكونت ما يسمى بمصاطب الصحابة، ثم زاد اندفاع النهر نحو ١٠,٠٠٠ ق.م. وهي الفترة التي ظهرت بعدها مستوطنات العصر الحجري الحديث. واعتماداً على الدراسات الجيولوجية والآثارية اللاحقة اقترح بعض الباحثين تعديلاً لنموذج الفيضان الكبير الذي يعقبه انخفاض واضح في مستوى مياه النهر ثم فيضان كبير آخر، إلى افتراض ارتفاع هائل في مستوى مياه النهر الذي تتخلله انخفاضات بسيطة متذبذبة

ومما لا شك فيه أن نهر النيل يتأثر بالظروف المناخية المحلية والعالمية وهو مع الصحراء المجاورة بمناخاتها المتباينة عبر الزمن شكلا عنصراً بيئياً مهماً تحددت بموجبه أنماط استيطان السكان خلال حقب العصور الحجرية.

فخلال الأزمان المطيرة نجد مواقع لمستوطنات الصيادين منتشرة في أودية وبحيرات شرق الصحراء الكبرى مثلما هي موجودة بالقرب من وادي النيل نفسه وذلك خلال فترتي العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط. وأوضحت الأبحاث التي أجريت مؤخرا في منطقة بئر صحراء وبئر طرفاوي (٣٠٠ كلم غرب أبو سمبل) تعاقب خمس دورات على الأقل من الأحوال المطيرة التي تخللتها فترتان جافتان وأخرى تنحصر فيها المياه في بقع محدودة. ويقدر عمر أقدم الفترات المطيرة بنحو ٣٥٠,٠٠٠ ق.م. وخلال فترة العصر الحجري القديم الأوسط نجد أن الصيادين أقاموا معسكراتهم بالقرب من مصبات الأودية في النهر أو على حافة السهل الفيضي وكذلك في أطراف سهل السافنا القريب من وادي النيل. ويبدو أن عمليات التنقل بين هذه المواقع كانت تحكمها وفرة الموارد الطبيعية التي تحدثها الأمطار ومستوى فيضان النهر الذي يعيق الإقامة في السهل الفيضي بطول الحقبة الأخيرة من عصر البلايوستوسين الجيولوجي (١٨٠٠٠ – ١٠,٠٠٠ ق.م) بدأت تسود حالة جفاف اشتدت بمرور الوقت لتبلغ ذروتها مدى لم تعرفه الأحوال المناخية في المنطقة من قبل. وتشير نتائج الأبحاث الجيولوجية والجيومورفولوجية في كل من السودان ومصر وشرق أفريقيا إلى حالة من الجفاف يعكسها انخفاض مستويات البحيرات أو جفافها تماماً كما اختفت مياه السبخات والمنخفضات في الصحراء وتوقفت الأودية من الجريان نحو النهر. أما نهر النيل فقد بلغ أدنى مستوى له خلال هذه الفترة. وفي السودان نجد أن النيل الأبيض قد تقطع تماماً لعدم وصول المياه من بحيرة فكتوريا بدرجة كافية، كما أن النيل الأزرق انخفض

مستوى المياه فيه بدرجة ملحوظة. لقد زحفت كثبان الرمال بالقرب من النهر وتراجعت الأحزمة النباتية إلى لجنوب من حدودها الحالية بما لا يقل عن ٥٠٠ كلم ولم تتحسن أوضاع المناخ إلا مع بداية عصر الهولوسين (١٠,٠٠٠ ق. م)، فلقد كان أثر الجفاف واضحا على استيطان الصحراء التي خلت من المواقع الأثرية الممثلة لفترة العصر الحجري القديم الأعلى وقد هاجرت مجموعات من السكان إلى وادي النيل والأودية القريبة منه حيث اختلطت في المنطقة مجموعات ذات ثقافات متباينة تعكسها مجاميع الأدوات الحجرية مختلفة الأنواع كما سيرد ذكره فيما بعد.

وقد أوضحت أعمال وندروف وآخرون في وادي الكبانية غرب أسوان حجم التأثيرات التي أحدثتها فترة الجفاف في حياة الناس وهي قد بلغت قمتها في ١٧,٥٠٠ – ١٥,٠٠٠ ق. م. فخلالها تجمعت مجموعات الصيادين قريباً من النهر حيث مارسوا الصيد المكثف للأسماك حيث وجدت مئات الآلاف من عظامها. ويعتقد أن الأسماك تجمع في أوقات الوفرة وتحفظ لأيام الشدة. وعندما يأتي الفيضان تزحف المستوطنات قليلاً عن النهر. وقد أضاف السكان لغذائهم النباتات والجذوع حيث تم الكشف عن الكثير من أدوات الطحن أو الجرش ضمن اللقي الحجرية. إن اعتماد مجموعات كبيرة من الصيادين على موارد النيل المحدودة أدى لمنافسة متوقعة نتج عنها اقتتال كان سبباً في موت البعض كما يدل عليه وجود شغرات في منطقة البطن من جسم أحد الهياكل المكتشفة في القبور التي نقبت والأدلة الآثارية الواضحة للموت نتيجة للعنف في هذه الفترة نجدها في جبانة جبل الصحابة بالقرب من وادي حلفا التي نقبت في الستينات من القرن الماضي إذ تبين أن ما يقرب من ٤٠ في المائة من الأفراد ماتوا نتيجة لممارسة العنف وقد وجدت مع الهياكل رؤوس الأسهم الحجرية في مواضع تدل على الإصابة.

وفي عصر الهولوسين الذي أعقب نهاية العصر الجليدي الأخير، بدأت تظهر في وادي النيل مثل غيره من مناطق الشرق الأدنى أنماط معيشية جديدة تقوم على الزراعة واستئناس الحيوان وصنع الفخار. سادت في هذه الفترة دورات مناخ جديدة إذ بعد آخر فيضان كبير للنهر الذي انتهى نحو ٦٠٠٠ ق.م. (تكوين عتيبه) صارت الفيضانات على النمط السنوي المعروف الآن تقريباً. ويلاحظ من توزيع مواقع العصر الحجري الحديث أنها تتركز بالقرب من ضفتي النهر أو قريباً من الأودية التي تصب فيه. وفي السودان يتسع مثل هذا التوزيع ليشمل سهل البطانة ودلتا نهري القاش وعطبرة. ومثلما هو متوقع فإن أحوال البيئة تتنوع بتنوع الخصائص الجغرافية في هذه الأقاليم وأصبح المناخ المحلي يؤثر بدرجة كبيرة في عمليات الاستيطان.

شهد عصر الهولوسين فترتين مطيرتين رئيسيتين تتخللهما فترات جفاف تزيد أو تنخفض حدتهما من مكان لآخر. وتشير مجمل أدلة الآثار إلى أن تجمعات الصيادين باتت منذ أواخر العصر الحجري القديم الأعلى تميل نحو الاستغلال المكثف للموارد الطبيعية المتوفرة وتبقى في مناطقها لفترات أطول مما كان معتاداً في السابق. وفي الصحراء الغربية المصرية نجد أن الأحوال المناخية الطبيعية تحسنت مرة أخرى بعد فترة الجفاف الحاد سابق الذكر فهطول الأمطار الغزيرة أدى إلى احياء الغطاء النباتي حيث عادت الحيوانات إلى أماكنها الطبيعية. ففي واحات سيوة والقطارة والخارجة تحسنت الأحوال المناخية وتجمعت فيها مجاميع سكانية تدل العناصر المادية المكتشفة على أنهم تبنوا نمط حياة العصر الحجري الحديث. وقد وجدت مواقع هذه الفترة منتشرة على امتداد الصحراء الغربية في السبخات والأودية والمنخفضات حيث تمكنت بعض هذه الجماعات من استئناس الأبقار وصنع الفخار منذ الألف التاسع ق. م.

وهكذا استمرت تلك الأوضاع المناخية المواتية حتى نحو ٣٠٠٠ ق.م. عندما يحل الجفاف تدريجياً مرة أخرى في الصحراء مما دفع بمجموعات كبيرة من الناس نحو وادي النيل الذى تأثر هو الآخر بالتحولات الجديدة. تشكل هذه الملاحظات عن البيئة القديمة إطاراً وقاعدة نستند عليها لننظر في تسلسل الأدوار الحضارية لفترة ما قبل التاريخ في وادي النيل.

ب- العصر الحجري القديم (الباليوليتي) بوادى النيل

استخدم الآثاريون الذين درسوا المواد المكتشفة في المواقع التى تعود إلى هذه المرحلة الأولى من ما قبل التاريخ، المنهج المتبع في أوروبا والشرق الأدنى وبخاصة فيما يتعلق بتصنيف مجاميع الأدوات الحجرية التي تشكل المادة الأساسية التى تقوم عليها دراساتهم. وعندما تكون الأدوات المكتشفة مغايرة لما هو موجود من النواحي التقنية والشكلية فإنهم يبدون عليها ملاحظات ويعطونها اسماً محلياً لتأكيد تميزها.

ويقسم العصر الحجري القديم عادة إلى ثلاث مراحل هي الأسفل والأوسط والأعلى، كل واحدة منها تتميز بأنواع من الأدوات وتقنيات متخصصة في تشكيلها إضافة إلى ابتكارات حضارية أخرى تتصل بحياة الناس المادية والروحية.

تبدأ المرحلة الأولى من العصر الحجري القديم في أفريقيا بتاريخ أقدم أدوات حجرية معروفة حتى الآن وذلك في حدود مليوني سنة ونصف وهى محصورة في جنوب أفريقيا وشرقها. وتقسم صناعة الأدوات الحجرية في هذه المرحلة إلى نوعين:

النوع الأول : يسمى **بالصناعة الألدوانية** (نسبة إلى خانق أولدواي في تنزانيا) التي تشتهر بالأدوات الحصوية البسيطة مثل الساطير والمفارم والأدوات الكروية والمطارق إضافة إلى الشظايا غير المشذبة وتستمر هذه التقنية في تصنيع الأدوات

لأكثر من مليون سنة ونصف تقريباً. وقد وجدت خارج أفريقيا في مواقع قليلة في غرب آسيا وجنوب أوروبا وأكثر عدداً منها في شرق آسيا ولكن تاريخها أحدث نسبياً.

لم تعرف في وادي النيل مواقع من نوع الألدوانية في وضع يمكن تأريخه بدقة، لكن هناك ملتقطات سطحية لأدوات شبيهة بها وجدت في أكثر من مكان. ومن أهم المكتشفات الحديثة في شمال السودان يجدر الإشارة إلى موقع "كندارتي" بجزيرة بدين إلى الجنوب من مدينة دنقلا حيث عثر على كمية من الأدوات الألدوانية مثل الساطور والقواطع وغيرها من أدوات حصوية ومعها كمية من عظام الحيوانات المختلفة المنقرضة التي قدر عمرها بين ١,٦ مليون سنة ونصف المليون سنة مما يجعل الأدوات الحجرية قريبة في عمرها من المرحلة الثانية من تطور الصناعة الألدوانية والمؤرخة لنفس هذه الفترة تقريباً في شرق أفريقيا. وهكذا فإن هذه المكتشفات تمثل حتى الآن أقدم أدوات من نوعها يعرف تاريخها على وجه التقريب في السودان. يعزز هذا الاكتشاف بوضوح وجود البشريات الأولى في وادي النيل. أما ندرة المواقع الأثارية من هذا النوع فربما كان سببها التحولات التي حدثت في تكوينات الأرض، بالتالي، اختفاء الطبقات الرسوبية التي كانت تحوي مثل هذه اللقي

أما النوع الثاني من صناعات هذه المرحلة وهو ما يسمى بالصناعة الأشولية التي تؤرخ لما بعد الألدوانية، وهي الأخرى عرفت لأول مرة في أفريقيا ولكنها واسعة الانتشار في العالم القديم بما في ذلك أوروبا. وتمتاز الأشولية ضمن ما تمتاز به بالفؤوس اليدوية جيدة التشذيب من على وجهي الأداة، ولها رأس مدبب وأطراف حادة. ويمكن تصنيعها في أشكال وأحجام مختلفة مما جعل البعض يضعها في مراحل تطورية متعاقبة. وتصحب هذه الفؤوس اليدوية ابتكارات أخرى مثل استخدام النار، واستغلال بيئات طبيعية متباينة مما يدل على قدرة الإنسان في ذلك الوقت على الحركة والتكيف

مع أوضاع مناخية مختلفة. لم يكتشف بعد من الصناعة الأشولية خارج أفريقيا ما هو في حدود تاريخها في أفريقيا. ففي شمال أفريقيا، بما فيها وادي النيل، نجد المواقع الأشولية منتشرة في أكثر من مكان ولا يعرف تاريخها على وجه التحديد، لكنه يقدر في حدود نصف مليون سنة، وذلك من المعطيات الجيولوجية وخصائص الأدوات الحجرية. ويظن البعض أن احتمال وجود مواقع أشولية أقدم من ذلك في وادي النيل أمر متوقع لأنه يمثل أحد المعابر الطبيعية للإنسان في هجراته المبكرة إلى آسيا . توجد المواقع الأشولية في مصر بكثرة في الصحراء الغربية وبالقرب من الواحات والآبار آنفة الذكر، ولكن القليل منها وجد بالقرب من النهر. ومثال ذلك ما اكتشف أوائل القرن الماضي في العباسية، وتلك التي وصفها عالمان الآثار ساندفورد وآركل في صعيد مصر ومنطقة النوبة. وقد حاولا رصد تسلسل صناعة الأدوات الأشولية وربطها بالمصاطب القريبة من النيل ،أما المسوحات الآثارية الحديثة فقد كشفت عن العديد من المواقع الأشولية في وسط مصر حيث أمكن ربطها بتاريخ نهر النيل ، ومهما كانت معلوماتنا عن هذه الفترة شحيحة مقارنة بالمناطق المجاورة إلا أن ما هو معروف حتى الآن يشير بوضوح إلى انتشار صيادي العصر الحجري المبكر على طول النيل. والأبحاث الميدانية الجارية الآن في أكثر من مكان في مصر والسودان لا بدّ أن تمدنا بمعلومات جديدة خاصة وقد توفر لها الإمكانيات العلمية الحديثة مما يؤهلها لذلك.

حـ- العصر الحجري القديم الأوسط بوادي النيل

خطى البشر خلال الفترة الممتدة من ١٥٠,٠٠٠ قبل الحاضر خطوات مهمة في اتجاه تحسين مستوى تصنيع أدواته وتنويعها وإضافة مواد أخرى في قاعدة غذائية باستكشافه لمناطق جديدة في العالم بما فيها الأقاليم الباردة من أوروبا. وفي هذا العصر أيضاً شاع استخدام النار بأكبر مما كان وبرزت بوادر الفنون البسيطة متمثلة في صنع

الحرز ورسم الخربشات البسيطة على العظم أو الحجر كما بدأ الإنسان دفن الموتى ولو بطريقة بدائية. إن أهم ما يذكر عادة في مجال تصنيع الأدوات هو اعتماد تقنية جديدة تستخدم لتجهيز النوى بطريقتين متخصصتين يسميان الليفالوازية والموستيرية وتشتهران في مناطق في أوروبا وشمال أفريقيا وشرق المتوسط. وكانت معظم أدوات الإنسان في هذه المرحلة تشكل على الشظايا عوضاً عن كتل الحصى أو الفؤوس في العصر السابق كما أن تشذيبها يعكس قدرة وتحكماً تقنياً واضحاً. أشرنا آنفاً إلى أن بعض الباحثين ظنوا أن وادي النيل لم يسهم في تطورات هذه المرحلة مع غيره ولكن آراءهم تغيرت بعد الاكتشافات الحديثة التي أوضحت بجلاء ثراء المنطقة الحضاري بل وتميزها بتقاليد في تشكيل الأدوات الحجرية بأسلوب غير معروف في الأقاليم المجاورة. ومهما يكن من أمر فإن مجمل الأدلة الآثارية فيها ما يكفي لجعل وادي النيل ضمن الدائرة الحضارية التي تشمل حوض المتوسط وغرب آسيا وأوروبا.

وخلال الفترة المشار إليها تمكن الإنسان من التكيف مع البيئة النيلية التي أصبحت جزءاً من دورة الحياة والاقتصاد المعيشي للصيادين إذ نجد مواقع صناعة خور موسى في منطقة وادي حلفا، على سبيل المثال، قريبة من النهر على السهل الفيضي. وتدل عظام الحيوانات على أن أصحابها استغلوا بيئة السافنا مثلما استفادوا من أسماك البرك والمستنقعات القريبة من النهر ومن جهة أخرى أوضحت الدراسات الحديثة أن بعض تقنيات صناعات العصر الحجري القديم الأوسط استمرت في وادي النيل لفترة طويلة بعد أن اختفت من أمكنة كثيرة في الشرق الأدنى. وكما سيأتي ذكره فإننا نجدها أحياناً جنباً إلى جنب مع تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، أي، مع المرحلة التي تليها.

توجد معظم مواقع العصر الحجري القديم الأوسط في أواسط مصر وجنوبها وفي النوبة السودانية إضافة إلى الصحراء المصرية، كما ويُعرف القليل منها في بقية شمال السودان حيث تم تحديد بعض مواقعها في منطقة دنقلة.

وفي السودان إلى الجنوب من النوبة يقتصر وجودها على ملتقطات سطحية وقليل من المواقع التي تحوى طبقات رسوبية. ومن الواضح أن شكل ومحتوى هذه المرحلة ينطوي على اختلافات حضارية وينتظر تحديد معالمها المسوحات الآثارية التي تفتقدها معظم أقاليم السودان إلى الجنوب من النوبة. لم يكن متاحاً تحديد عمر الصناعات الموستيرية في النوبة السودانية سوى عن طريق المقارنات الشكلية والظواهر الجيومورفولوجية التي ترتبط بها تلك اللقي. ومن جهة أخرى كان من الممكن الحصول على تواريخ راديوكاربونية (الكربون المشع١٤) لمواقع صناعة خور موسى التي تُعد الآن ضمن الصناعات الحجرية لهذه الفترة إذ اتضح أنها ترجع إلى فترة أقدم من ٣٥,٠٠٠ ق.م.

وفي أواسط مصر كشفت الأبحاث الحديثة عن عدد من مواقع الفترة حول ابيدوس وسوهاج متصلة بنظام نهر النيل حيث وجدت الأدوات والمواد العظمية في أمكنتها الأصلية. ولا تختلف مجاميع الأدوات الحجرية عن مثيلاتها في المنطقة حيث توجد فيها التقنية الليفالوازية بوضوح، وقد تمكن الذين نقبوا في هذه المواقع من توثيق تسلسل تطوري يربط بينها وبين صناعة المرحلة التالية من العصر الحجري القديم الذي ينسب إلى فترة انتشار الإنسان عوفي الصحراء الغربية المصرية وامتدادها في شمال السودان كشفت المسوحات الآثارية عن العديد من المواقع التي تعود لهذه الفترة وهي قريبة من موارد المياه وما يتصل بها من عناصر طبيعية نباتية وحيوانية وفرت قاعدة غذاء كافية لمجموعات الصيادين. ومن أمثلة هذه المواقع المهمة ما اكتشف في بئر

طرفاوي وبئر صحراء حيث أمكن تحديد ثلاثة تقاليد في تشكيل الأدوات الحجرية تعكس تنوعاً في أسلوب تصنيع الأدوات وفي أشكالها، وهي الموستيرية التي تغلب عليها الأدوات المسننة والمكاشط والرؤوس وتتميز بكبر حجم الأدوات، ثم تليها أخرى تمتاز، إضافة للأنواع السابقة، بوجود قليل من الأدوات ورقية الشكل وهي مشذبة الوجهين، أما الثالثة فتميزها القطع الورقية المذكورة بأعداد أوفر إضافة إلى الرؤوس المجنحة ومشذبة الوجهين.

د- العصر الحجري القديم الأعلى بوادي النيل

يُعد هذا الدور من أهم مراحل فترة ما قبل التاريخ نسبة لما حدث خلالها من تطور في حياة الإنسان المادية والروحية كما تدل عليه المكتشفات الآثارية على مدى سنوات طويلة في أوروبا والشرق الأدنى. لقد حدثت في هاتين المنطقتين بصفة خاصة تحولات ثقافية مست كل أوجه حياة الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والفكرية خلال هذه الحقبة مما جعلها قاعدة انطلقت منها كل التطورات الثقافية العميقة التي أنجزتها البشرية في نهاية ما قبل التاريخ. تحوي المواقع الآثارية التي ترجع إلى هذه الفترة ثروة من الأدوات الحجرية المتميزة، وكذلك العظمية، وأدوات الزينة، والرسوم الجدارية الملونة، وأشغال النقش والنحت المختلفة. وقد تمكن الإنسان من ارتياد مناطق جغرافية جديدة أتاحت له موارد غذائية متنوعة تكفي الأعداد المتزايدة نسبياً من البشر.

لقد كانت منطقة الشرق الأدنى أحد المراكز الأولى التي ظهرت فيها هذه السمات الثقافية الجديدة، بخاصة شرق المتوسط وشمال أفريقيا، وذلك نحو ٤٢٠٠٠ ق.م. تبدو أولى سمات التغير في تشكيل الأدوات الحجرية عندما حلت تقنية تصنيع الشفرات والنصال مكان تصنيع الشظايا. وتبدأ هذه الخطوة بتجهيز نواة هرمية بطريقة غير مباشرة في اتجاه طولي لكسر النصل أو الشفرة، وفي أواخر الفترة ظهرت تقنية

أخرى تقوم على الضغط باستخدام قرون الحيوان مما أتاح قدراً كبيراً من التحكم في عمل الأدوات. وأضاف الإنسان لها أدوات جديدة شكلها من العظم والعاج والخشب.

لم يكن وادي النيل بطبيعة الحال بعيداً عن مجريات هذه التطورات فقد أسهم مع غيره من مناطق العالم القديم بقدر كبير في إثراء التجربة الإنسانية في تلك المرحلة من تطور الثقافة. أوضحت المكتشفات الآثارية الحديثة ظهور تقنيات صناعة أدوات العصر الحجري القديم الأعلى في أواسط مصر نحو ٣٧,٠٠٠ قبل الحاضر على غير ما كان متعارف عليه في السابق مما يضع هذا الجزء من وادي النيل في مصاف أوروبا الغربية وشمال أفريقيا. وأشار الذين نقبوا في هذه المواقع إلى عدم تمكنهم من الكشف عن أدلة تشير إلى تطوير هذه التقنيات الحديثة محلياً بل أنهم يعتقدون بأن ظهورها كان بفعل وصول تيارات ثقافية من خارج المنطقة من شرق المتوسط أو الداخل الأفريقي. وهناك مواقع وجدت فيها كلتا تقنيتي العصر الحجري القديم الأوسط والأعلى معاً. طرحت في السنوات القليلة الماضية إشكالية انتشار الإنسان وكان محورها نظرية المهد الأفريقي وانتشاره من هذه القارة إلى بقية أقاليم العالم القديم.

اللافت أن الاستيطان البشري اتجه نحو التركيز على السهل الفيضي كلما تقدم الزمن خلال هذا العصر، ربما كان ذلك بفعل الجفاف الشديد الذي حل بالمنطقة وأدى إلى نزوح الجماعات الصحراوية إلى منطقة وادي النيل كما أشير إليه سابقاً. فالسهول مثل كوم أمبو، ودشنا، وعند مداخل الأودية الكبيرة صارت مناطق كثافة سكانية. أما في شمال السودان فقد وجدت القليل من المواقع التي تحمل تقنية إنتاج النصال والشفرات بل أنه لم يكتشف مثلها في أواسط السودان سوى ما كان في خشم القربة على نهر عطبرة حيث وجد عدد من المواقع المتأخرة زمنياً تعود لنحو ١٠,٠٠٠ ق.م. أي، ما يقابل نهاية العصر الحجري القديم.

إن الخاصية البارزة لتقاليد صناعات الأدوات الحجرية في مصر العليا حتى النوبة السودانية هي الثنائية المتمثلة في استخدام تقنيتين مختلفتين لإنتاج الأدوات. استخدمت التقنية الأولى لعمل النصال، والشفرات الرفيعة، وأدوات أخرى مثل الأزاميل، والمكاشط الطرفية، والمثاقب، وغيرها.

وتمثلت الثانية في التقاليد التي احتفظت بالتقنية القديمة أو عدلت من شكلها مع مرور الوقت، لكن التركيز يظل قائماً على استخدام الشظايا لعمل الأدوات المشذبة دون النصال. وكشفت أعمال المسوحات والتنقيب الآثاري في المنطقة الممتدة من أسوان شمالاً حتى سوهاج عن العديد من الصناعات الحجرية التي نسبت لجماعات من الصيادين الذين عاشوا خلال الفترة الممتدة من ٢٠,٠٠٠ قبل الحاضر حتى نهاية العصر الحجري القديم.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يعيشون في بيئة نيلية واحدة فإن العناصر المادية لثقافتهم كانت متباينة، لهذا آثر الذين درسوها إعطائها أسماء مختلفة مثل ثقافات الفاخوري، والسبيل، وأسنا، والسلسلة، وعافية، والمنشية، والكبانية لقد استغلت هذه الجماعات الموارد المحلية بصورة جيدة وركزت على الحبوب البرية وجذوع النباتات المفيدة غذائياً كما تشير إليه أدوات الطحن الحجرية ونتائج الفحص المجهري الذي أجرى على الشفرات والنصال.

وأصدق مثال لهذا الاستغلال المكثف للحبوب البرية والأسماك نجده في وادي الكبانية حيث أمكن تحديد نحو عشرين نوعاً من النباتات التي تمت الاستفادة منها في الطعام، وكان أغلبها من الأنواع الدرنية المتوفرة محلياً. لقد تمكن الصيادون في هذه المواقع من إدارة الموارد الطبيعية المتاحة بطريقة تجعلهم مقيمين في المنطقة معظم

السنة. وتشير المعطيات الآثارية إلى أنهم، رغم ما توفر لهم من قدرات، لم يتمكنوا من الانتقال لمرحلة إنتاج الطعام عن طريق ممارسة الزراعة مباشرة

هـ- العصر الحجري الحديث

أنجزت بعض المجتمعات في هذا العصر – بعد نهاية العصر الجليدي – ابتكارات مهمة كان لها الأثر البعيد في تشكيل مستقبل الثقافات الإنسانية. ويطلق عليها علماء الآثار "مرحلة إنتاج الطعام" أو "الثورة الزراعية" إشارة إلى تمكن الإنسان من الانتقال من اقتصاد معيشي استحواذي يقوم على الصيد والجمع والالتقاط وحياة التنقل المستمر، إلى اقتصاد معيشي إنتاجي عماده الزراعة وتربية الحيوان.

وكان توفير الغذاء عاملاً حاسماً في استقرار مجاميع الصيادين في مستوطنات شبه دائمة أولاً، ثم تحولت إلى قرى دائمة تكونت عبرها أنظمة اجتماعية وثقافية واقتصادية جديدة. تطورت خلال ذلك الصناعات الحرفية بأنواعها لتواكب أنماط الاقتصاد المعيشي الجديد وصارت المجتمعات تتبادل المواد والسلع بطريقة غير معهودة مما أدى إلى نموها. من معدات الإنسان المستخدمة الأدوات الحجرية المصقولة وغيرها مما يناسب استغلال البيئة لتوفير الغذاء. كما تمكن الإنسان من صنع الأواني الفخارية الضرورية لحفظ الطعام أو إعداده. لم تظهر هذه السمات الثقافية كلها في وقت أو مكان واحد، إلا أن هناك مناطق من العالم القديم لها قصب السبق.

ففي بعض أقاليم الشرق الأدنى تحقق معظم أو كل هذه الخطوات بحوالي الألفية الثامنة قبل الميلاد. وفي الوقت نفسه، على أقل تقدير صناعة الفخار في كل من أواسط السودان والصحراء الكبرى قبل أن يتمكن الإنسان من الزراعة أو استئناس الحيوان. أما في مصر وشمال السودان فلم تظهر ثقافات العصر الحجري

الحديث إلا ما بين الألفية السابعة والخامسة ق.م. تقريباً، خاصة إذا ما اعتمدنا وجود معظم خصائصها شرطاً لبداية المرحلة.

ففي ثقافة الخرطوم المبكرة تمت صناعة الفخار خلال الألفية الثامنة ق.م. على أقل تقدير، ولم يصحب ذلك إنتاج للطعام، كما أننا نجد في جنوب مصر مستوطنات شبه دائمة أقام أصحابها لأواخر العصر الحجري القديم مثل وادي الكبانية ومنخفض نبتة ولكنها لم تحقق الزراعة في ذلك الوقت.

يكتسب الحديث عن ثقافات العصر الحجري الحديث وتأسيس مرحلة إنتاج الطعام في مصر أهمية خاصة ذلك لأنها تمثل الظرف الثقافي الذي انبثق منه أقدم وأعظم نظام دولة مركزية في الشرق الأدنى في أواخر الألفية الرابعة ق.م. (مع ملاحظة وجود رأي يقول بأقدمية انبثاق الدولة في سومر بالجزيرة الفراتية -أركاماني) كانت معلوماتنا عن فترة العصر الحجري الحديث في مصر شحيحة ومحصورة في نتائج أعمال آثارية أجريت في مواقع محدودة.

أما اليوم فقد توفرت معلومات غزيرة نتيجة لاهتمام العلماء بأهمية البحث الميداني في موضوع أصل الحضارة المصرية القديمة. وتنشر التقارير العلمية تباعاً عن الأعمال الميدانية التي تغطي مساحات واسعة من وادي النيل في مصر وفي صحراء مصر الغربية الشيء الذي أضاف بعداً جديداً في تناول قضية أصل الزراعة، ومن ثم قيام الدولة المركزية لاحقاً. ويتفق الكثيرون اليوم على أن الصحراء لعبت دوراً مفصلياً في تطور حضارات وادي النيل مثلما تلقت مصر مؤثرات أخرى من شرق المتوسط.

سبقت الإشارة إلى أن المكتشفات الآثارية الحديثة في الأودية والمنخفضات الواقعة في طرف الصحراء أوضحت بجلاء وجود مجتمعات تعتمد على الحبوب البرية

في الغذاء والصيد المكثف الذي سمح لها بإنشاء مواقع إقامة شبه دائمة وقد كانت هذه التجارب مقدمة طبيعية لأحداث النقلة في إنتاج الطعام.

ففي وادي الكبانية وعلى بعد مائة كلم غرب أبي سمبل تم تأريخ بعض مواقع العصر الحجري الحديث المبكر بحوالي ٦٨٥٠ و٦٥٥٠ ق.م.، وقد وجد أكثر من أربعين نوعاً من النباتات تمثلها حبوب مثل الذرة، والدخن، والبقوليات، والجوز، وغيرها من الأنواع الدرنية. ويعتقد الذين نقبوا في هذه المواقع أن الغذاء النباتي قد طور محلياً بمعزل عن تجارب تدجين القمح والشعير في بلاد الشام.

في أحد هذه المواقع كشف عن أساسات أكواخ وحفر لتخزين الحبوب ومواقد النار. وفي مكان آخر وجدت بقايا بيوت بيضاوية الشكل أو دائرية وبداخلها الحفر ومواقد النار. وتشير قرائن الأدلة إلى وجود مجتمعات شبه مستقرة حققت إنتاجاً زراعياً محلياً.

وتأتي أهمية الصحراء أيضاً في اكتشاف أدلة أثرية لاستئناس الأبقار في حدود الألفية السابعة ق.م. على أقل تقدير كما تمكنت بعض الجماعات من عمل الفخار المزخرف جيد الصنع وهو أقدم من أي فخار آخر وجد في وادي النيل ما عدا فخار الخرطوم المبكرة. ويرى كثير من الباحثين في آثار المنطقة إلى أن مهمة إنتاج الطعام في الصحراء قد أنجزت بصورة مباشرة وربما سريعة ويعزون السبب المباشر للتغيرات البيئية وتوفر الموارد الطبيعية وكذلك التقنية المطلوبة.

ومن أمثلة مواقع إقامات العصر الحجري الحديث في أواسط مصر ما كشفت عنه تنقيبات كاتون-طومسون وغاردنر في الثلاثينات من القرن الماضي في منخفض الفيوم. وقد تحدثا عن وجود مستويين من طبقات الموقع وصفت الأولى بأنها تعود

لعصر الهولوسين المبكر. ونسبة لما وجد فيها من فخار ومواد أخرى وصفت بأنها عصر حجري حديث مبكر.

أما المستوى الثاني فيمثل ثقافة جماعات من الصيادين لم يتمكنوا من إنجاز الانتقال بعد إلى مرحلة إنتاج الطعام وصفوا بأنهم مجموعة معزولة على أن التنقيبات الآثارية التي أجريت فيما بعد أوضحت أن خطأ قد جرى في تفسير طبقات ترسبات البحيرة القديمة وبالتالي، يصبح الترتيب الزمني الذي افترضته كاتون – طومسون غير صحيح كذلك تبين أن إنتاج الطعام الكامل متمثلاً في الزراعة واستئناس الحيوان قد ظهر فجأة في الفيوم وأيضاً في موقع مرمدة، ذلك نحو نهاية الألفية السادسة وبداية الألفية الخامسة ق.م. وهذه الفترة نفسها شهدت الصحراء الشرقية موجة جفاف شديدة يعتقد أنها كانت السبب المباشر في نزوح جماعات على دراية بإنتاج الطعام من الصحراء في اتجاه وادي النيل.

١- حضارة الفيوم:

ومنطقة الفيوم وهي تقع على الضفة الغربية للنيل شمال القاهرة وترجع الى عام ٤٤٠٠ ق.م وقد استمرت ١٠٠٠ عام ومن بقايا الفخار الذي وجد لم يعثر الباحثون في مركز حضارتها على آثار للموتى والغالب أنهم قد دفنوا في مكان بعيد .

نجد أنه أقيمت بالقرب من شواطئ البحيرة حيث بنى سكانها أكواخاً من القصب وحفروا المخازن تحت الأرض في الأجزاء المرتفعة. وقد وجد في تلك المخازن بقايا القمح والشعير والحنطة المدجنة. ومن عظام للحيوانات المستأنسة عرفت الأغنام والماعز إضافة إلى بعض الأنواع البرية مثل الفيل، والتمساح، وفرس البحر.

كذلك أضافوا إلى قائمة مواد الغذاء الأسماك المتوفرة بالبحيرة، ومع غيرها من مواد نباتية طبيعية، وفرت قاعدة غذاء متنوعة. وتشمل الأدوات المكتشفة الرؤوس،

والسهام، والخطاطيف العظمية، وشكلوا من الحجر المناجل والأدوات ورقيـــة الشــكل، والفؤوس، والرؤوس المدببة، وغيرها من الأدوات المصقولة. ومن مصنوعاتهم أيضـــاً السلال التي غطوا بها حفر تخزين الحبوب. أما فخار الفيوم فقد صنع مـــن الصلصـــال الخشن وفيه من الأواني المصقولة أشكالاً متنوعة ذات قواعـــد مســطحة أو دائريـــة. ويعكس الفخار تقنية متطورة يعتقد أركل أنها وصلت إلى مصر من خارجهـــا، ربمـــا فلسطين، ويدعم رأيه بالإشارة إلى وجود الفؤوس المجوفة وأخـــرى مصـــقولة ضـــمن الأدوات المكتشفة. كذلك أشار البعض إلى أن الفروق النوعية والتقنية بين المخلفات التي تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى (الفيوم ب) وبين مخلفات (الفيوم أ) كبيرة جداً مما يجعل احتمال التطور المحلي أمراً غير ممكن.

ويمكن تناول بعض أوليات هذا الفن فيما يلي :

السلال والحصير والنسيج :

فقد عرفت حضارة الفيوم صناعة السلال Basketry، حيث عثر على ســـلال على شكل أطباق كبيرة واسعة، أو على شكل قوارب، كذلك عرفـــت صـــناعة نســـيج الحصير الذى استخدم بكثرة فى فرش وتبطين المقابر وحفرات تخزين الحبوب، وكانت الحصر تصنع عادة من القش أو من نبات الأسل أو السمار، وهـــو نبـــات لـــه أوراق أسطوانية طويلة كانت تصلح لهذا الغرض بعد تجهيزها.

وعثر ضمن آثار حضارة الفيوم أيضاً على نوع بدائى خشن من نسيج الكتـــان، مما يفهم معه أن زراعة الكتان وعمليات تجهيزه للنسيج كانت معروفة أيضاً فـــى ذلـــك الزمن المبكر. وهذا يؤدى إلى إفتراض وجود المغازل Spindles أو الأنوال Looms بالرغم من عدم العثور على منها ضمن آثار تلك الحضارة.

وطوال تلك الفترة التى استغرقتها الحضارة القديمة تطورت عمليات نسج الكتان وتحسنت كثيراً ، نظراً لاستخدامه فى صناعة الأردية والملابس ، وقد استخدمت جلــود الحيوان أيضاً فى تلك الصناعة ، حيث تحسنت مهارة الفلاحين فى تنعيم ودباغة الجلود وخياطتها مع بعضها باستخدام إبر مصنوعة من العظام ، ويدل ذلك على ما عثر عليــه من آثار تلك الحضارة فى منطقتى الفيوم والبدارى .

أدوات الزينة :

عثر على أدوات مصنوعة من الأحجار الملونة المثقوبة وأنواع من الخــرز الدائرى المسطح المصنوع من الأصداف فى آثار حضارة الفيوم والذى يدل على ما حدث من تطور وتحسن بصناعة أدوات الزينة والترف والعقود والأحزمة والمآزر المزينة بالخرز ، كما عثر على كثير من الصحون التى كانت تستخدم فــى طحــن وسحق مواد التجميل التى كانت لاتخلو منها مقابر ذوى الشأن مــن القــوم ، وقــد استخدم مسحوق معدن " الملكيت الأخضر" (اى كربونات النحاس القاعدية) لتجميل العيون وتلوين الاوانى وقد شاع استخدام هذه الطريقة فى الزينة والتجميل فى جميع عصور ما قبل الأسرات بشكل عام .

الأسلحة :

كانت الأسلحة والأدوات تصنع جميعها من الأحجار، وكان للحراب تصــنع من شظايا العظام أو حجر الصوان، كما ابتكروا شكلا لعصا كانت تستخدم فى صيد الطيور. وقد ظل إستخدام هذه العصا ثابتاً طوال العصور المصرية القديمة التالية.

الطعام والأواني الحجرية والفخارية

وكان الطعام متوفراً بكثرة في جميع فترات ومواقع تلك الحضارة، كما تم استئناس الكلاب والماعز والأغنام والثيران والأوز في مناطق الجنوب الشمال، كما استؤنست الخنازير في المناطق الشمالية ، كما كذلك فقد كثرت عمليات صيد وقنص الحيوانات والأسماك والطيور، وأغلب الظن أن الحبوب كانت تغلى وتطهى في القدور كما كانت تطحن وتستخدم في صناعة الخبز.

وكانت أواني طبخ وتناول الطعام تصنع من الفخار ، وقد دلت الشواهد الأثرية على أن صناعة الأواني الفخارية كانت تتطور وتتحسن باطراد ، بدءاً من الأواني والأوعية التي كانت تصنع من الطين والزهريات التي كانت تصنع من الصلصال والتي عثر عليها ضمن آثار حضارة الفيوم .

إن عدم وجود مبان معمارية في الفيوم يعطي انطباعاً بأن الإقامة الدائمة لم تكتمل بعد بالرغم من وجود المطامير التي تحفظ فيها الحبوب مع غيرها من شواهد آثارية دالة على حجم الإقامة وتراكم اللقي فيه.

٢- مرمدة بني سلامة:

وهي تقع في دلتا نهر النيل و كانوا أهالي هذه المرمدة يقيمون مجتمعاتهم بالقرب من حواف وشطآن المستنقعات، وتحت حماية النباتات الكثيفة التي كانت تعمل كمصدات للهواء. كما عثر أيضا على مجموعة كبيرة من الاكواخ الواطئة البيضاوية الشكل والتي بنيت من كتل الطين الجاف وفي كل منها كان يوجد اناء واسع الفم مثبت في الارض حيث كان يستخدم لتجميع مياه الامطار التي تتسلل خلال السقف المصنوع من القش. وكانوا ينفردون بطريقة فريدة للدفن حيث كانوا يدفنون موتاهم على الجانب الأيسر تحت أرضيات المساكن .

يُعد موقع مرمدة بني سلامة دليلاً مبكراً على حياة الاستقرار الكامل في القرى على ضفاف وادي النيل. وهو موقع إقامة كبيرة مساحته ١٨,٠٠٠ متر مربع تقريباً وفيه رديم طبقات سكنية يبلغ سمكها نحو المترين، ويؤرخ الموقع للفترة ما بين ٥٢٠٠ و ٣٥٠٠ ق.م. ولوحظ أن فخار مرميدة وأدواتها الحجرية تشبه إلى حد كبير ما وجد منها في الفيوم. يكمن الفرق في أن فخار مرميدة فيه زخارف أكثر اتقاناً وجمالاً.

بدأت الإقامة في القرية بتشييد الأكواخ المتفرقة ثم ازدادت الكثافة السكانية في الطبقات العليا حيث نجد بناء الأكواخ ذات الجدران على ارتفاع مناسب فوق سطح الأرض. تبدو هذه الوحدات المعمارية صغيرة الحجم تكفي ربما لشخص واحد وهي تبنى على مجموعات وتلحق بها مخازن للحبوب عبارة عن جرار كبيرة أو سلال مدفونة تحت السطح. دفن سكان مرميدة موتاهم داخل موقع الإقامة التي قدر عدد أفرادها بالآلاف.ومن مواقع الإقامة الجديرة بالذكر ما نسب لثقافة العمري من عدد من المواقع والمقابر المنتشرة بين القاهرة وحلوان. وتعكس المباني المشيدة، وكمية اللقي التي تحويها طبقات الرديم إقامة لفترة طويلة قدر زمنها بين ٤٢٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م.

أما إلى الجنوب من الدلتا وأواسط مصر فقد وصف الأثاريون عدداً من ثقافات المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث أطلقوا عليها مصطلح "ثقافات ما قبل الأسر" ومن أشهرها البداري، وتاسا، ونقادة الأولى، ونقادة الثانية.

٣- حضارة البداري:

وهي قرية في الصعيد على الضفة الشرقية لنهر النيل وأهم مايميز البداريون انهم كانوا يؤمنون بالبعث (الحياة الثانية بعد الموت) وكانوا يلفون موتاهم بالحصير ويدفنونهم مع حيواناتهم المحببة أو بعض التماثيل للحيوانات او النساء او الطيور.

كما عثر ضمن آثار حضارة البدارى على أدوات زينة وأساور مصنوعة من العاج و من الأصداف والتى تدل على انها استخدمت بشكل شائع فى هذا العصر ، كذلك فقد عُرف فى هذا العصر كيفية استخراج الزيوت من النباتات العطرية البرية وإستخدامها في تنظيف البشرة وتنعيمها، كما عرفوا أمشاط تسريح الشعر وصنعوها من العظام أو من العاج، وزينوها وزخرفوها بأشكال من أنواع الطيور والحيوانات.

وقد عثر على بعض هذه الأمشاط ضمن آثار حضارة البدارى، كما عثر على أوانى خزفية زهريات ذات الجدران الرقيقة المتميزة والتى تتميز بأسطحها الخاجية المصقولة وذات الاسطح الحمراء التى انتشرت فى حضارتى العمرة والبدارى «التى كان صانعوها يميلون إلى زخرفتها وتجميلها بزخارف مختلفة أغلبها خطوط أو أشكال هندسية بيضاء ينقشونها على أسطحها الخارجية السوداء أو المرقشة بألوان متعددة .

٤- حضارة تاسا:

وهي في الصعيد على الضفة الشرقية لنهر النيل شمال قرية بداري وتعود الى حوالي عام ٤٢٠٠ ق.م عثر فيها على الفؤوس واقداح وكؤوس على هيئة الزهر وأدوات زينة تكاد تقتصر على خرزات من صدف او عظم او عاج . وقد عثر بها ايضاً على أواني خزفية غير محروقة جيداً والتى عثر عليها ضمن آثار " دير تاسا".

٥- حضارة نقادة الأولى (حضارة العمرى):

وتقع في الصعيد على الشاطئ الغربي لنهر النيل ويرجع تاريخها الى عام ٣٦٠٠ ق.م وكان سكان هذه الحضارة عرفوا اللبن فيدويدعمون به جدران القبور وكانوا يدعون مع الميت في قبره الطعم والشراب والمتاع .وكانت هذه الحضارة الممهدة لوحدة الحضارة المصرية التي ظهرت على وجه الأرض .

تمكن أصحاب هذه الثقافات من استغلال المعادن لأول مرة، ومن ثم صنفت ثقافتهم في الطور الثقافي المسمى بالعصر الحجري الحديث (المعدني) كما تطورت مجتمعاتها إلى مستويات اقتصادية واجتماعية وفنية غير معهودة. وهي من ناحية أخرى تمثل المقدمة المنطقية لبزوغ الدولة المصرية القديمة، مع أن كثيرين يقولون بتسرب أفواج من سكان الصحراء أدى امتزاجهم مع سكان النيل إلى تفاعلات ثقافية أثمرت عن قيام الدولة القديمة. ومهما يكن من أمر فإن أهل البداري تركوا تراثاً مادياً يعكس ثراء مستواهم الفني والاقتصادي. فالأواني الفخارية المصقولة تعد من أجمل ما عرف في مصر وفيه من الأنواع الرفيعة المزخرفة بأشكال نباتية رائعة. وتشمل الأواني الصحون والأكواب الرفيعة والقدور وغيرها. دفن سكان البداري الموتى في قبور خصصت لها مساحات خارج موقع الإقامة ووضعوا مع الميت بعض الأدوات والقطع الفنية. كذلك خصصوا القبور لدفن الحيوانات التي عاملوها بطريقة توحي بمعتقدات روحية محددة.

ومن مصنوعاتهم الحرفية اكتشفت الأواني الجميلة، والأدوات الحجرية، والسلال، والحصائر، والملابس الجلدية، والأغطية مما يشير إلى شيوع تقنية النسيج. ومن العناصر اللافتة للانتباه في ثقافتهم الإمكانيات الفنية التي عكستها التماثيل الآدمية الصغيرة، والمصنوعات الحرفية الجميلة مثل الأمشاط، والملاعق المزخرفة بأشكال الحيوانات المنحوتة، إضافة للخرز، والأساور النحاسية، ومشغولات العاج.

لقد تركز وصفنا لثقافات ما قبل التاريخ في وادي النيل على أنماط الإقامة، وأحوال المناخ، واستغلال الموارد الطبيعية، وما أنتجه الناس من أدوات حجرية، وفخار وغيرها من مصنوعات تعينهم في حياتهم اليومية. وفي مناطق أخرى من العالم القديم مثل أوروبا، أو الصحراء الكبرى، أو جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، يشكل الفن

البداني بتعبيراته المختلفة جزءاً مهماً من التراث المادي الذي يضيف معلومات مهمة عن حياة مجتمعات ما قبل التاريخ. وبالنسبة لوادي النيل لم تحظ الفنون الصخرية المنتشرة على طول الوادي حظها من الدراسة المفصلة، وربما يعود ذلك لأكثر من سبب أولها حداثتها النسبية إذ لم يكتشف شئ منها في مستوى قدم الفنون الأوروبية أو الصحراء الكبرى. يضاف إلى ذلك صعوبة تأريخ ما وجد منها وربطه بالمواقع الأثارية في المنطقة.

٦- حضارة نقادة الثانية (حضارة جرزة):

عثر على العديد من الآ ثار التي تنتمي لهذة الفترة بمنطقة الجرزة وبعض مناطق الفيوم والتي من خلالها استطعنا استنباط مميزات وخصائص حضارة الجرزة التي تقع في الوجة البحري، وبدراسة هذه الآثار ومخلفات أخرى لها نفس الخصائص والمميزات في بعض مناطق الوجه القبلي، خصوصاً في مناطق الجبانات الواسعة في نقادة والبلاّص بالقرب من قفط.

وتعتبر هذه الآثار الأخيرة تطوراً لآثار ومخلفات حضارة العمرة التي كانت سائدة من قبل في تلك المناطق ، وقد ظهر في عصر حضارة الجرزة أهم مميزات وخصائص الحضارة المصرية في عصر ماقبل الأسرات المبكر والتي أخذت تتطور بدورها حتى دخلت مصر في عصورها التاريخية بعصر الأسرات .

فقد تميزت الأواني الفخارية التي يرجع تاريخها إلى عصر تلك الحضارة بأن بيئة ايادي لحملها وتم زخرفتها بخطوط متموجة ، وهي مماثلة تماماً للأواني الفخارية التي عثر عليها في فلسطين، والتي يرجع تاريخها لنفس العصر تقريباً كما أن هذه الأواني الفخارية كانت ملونة بألوان خزفية خفيفة يغلب عليها اللون الأحمر القرنفلي أو اللون الأصفر البرتقالي، ومزخرفة بخطوط حمراء.

أما الوحدات الزخرفية التي كانت تنقش عادة على تلك الأواني فكانت تتضمن تلالاً مثلثة الشكل وطائر الفلامنجو أو البشروش أو النحام (وهو طائر مائي طويل العنق والرجلين) والوعول ، والاشكال الآدمية ، وكانت بعض تلك الأواني مزخرفة بتصميمات وأشكال يرجح أنها تمثل أضرحة أو عروشاً أوشعارات أو رموزاً خاصة ببعض الآلهة.

وقد عثر في منطقة الجبلين (وتقع على الشاطئ الغربي للنيل جنوب أرمنت) على بقايا قطعة من القماش رسمت عليها مراكب توضح لنا نموذجاً لما كانت عليه طريقة تصميم وبناء السفن في تلك الفترة من عصر ما قبل التاريخ ، حيث رسمت المراكب ومجاديفها ورجال الدفة، كما رسمت أيضاً أشكال تمثل كبائن تعلو أسطح تلك المراكب.

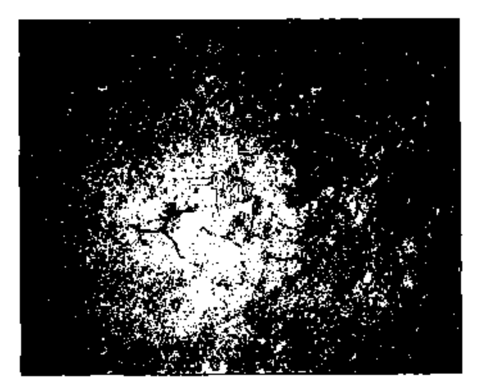
وقد تم اكتشاف الكثير من الأواني والزهريات الحجرية التي يرجع تاريخها إلى عصر حضارة الجرزة وربما يرجع ذلك لاختراعهم المثقاب والذي جعل من عملية ثقب وتجويف وتفريغ الحجر عملية أقل صعوبة مما كان علية من قبل .

كما وصلت عملية صقل وتشذيب حجر الصوان في هذا العصر لمستوى رفيع من الدقة وهو ما يؤكده ما عثر عليه من نصال السكاكين ذات الحواف الرقيقة الحادة ، والمحفورة بأشكال وخطوط متموجة. اما تقنية الطلاء الزجاجي للاواني فقد بدأت في عصر حضارة البداري بتزجيج بعض المصنوعات الصغيرة كحبات الخرز ، اما بعصر حضارة الجرزة فأصبحت طريقة التزجيج ذات طابع وتقنية فريدة ، والتي احتلت مكانة مرموقة في الصناعة المصرية والمسمى بالخزف المصري ذو البريق وقد زاد تتطور هذه التقنية طوال عصور التاريخ المصري القديم وحتى العصور الإسلامية.

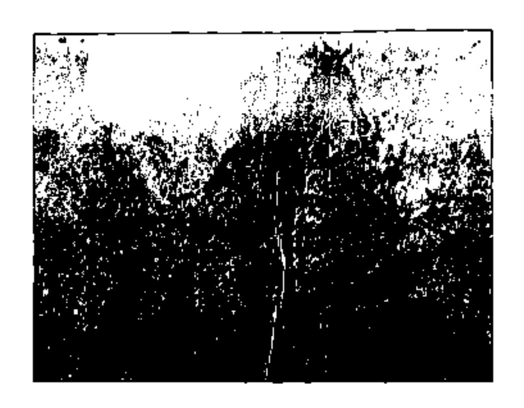
ومن المرجح أن المواد التي كانت تستخدم في صناعة هذا الخزف قد ظهرت وتطورت صناعتها على ايدي الأهالي الذين كانوا يعيشون في مناطق الحدود الغربية لدلتا النيل.(بمدينة الفسطاط لاحقاً)



شكل (١٦٨) جمال عربية وحيدة السنام وماشية رسمت على حائط صخرى فى السهل الصحراوى المرتفع فى جبل إلجون –كينيا



شكل (١٦٩) رسم بالألوان الزيتية على الصخر فى تلال ماتوبو – –بزيمبابوى



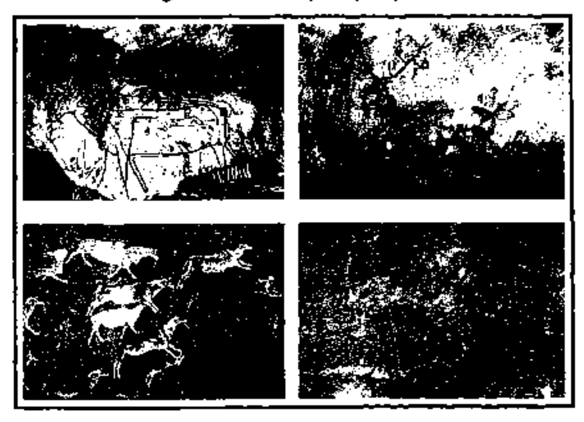
شكل (١٧٠) رسم صخرى لشكل حصان فى حالة حركة - وقد عثر عليه بكهف انيرى بلاكا بالنيجر



شكل (١٧١) نحت على الصخر فى موقع فى الهواء الطلق فى توايفلفونتين بناميبيا



شكل (١٧٢) رسوم زيتية صخرية – مالي

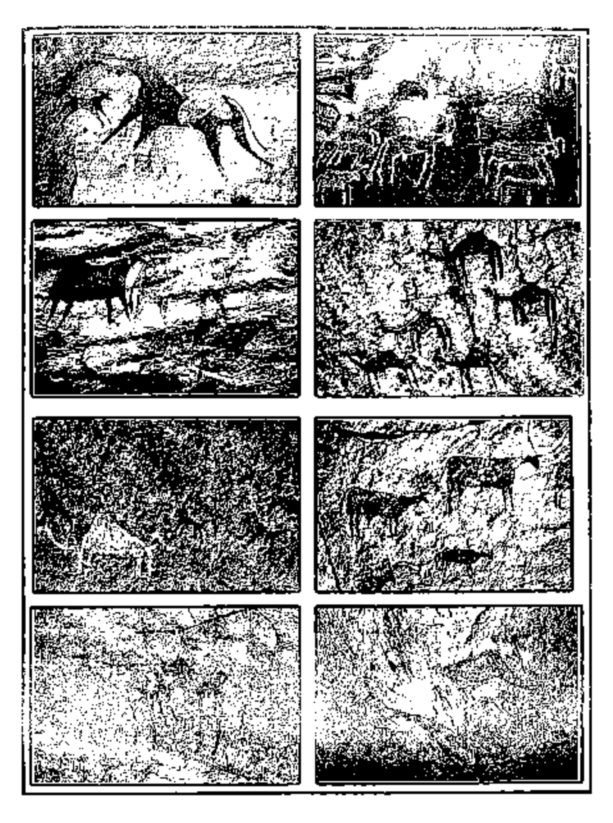


شكل (١٧٣)

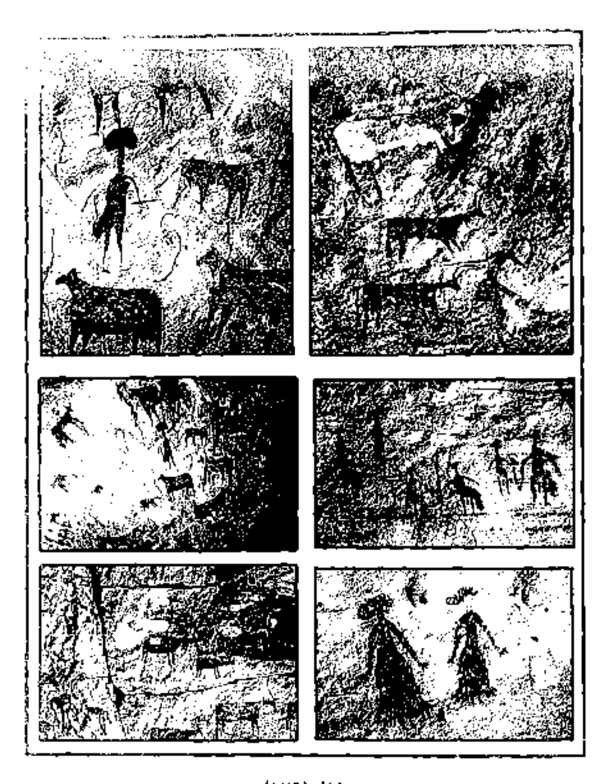


شكل (١٧٤)

أشكال (١٧٣: ١٧٤) أمثلة من الرسوم صخرية بأماكن أفريقية متفرقة



شكل (١٧٥)



شكل (١٧٦)

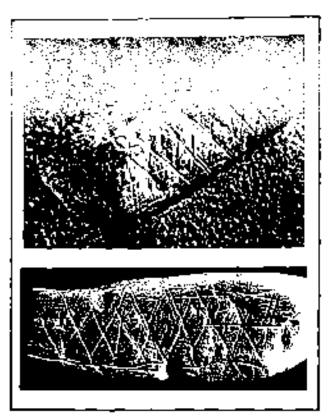
أشكال (١٧٥: ١٧٦) أمثلة للرسوم الصخرية التشادية التي تعبر عن الحيوانات المتعددة



شكل (١٧٧) رسوم صخرية حيوانية وآدمية –جنوب افريقيا



شكل (١٧٨) رسم بالالوان لرجال وحيوانات على الصخر – بجبال داركنسبرج – ناتال –جنوب افريقيا



شكل (١٧٩) قطعتين من الصخر تم اكتشافهما بكهف Blombos بالقرب من الرأس الجنوبي من شاطئ المحيط الهندي ، ما يقرب من ٢٠٠ ميلا من مدينة كيب تاون ، جنوب افريقيا.ويرجع تاريخهما لحوالى ٧٠٠٠ عام ق .م



شكل (١٨٠) مثلين لرسوم صخرية احدهما محفور والآخر ملون بالالوان الزيتية ـجنوب افريقيا



شكل (١٨١) أ- صورة زيتية لأشكال حيوانية الصمانية أنتجها قناصوا العصر الحجرى الحديث - منذ لأكثر من ٦٠٠٠ عامفى أوان ميلين فى تاسيلى ناجر



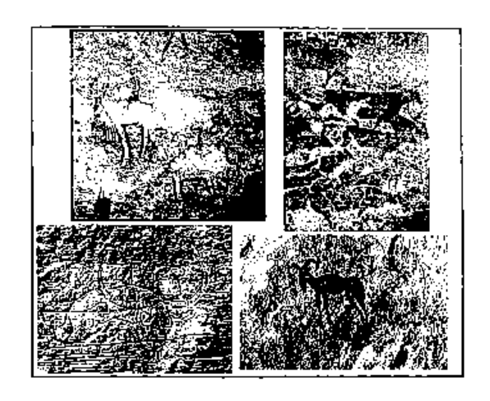
شكل (١٨٢) ب-تصوير زيتى على الصخر من إنتاج مجتمع من الجامعين الأوائل من تاسيلى ناجر - الجزائروهو يبين شخصين يرتدى كل منهما قناعا على شكل عيش الغراب يخرج من أيدهما خط من النقاط يصل الى الرأس



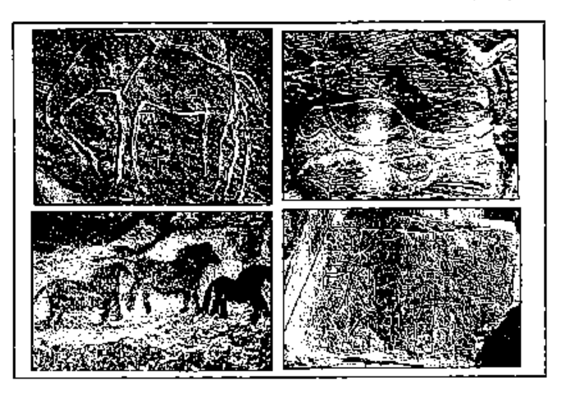
شكل (١٨٣) ج-رجل برأس ابن رسم صخرى بمثلاوى أو كلب صيد يعود من رحلة صيد
وحيد القرن على ظهر فيل – وادى ايمراوين فى هضبة ميساك بليبيا



شكل (١٨٤) د– رسم توضيحى لرسوم صخرية خطية تعبر عن مشاهد لأستأناس
الحيوانات - بكهوف تاسيلى- ليبيا



شكل (١٨٥) اشكال لحيونات مختلفة رسمت على جدران كهوف تاسيلي بالصحراء الكبرى



شكل (١٨٦) اشكال لحيونات مختلفة رسمت على جدران كهوف تاسيلي بالصحراء الكبرى الليبية



شكل (١٨٧) أمثلة للرسوم الخطية والسلويت المرسومة بكهوف تاسيلى - بليبيا



شكل (١٨٨) امثلة للرسوم المرسومة الغريبة باسلوب السلويت بكهوف تاسيلى - بليبيا



شكل (١٨٩) أمثلة للرسوم المرسومة بأسلوب السلويت بكهوف تاسيلي - بليبيا



شكل (١٩٠) رسم صخرى لقطيع من الزراف المتحرك على نتوء من موقع فن الصخر الثرى فى وادى ايساتفاتن - بهضبة الميساك -ليبيا



شكل (١٩١) رسم صخرى لكبش ذو قرون طويلة وقوية محاط باشكال غريبة مثل مخلوقات السمك الهلالى وحيوان غريب له انف انسان على اليسار-بكهف فى انزوميتاك-الجزائر



شكل (١٩٢) رسم صخرى محفور لراس غزال مرسومة باسلوب واقعي وهو يدير رأسه للخلف عثر علية بوادى بديس - بهضبة الميساك الليبية



شكل (١٩٣) رسم صخرى محفور لشكل صغير رقيق لغزالة عثر علية بوادى ايمراوين
- هضبة الميساك الليبية



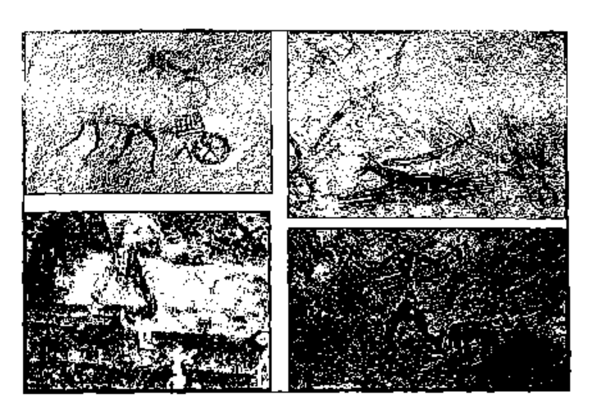
شكل (١٩٤) رسم صخرى يعبر عن حيوان الخرتيت - تاسيلى -ليبيا



شكل (١٩٥) رسم على صخور جبل اكاكوس بالصحراء الليبية



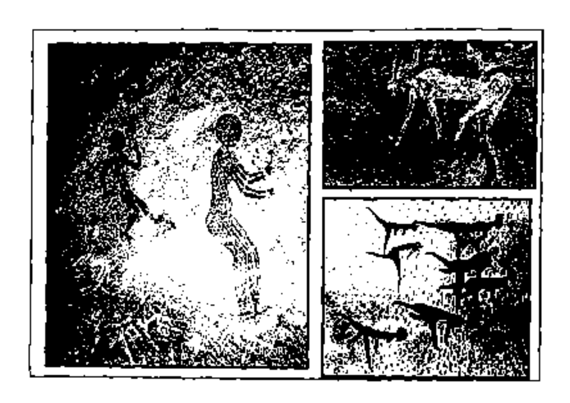
شكل (١٩٦) رسوم صخرية بكهوف تاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى تجمع بين أشخاص وحيوانات رسمت بأسلوب السلويت والرسم الخطي



شكل (١٩٧) رسوم صخرية بكهوف تاسيلى تاجر بالصحراء الكبرى تجمع بين اشخاص وحيوانات رسمت باسلوب السلويت وفى حالة حركة متميزة



شكل (١٩٨) رسوم صخرية لاشكال بشرية ترتدى ملابس واقنعة غريبة رسمت على جدران كهوف تاسيلى بالصحراء الكبرى



شكل (١٩٩) رسوم صخرية لأشكال بشرية ترتدى ملابس وأقنعة غريبة رسمت على جدران كهوف تاسيلى بالصحراء الكبرى



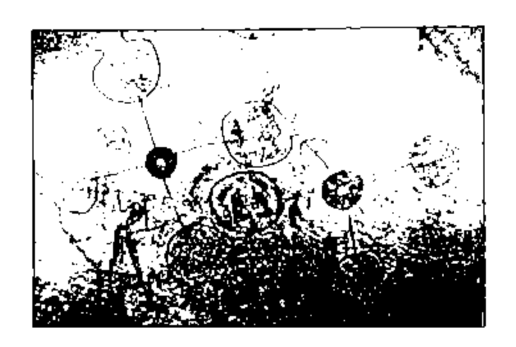
شكل (٢٠٠) رسوم صخرية لأشكال بشرية ترتدى ملابس وأقنعة غريبة رسمت على جدران كهوف تاسيلى بالصحراء الكبرى



شكل (٢٠١) صور لمنطقة تاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى والثرية بكهوف صخرية مزينة بافضل رسوم الفنان البدائي بالعصر الحجري



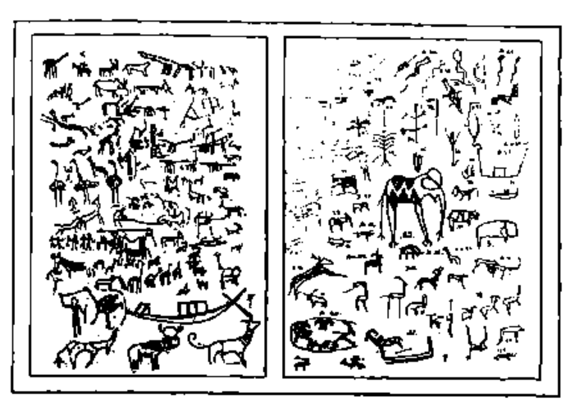
شكل (٢٠٢) مجموعة من الخيول المرسومة فوق الصخر بجدران كهوف تاسيلي ناجر بالجزائر والتي تبدو كمثال رائع لوعي الفنان البدائي بجماليات الحركة وعلاقة الشكل بالارضية



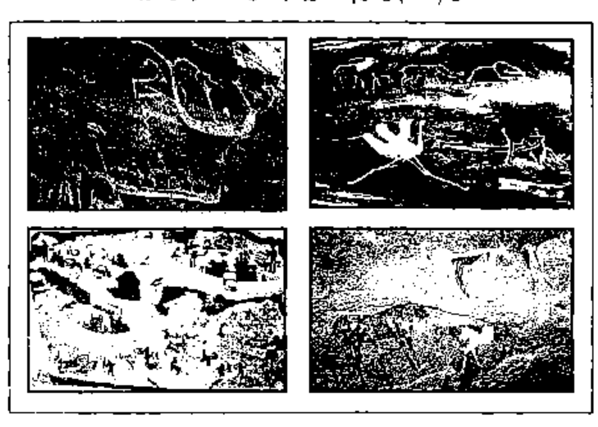
شكل (٢٠٣) مقطع من رسوم صخرية تعود الى العصر الحجرى وعثر عليها فى تاسيلى ناجر بالجزائر بالصحراء الكبرى، ونرى بها نوعاً من شفرات المراوح تحلق فوق رؤوس بشرية تذكرنا بالمراوح الكهربية المدلاة أو بدوار طائرة الهيليكوبتر



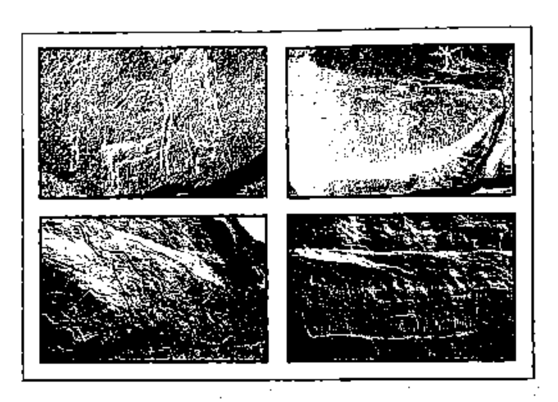
شكل (٢٠٤) نموذج للرسوم الصخرية التى عثر عليها بمنطقة "تاسيلى ناجر" بليبيا وترجع للعصر الحجرى، وقد أدرجت فى قائمة اليونسكو للتراث العالمي الثقافي والطبيعي، ويلاحظ وجود شبه غريب بينها وبين الرسوم التى تمثل سكان المريخ فى فنون الخيال العلمى المعاصر ولذا أطلق الباحثون وعلماء الآثار عليها اسم "آلة المريخ"



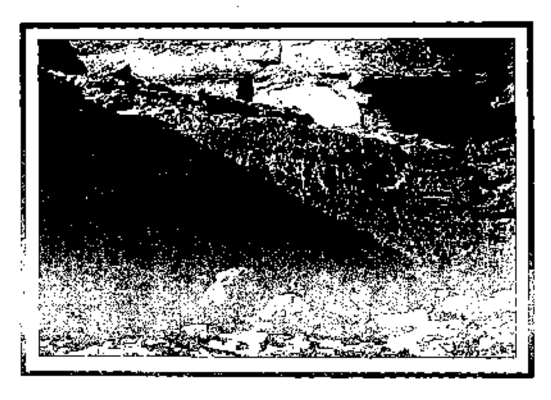
شكل (٢٠٥) رسوم صخرية بصحراء الصعيد والنوبة



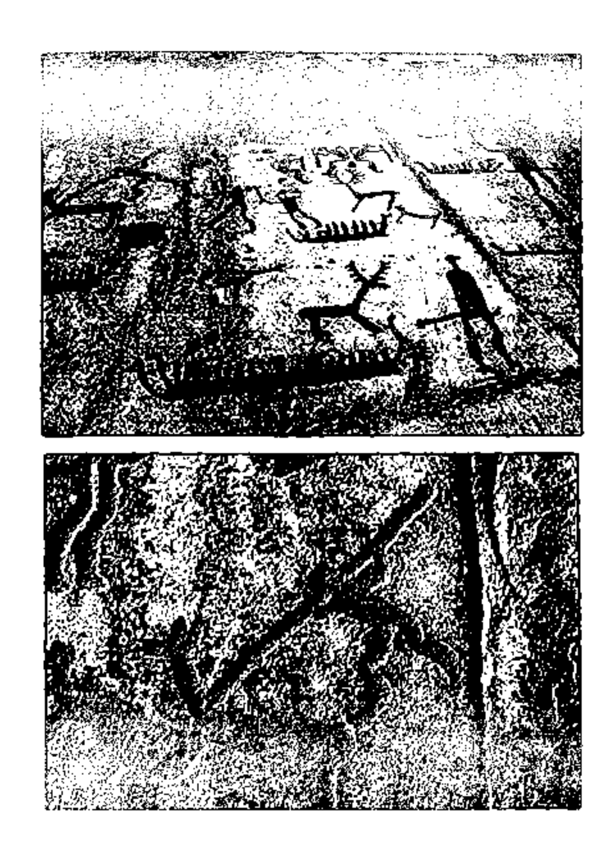
شكل (٢٠٦) أمثلة لرسوم صخرية لاشكال حيوانية وآدمية محفور على الصخور عثر عليها بصحراء صعيد مصر يرجع تاريخها للعصر الحجرى



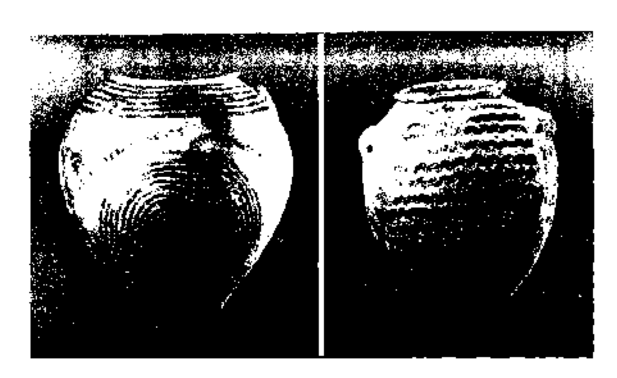
شكل (٢٠٧) أمثلة لرسوم صخرية محفور على الصخور بصعيد مصر يرجع تاريخها للعصر الحجرى



شكل (٢٠٨) صور لجدار صخرى مرسوم بحفر غائر بصحراء صعيد مصر يرجع تاريخه للعصر الحجرى



شكل (٩٠٢) مثلين لرسوم صخرية احدهما محفور والآخر ملون بالالوان الزيتية – السودان



شكل (٢١٠)

شكل (٢١١)

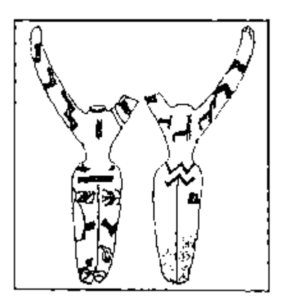


شكل (٢١٢)

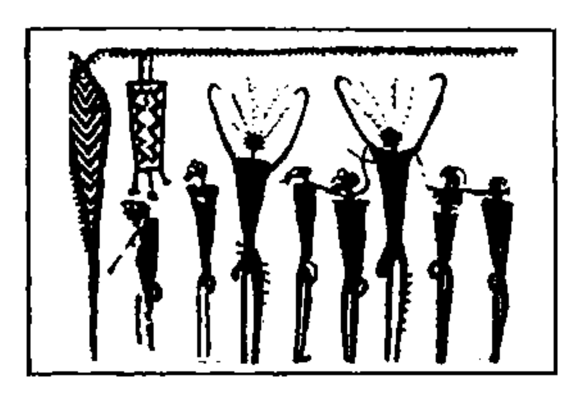
أشكال (٢٠٨: ٢١٠) أواني خزفية فخارية - حضارة العمرة و جرزة



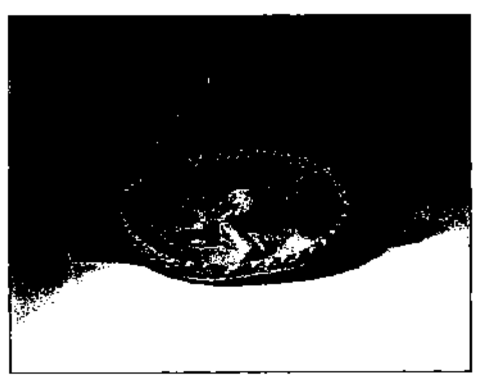
شكل (٢١٣) اناء خزفى مزخرف باشكال آدمية - يرجع تاريخه لحضارة نقادة الاولى



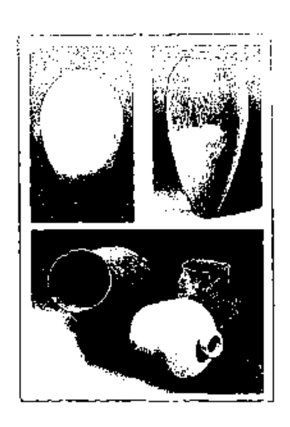
شكل (٢١٤) رسم توضيحى لتمثال نحتى من الصلصال على شكل امراءة ومزخرف بزخارف هندسية يرجع تاريخة لحضارة نقادة الاولى



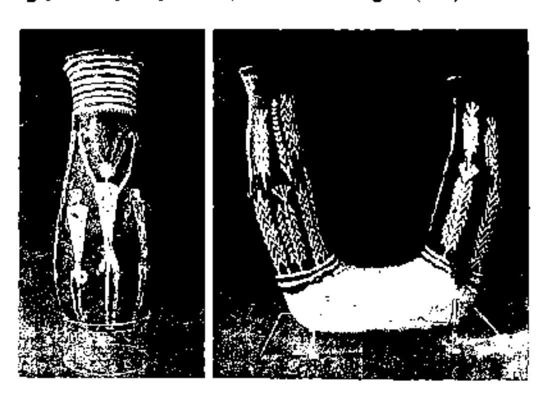
شكل (٢١٥) رسوم لاشخاص تظهر اسلوب الرسم المتميز بحضارة نقادة الاولى



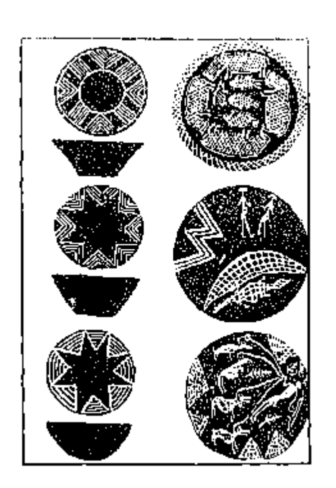
شكل (٢١٦) نحت خزفي من الفخار على شكل اناء يحتوى شكل آدمى يرجع تاريخة لحضارة نقادة الاولى بمصر



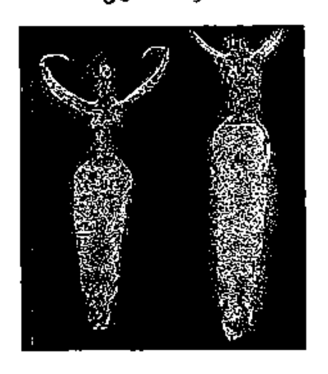
شكل (٢١٧) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الاولى



شكل (٢١٨) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الاولى

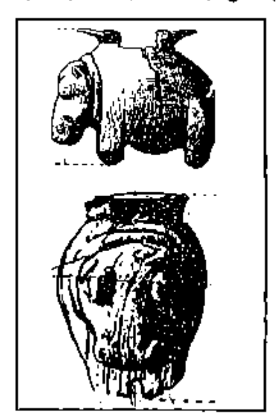


شكل (٢١٩) نماذج من اعمال خزفية فخارية مزخرفى بخطوط واشكال هندسية- عصر حضارة نقادة الاولى

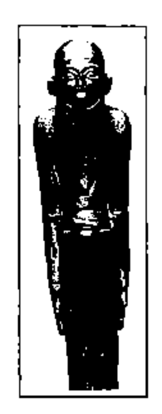


شكل (٢٢٠) نماذج من اعمال نحتية - عصر حضارة نقادة الاولى

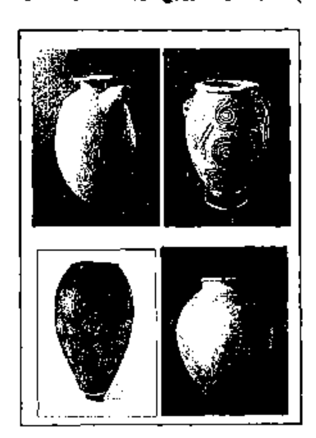
شكل (٢٢١) نماذج من اعمال نحتية - عصر حضارة نقادة الاولى



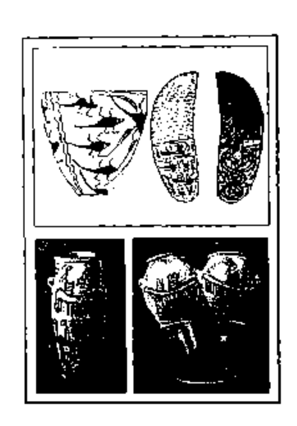
شكل (٢٢٢) نموذج لاناء منحوت من العاج على شكل حيوان - فرس النهر عصر حضارة نقادة الاولى



شكل (٢٢٣) تمثال لامرأة يرجع تاريخه لعصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٤) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٥) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٦) نماذج من اعمال خزفية فخارية مزخرفي بخطوط وأشكال هندسية- عصر حضارة نقادة الثانية

بدايات الفن بآسيا

تعتبر قارة آسيا مبعث الحضارات القديمة حيث شهدت عدة حضارات عبر تاريخها الموغل في القدم، وكلها مستقلة عن بعضها. فلقد أظهرت الحفريات أن الإنسان Homo sapiens عاش بآسيا منذ آلاف السنين .وهذا ما تشير إليه حفريةجمجمة إنسان بكين التي وجدت قرب منطقة "بيجنج" بالصين وحفرية جمجمة إنسان جاوة بجزيرة "جاوة" في إندونيسيا وعمرهما يرجع إلي ٥٠٠ ألف سنة.

أقدم حضارة عرفت قامت في الوديان الكبري حول أنهار في جنوب غرب آسيا وشمال غرب الهند وشمال الصين .ورغم تعدد هذه الحضارات لكن سماتها الحضارية واحدة. فكلها كانت مجتمعات زراعية قامت بتنظيم نظم الري وترويض الفيضانات .وغارات البدو جعلت هذه المجتمعات تعيش في مدن مسورة للدفاع وتوفر الحماية للقواد الإورستقراطيين. وكان لإختراع المحراث سنة ٣٠٠٠ق.م. ضاعف محصولية الزراعة وقلل الحاجة للأيدي العاملة وجعلت العمال إلي عمال مهنيين. ولوفرة الإنتاج في الزراعة والصناعة جعلت هذه المجتمعات تلجأ لتبادل السلع مع الثقافات الأخري.

ظهرت حضارة متطورة بالهند منذ ٢٣٠٠ق.م. بوادي الهندوس (السند) في شمال غرب الهند وجنوب باكستان .فكما حدث في بلاد مابين النهرين شق الهنود القنوات للري وتضاعفت المحاصيل وتكونت النظم السياسية والإجتماعية. وظهرت المدن وأهمها مدينتا موهنجو دالرو وهرابا وكانتا شوارعهما مستقيمة وبها مياه للشرب بالصنابير. وكان شعب

وادي السند يستخدمون العربات المزودة بالعجلات وينتجـون المجـوهرات والحلي وكان لهم لغتهم المكتوبة. وكانت الهند تتبادل القطن والمنسوجات مع بلاد مابين النهرين. وخلال عامي ١٥٠٠ق.م. و١٢٠٠ق.م. داهمتموجـات من وسط آسيا منطقة السند ومعهم عرباتهم التي كان يجرها الخيول وخربوا المدن هناك واستقروا أخيرا بوادي نهر الجانجيز بشمال شرق الهند. وكانوا يتكلمون لغة هندو إيريانية قديمة Old Indo-Aryan وهي أقـدم لغـاتهم الموجودة (السنسكريتية). ومنذ ٩٠٠ق.م. وحتـى ٥٠٠ق.م. قـام هـؤلاء المستوطنون بإنشاء المدن المستقلة) مدن ولايات city-states (وكانت كل ولاية تحكم حكما مطلقا. وكانت القنوات للري للزراعة قد شقوها وزرعـوا الأرز الذي جلبوه من جنوب شرق آسيا.

في الصين قامت حضارة حوض نهر (هوانج هي) الـذي يعـرف **بالنهر الأصفر** مابين سنتي ٣٠٠٠ ق.م. و١٦٠٠ق.م. وكان يضم مجتمعات زراعية كبيرة وكان أهلها يربون دود القز(الحريـر) ويغزلـون خيوطـه وينسجونها . وكانوا يتاجرون في الحرير بواسطة قوافل الجمال عبر وسط آسيا. ورغم أن المجتمع الصيني كان متقدما لم يترك الصـينيون سـجلات مكتوبة حتي القرن ١٦ ق. م.وفي عهد مملكة زو Zhou الإقطاعي بالقرن ١١ق.م. بسطت نفوذها علي مناطق بشمال شرق الصين حاليا وعلي حوض نهر يانجتزي Yangtze والذي به أيكركثافة سكانية بالعالم حاليا . وكانـت زوهو تستعمل الأسلحة الحديدية وشقا لبطرق وتوسعت في نظـم الـري. وظهرت القوانين والفلسفة الكونفوشية Confucianism في هـذا العهـد. وبدأت الحضارات المبكرة تنمو وتتفاعل لمـدة١١ قـرت مـابين عـامي

٥٠٠ق.مز وحتي ٦٠٠م.حيث اخذت الدول تتوسع لبسط نفوذهــا وتوسـيع دائرتها كما فعل الفرس والإغريق. وخلال هذه الحقبة للإتصال والهجرة بين الشعوب إنتشرت للديانات الكبري والفلسفات خارج منابتها.

في سنة ٣٠٠ق.م. هزم الإسكندر الأكبر الفرس وكون إمبراطورية إغريقية إمتدت من اليونان حتي الهند وبعد وفاته بـالحمى عــام ٣٢٣ق.م. قسمت إمبراطوريته لثلاث ممالك وقام ملوكها الإغريــق بإدخـال الثقافــة الإغريقية. وكانت المملكة الآسيوية الإغريقية قد إنقسمت لعدة ولايات ، من بينها ولاية بكتريا التي سيطرت علي التجارة وطرقها من الشــرق للغــرب ومن الشمال للجنوب حيث كان تبادل السلع بينهم. فكان الحريــر الصــيني والقطن الهندي يرسل لليونان و روما ومنهما كان يرســل لآســيا الزجــاج والذهب والمصنوعات الأخرى. وكانت الثقافة الإغريقية قد وصلت لبكتريا أولا ورغم غزو البدو الكوشيين لها لكن الثقافة الهيللينية ظلت باقية .وكانت اللغة الهيللينية في القرن الأول م. لغة المال والتجارة والدبيلوماسية .بعد ذلك دخلت الثقافة الإغريقية والرومانية غرب آسيا ولاسيما في القرن الرابــع م. حيث قامت الإمبراطورية البيزنطية.

شمال الهند غزاه الفرس والإسكندر وهاجمه الرعاة من آسيا الوسطى تأثرت الثقافة الهندية بثقافات الغزاة. ونجد أن البوذية والهندوسية قد أثّرتا في الفلسفة الإغريقية. وفي شمال غرب الهند ظهر نموذج النحــت الإغريقــي البوذي. وكان شائعا في القرن الثاني الميلادي. ولتبني شمال الهند للبوذيــة استطاعت نشرها في آسيا الوسطى والصين. وفــي ســنة ٣٢٠م ظهــرت العمارة الهندية أيام حكم إمبراطورية جوبتا في وادي الجنجيز ورغم سقوطها

في القرن الرابع م. إلا أنها خلفت حضارتها حيث بلغت أوجها في العمــارة والفن.

منذ سنة ٢٠٦ ق.م. وحتي ٢٠٠م، كان أباطرة عهد هان بالصـين لديهم طموحاتهم. فقد بنوا نقاط مراقبة حصينة بالشمال فوق سور الصـين العظيم وحواف الصحراء لحماية طرق القوافل التجارية الطويلة من غارات البدو. كان التجار العرب والفرس والهنود انوا يـزورون عاصـمة الهـان بالصين. وفي عام ١٩٥ ق.م. إحتلت دولة هان أجزاء من شـمال كوريـا وأدخلت بها الثقافة الصينية. وبالجنوب دخلت ثقافة الصين فيتنام التي كان قد إحتلها الصينيون لمدة ١٠٠٠ عام. وكانت حضارة هان قد شهدت تطورا في صناعة الفخار والتماثيل والرسم والموسيقي و الأدب الصيني ولاسيما بعـد إختراع الصينيين .

أما بلاد ما بين النهرين(نهري دجلة والفرات) بـالعراق وشـرق سوريا،والتي يطلق عليها مهد الحضارة بآسيا حيث كانت سومر لها ثقافاتها منذ أكثر من ٣٠٠٠ق.م. فلقد قام السومريون بالري عن طريـق القنـوات وإستعملوا البرونز وصنعوا آلاتهم من الحجر المصقول والفخـار المشـوي المصنوع بالعجلة والمنسوجات وبنوا المعابد والقصور ورحلوا علي عربات لها عجل وأبحروا بالمراكب. وكان لهم تقويمهم الدقيق حيث عرفـوا مـن خلاله الفصول واخترعوا الكتابة المسمارية التي أصبحت كتابـة عالميـة. وعبدوا الشمس وكان لهم قانونهم المكتوب. وظلت بلاد مابين النهرين موئلا للحضارة حتي القرن السادس ق.م.وهناك كانت بابل التي حكمها الكلدان من القرن السابع ق.م، وحتي القرن السادس ق.م. وقد إستولي عليها الآشوريون

الذين كانوا جيران بالشمال، منذ القرن التاسع حتى القرن السابع ق.م. وفي القرن السادس أصبحت هذه البلدان تخضع للفرس والذين كانوا لهم حضارة عرفت بحضارة الفرس بايران ولاهمية هتين الحضارتان وتميز فنونهما يمكن ان نتناولهما بالتفصيل فيما يلي :

بدايات الفن في العراق

بدأ فجر الحضارة في العراق بحدود سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وانتهى بالحقبة الزمنية التي ابتدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في تاريخ الإنسانية في الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد. وإن نشوء الحضارة الناضجة في بلاد الرافدين قد سار بخطوات ثابتة وعلى مراحل وبأطوار متعاقبة. عرفت تلك الأطوار في العراق للمختصين المحدثين بأسماء المدن والقرى والمواقع التي ظهرت فيها لأول مرة، ومدن الطور الأقدم هي: (حسونة) ثم (سامراء) و (حلف) و (العبيد) و (الوركاء) و أخيرا (جمدة نصر).

لقد شهد العراق خلال هذه الأطوار اتساع الزراعة و بداية الحياة الحضرية و نشوء أولى المدن. وعرف بناة الحضارة أيضا فن التعدين وابتدعوا دولاب الخزاف وصنعوا الآجر الفخار والعربة ذات العجلة وكذلك المحراث فضلا عن السفن الشراعية. وعرف في أوائل تلك الأطوار أيضا فن النحت. وظهرت كذلك المباني العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور (العبيد). وعرف طور الوركاء (٣٥٠٠ ق.م.) بالعهد

الشبيه بالكتابي، ومن المعروف أن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماما خـلال الطور الذي أعقبه وهو (جمدة نصر) في حدود سنة ٣٠٠٠ ق.م.

أ - عصر فجر السلالات :

ثم بدأ عصر فجر السلالات في العراق في حوالي سـنة ٥٠٠٠ ق .م. واستمر لمدة ستة قرون والذي يعرف أيضا بالعصر السومري القديم أو بعصر دويلات المدن حيث لم تتوحد البلاد بعد تحت مملكة كبيرة واحـدة. **ويقسم العلماء هذه الحقبة الزمنية من تاريخ العراق إلى ثلاثة عصور هي على التوالي :**

- فجر السلالات الأول.
- فجر السلالات الثاني.
- فجر السلالات الثالث.

من الأمور المتفق عليها بين غالبية العلماء المختصين في العصـر الحاضر أن السومريين هم سكان العراق الأصليون، وأنهـم الـذين كـانوا يعرفون بأصحاب حضارة العبيد في وسط وجنوب العراق وكانت أراضيهم تمتد جنوبا إلى جزيرة دلمون (البحرين) في العصر الحاضر قبل أن ترتفع مناسيب الخليج العربي ليصل إلى حدوده الحالية. ولغة السومريين، وهـم أصحاب أقدم حضارة أصيلة متطوّرة في العالم، من اللغات التـي تعـرف بالملتصقة Agglutinative. من خصائص الإلصاق فيها أنه كثيرا ما يدمج مفردتين لتصبحا كلمة واحدة يستند معناها إلى معاني الكلمات الداخلة فـي تركيبها، مثل (لوكال) أي الملك المكونة من (لو) أي الرجـل و (كـال) أي العظيم. و (إي-كال) تعني القصر أو الهيكل مكونة من كلمـة (إي) وهـي

البيت و(كال) العظيم. ثم أن الجمل فيها تتألف أيضا بطريقة إلصاق الضمائر والأدوات إلى جذر الفعل بحيث يصير الجميع كلمة واحدة. لقد قسم علماء الآثار عصر فجر السلالات إلى ثلاثة أطوار و لكل من هذه الأطوار الثلاثة خصائصها المميزة. ومع ذلك يمكن القول عموما بأن فن العمارة قد قطع شأوا بعيدا في هذا العصر وبخاصة في بناء القصور والمعابد فظهرت العقود لأول مرة في البناء وكذلك القبوات كوسيلة في التسقيف. وتقدم فن التعدين وسبك المعادن. وقطع فن النحت شأوا بعيدا من التقدم. لقد نضجت الكتابة وانتشر استعمالها في العصر السومري فدونت بها في عصر فجر السلالات السجلات الرسمية وأعمال الملوك والأمراء وعلاقتهم بغيرهم من الحكام. وكذلك شؤون الناس العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير فضلا عن الشؤون الدينية والعبادات.

ب - الحكم الأكدي :

انتهى عهد فجر السلالات بقيام سرجون الأكدي (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م.) بتوحيد العراق في مملكة واحدة. كان سرجون من الأكديين وهم فرع من الأقوام التي نزحت من الوطن الأم شبه جزيرة العرب إلى العراق ربما في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل. وليس من المستبعد أن الأكديين قد عاشوا جنبا إلى جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن باسم بلاد (سومر وأكد).

حكم مؤسس السلالة الأكدية سرجون خمسة وخمسين عاما أدخل خلالها الكثير من الإصلاحات على نظام الحكم والجيش بما في ذلك تطوير

أساليب الحرب والسلاح. وكذلك حصل تقدم عظيم في العمارة والفنون بعامة التي تميزت في العصر الأكدي بالقوة والحيوية والحركة. ويعد (نرام – سين) أقوى ملوك السلالة الأكدية الذي حكم زهاء أربعين عاما.

عمّ الاضطراب في المملكة أواخر العهد الأكدي. فقد حكم بعد نرام – سين ملوك ضعاف مما شجع الأقوام الجبلية وهم الكوتيون. الذين عرفوا في النصوص المسمارية القديمة بأعداء الآلهة. على غزو بلاد (سومر وأكد). إن حكمهم الذي دام حوالي مائة سنة كان عهدا مظلما كادت أن تنقطع فيه عنا أخبار العراق القديم. وقد عوض عن ذلك ازدهار الحضارة في جنوبي العراق وبخاصة في مدينة (لكش) وما يجاورها. وقد اشتهر من بين الأمراء السومريين في أواخر هذا العهد أمير أو ملك اسمه (جوديه) الذي عرف بتماثيله الكثيرة التي وصلتنا والذي عمل على إحياء الآداب السومرية وتشييد العديد من المعابد الفخمة.

جـ - الحكم السومري :

ثارت على الكوتيين مدينة (الوركاء) بقيادة أميرها السومري (أوتو –حيكال) الذي لقّب نفسه بملك (سومر وأكد) وأهاب بأهل البلاد لحرب الطغاة الأجانب. فالتفّت حوله المدن وتمكن من القضاء على جموع الكوتيين الكبيرة وخلص البلاد منهم.

انتقل الحكم السومري بعد ذلك إلى مدينة (أور) وتكونت فيها سلالة عرفت بسلالة (أور الثالثة) لسمها الملك (أور– نمو) الذي تعد أيامه من عهود العراق المجيدة وآخر عهد في حياة السومريين السياسية لقد استطاع ملوك هذه السلالة الخمسة أن يعيدوا إنشاء إمبراطورية واسعة على غرار

الإمبراطورية الأكدية شملت جزءا كبيرا من أقاليم الشرق الأدنى. وانتشرت مع التجارة والفتوح حضارة العراق القديم تماما كما كان عليه الحال في العصر الأكدي. لقد اشتهر ملوك هذه السلالة بأعمالهم العمرانية الفذة وامتازت دولتهم بالتنظيم وحسن الإدارة في الداخل والخارج وأصبحت العاصمة (أور) في زمنهم قبلة الشرق القديم ليس من النواحي العمرانية والفنية والاقتصادية فحسب بل إنهم سنّوا الشرائع بحسب العرف الاجتماعي و وحّدوا الشؤون القضائية في البلاد.

د - العصر البابلي القديم:

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد قامت في العراق أسرة حاكمة جديدة عرفت بسلالة بابل الأولى والتي اشتهرت بملكها السادس حمورابي (٢١٢٣- ٢٠٨١ ق.م) الذي جمعت في شخصه خصالا فذة جعلت منه القائد والسياسي والمصلح والمشرع فاستطاع بهذه الخصال أن يوحّد البلاد. ثم وقعت حرب ضروس بينه وبين الدخلاء العيلاميين أظهر خلالها حمورابي من حسن التدبير والحزم ما مكّنه من تمزيق جموعهم شر ممزق. ومدّ فتوحه بعد ذلك إلى شمالي بلاد الرافدين وإلى جهات الهلال الخصيب الأخرى. ومن أعماله المهمة سنّ شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء المملكة عرفت بقانون حمورابي التي تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين القانونين المدني والعقوبات فضلا عن الأحوال الشخصية.

ويعتبر حمورابي (٢١٢٣- ٢٠٨١ ق.م) الفاتح للمشرع الذي دام حكمه ثلاثاً و أربعين سنة. ومن خلال الأختام والنقوش البدائية وبعض

التصاوير، فنستطيع في ضوئها أن نتخيله شاباً يفيض حماسة وعبقرية، ذو عاصفة هوجاء في الحرب، يقلم أظافر الفتن ويقطع أوصال الأعداء، ويسير في شعاب الجبال الوعرة، ولا يخسر في حياته واقعة؛ وحد الدويلات المتحاربة المنتشرة في الوادي الأدنى، ونشر لواء السلام على ربوعها وأقام فيها منار الأمن والنظام بفضل كتاب قوانينه التاريخي العظيم.

وقد كُشف قانون حمورابي في أنقاض مدينة السوس في عام ١٩٠٢م. ووجد هذا القانون منقوشاً نقشاً جميلاً على اسطوانة من حجر الديوريت نقلت من بابل إلى عيلام (حوالي عام ١١٠٠ ق.م) فيما نقل من مغانم الحرب، وقيل عن هذه الشرائع أنها منزلة من السماء.

القوانين التي تمهد لها استمدت أصولها من قوانين سومرية مضى عليها ستة آلاف عام. وهذا الأصل القديم مضافاً إلى الظروف التي كانت تسود بابل وقتئذ هي التي جعلت قانون حمورابي شريعة مركبة غير متجانسة. فهي تفتتح بتحية الآلهة، ولكنها لا تحفل بها بعدئذ في ذلك التشريع الدستوري البعيد كل البعد عن الصبغة الدينية. وهي تمزج أرقى القوانين وأعظمها استنارة بأقسى العقوبات وأشدها وحشية، وتضع قانون النفس بالنفس والتحكيم الإلهي إلى جانب الإجراءات القضائية المحكمة والعمل الحصيف على الحد من استبداد الأزواج بزوجاتهم. على أن هذه القوانين البالغة عدتها ٢٨٥ قانوناً، والتي رتبت ترتيباً يكاد يكون هو الترتيب العلمي الحديث، فقسمت إلى قوانين خاصة بالأملاك المنقولة، وبالأملاك العقارية، وبالتجارة، والصناعة، وبالأسرة، وبالأضرار الجسمية، وبالعمل؛ نقول إن هذه القوانين تكون في مجموعها شريعة أكثر رقياً وأكثر تمديناً من شرعية أشور التي وضعت بعد أكثر من ألف عام من ذلك الوقت، وهي من وجوه عدة " لا تقل رقياً عن شريعة أية دولة أوربية حديثة "

وقلّ أن يجد الإنسان في تاريخ الشرائع كلها ألفاظاً أرق وأجمل من الألفاظ التي يختتم بها البابلي العظيم شريعته:

"إن الشرائع العادلة التي رفع منارها الملك الحكيم حمورابي والتي أقام بها في الأرض دعائم ثابتة وحكومة طاهرة صالحة... أنا الحاكم الحفيظ الأمين عليها، في قلبي حملت أهل أرض سومر وأكد... وبحكمتي قيدتهم، حتى لا يظلم الأقوياء الضعفاء، وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة... فليأت أي إنسان مظلوم له قضية أمام صورتي أنا ملك العدالة، ليقرأ النقش الذي على أثري، وليلق باله إلى كلماتي الخطيرة! ولعل أثري هذا يكون هادياً له في قضيته، ولعله يفهم منه حالته! ولعله يريح قلبه (فينادي): "حقا إن حمورابي حاكم كالوالد الحق لشعبه... لقد جاء بالرخاء إلى شعبه مدى الدهر كله، وأقام في الأرض حكومة طاهرة صالحة ... ولعل الملك الذي يكون في الأرض فيما بعد وفي المستقبل يرعى ألفاظ العدالة التي نقشتها على أثري"!

ولم يكن هذا التشريع الجامع إلا عملاً واحداً من أعمال حمورابي الكثيرة. فلقد أمر بحفر قناة كبيرة بين كش والخليج الفارسي أروت مساحات واسعة من الأراضي، ووقت المدن الجنوبية ما كان ينتابها بسبب فيضانات نهر دجلة المخربة. ولقد وصل إلينا من عهده نقش آخر يفخر فيه بأنه أجرى في البلاد الماء (تلك المادة القيمة التي لا نقدرها اليوم والتي كانت في الأيام الماضية إحدى مواد الترف)، ونشر الأمن والحكم الصالح بين كثير من القبائل. وأنا لنستمع من ثنايا هذا النقش ومن بين عبارات الفخر (وهو خلة شريفة من خلال الشرقيين) صوت الحاكم الماهر والسياسي القدير.

"لما وهب لي أنو وتليل (إلها أرك ونبور) بلاد سومر وأكد لأحكمها، ووضعا في يدي هذا الصولجان، حفرت قناة حمورابي- نخوش- ميشى (حمورابي المفيض- على- الشعب) التي تحمل الماء الغزير لأرض سومر وأكد. وحولت شاطئيها الممتدين على كلا الجانبين إلى أراضي زراعية؛ وجمعت أكداسا من الحب، وسيرت الماء الذي لا ينضب إلى الأرضين، وجمعت الأهلين المشتتين، وهيأت لهم المرعى والماء وأمددتهم بالمراعي الموفورة وأسكنتهم مساكن آمنة

وبلغ من حذق حمورابي أن خلع على سلطانه خلعة من رضاء الآلهة بالرغم من أن قوانينها كانت تمتاز بصبغتها الدنيوية غير الدينية. من ذلك أنه شاد المعابد كما شاد القلاع، واسترضى الكهنة بأن أقام لمردوك وزوجته (إلهي البلد القوميين) في مدينة بابل هيكلاً ضخماً ومخزناً واسعاً ليخزن فيه القمح للإلهين وللكهنة. وكانت هاتان الهديتان وأمثالهما في واقع الأمر بمثابة مال يستثمر أبرع استثمار، جنى منه ربحاً وفيراً هو الطاعة الممتزجة بالرهبة التي يقدمها إليه الشعب.

واستخدم ما حصل عليه من الضرائب في تدعيم سلطان القانون والنظام، واستخدم ما تبقى بعد ذلك في تجميل عاصمة ملكه، فأنشأت القصور والهياكل في جميع نواحيها، وأقيم جسر على نهر الفرات حتى تمتد المدينة على كلتا ضفتيه، وأخذت السفن التي لا يقل بحارتها عن تسعين رجلاً تمخر عباب النهر صاعدة فيه ونازلة، وأضحت بابل قبل ميلاد المسيح بألفي عام من أغنى البلاد التي شهدها تاريخ العالم قديمه وحديثه.

وكان البابليون ساميين في مظهرهم سود الشعر سمر البشرة، رجالهم ملتحون، ويضعون على رؤوسهم أحياناً شعراً مستعاراً وكانوا رجالاً ونساء على السواء يطيلون شعر رؤوسهم، وحتى الرجال كانوا أحيانا يرسلون شعرهم في ضفائر تنوس على أكتافهم، وكثيراً ما كان رجالهم ونساؤهم يتعطرون. وكان ثياب الجنسين المألوف مئزراً من نسيج الكتان الأبيض يغطي الجسم حتى القدمين، ويترك إحدى كتفي المرأة عارياً، ويزيد عليه الرجال دثاراً وعباءة، ولما زادت ثروة السكان تذوقوا حب الألوان، فصبغوا أثوابهم باللون الأزرق فوق الأحمر أو بالأحمر فوق الأزرق، في صورة خطوط أو دوائر أو مربعات أو نقط.

ولم يكونوا كالسومريين حفاة الأقدام بل اتخذوا لهم أخفافاً ذات أشكال حسنة، وكان الذكور في عصر حمورابي يتعممون، وكان النساء يتزين بالقلائد والأساور والتمائم، ويحلين شعرهن المصفف بعقود من الخرز. وكان الرجال يمسكون في أيديهم عصياً ذوات رؤوس منحوتة منقوشة، ويحملون في مناطقهم الأختام الجميلة الشكل التي كانوا يبصمون بها رسائلهم ووثائقهم. وكان كهنتهم يلبسون فوق رؤوسهم قلانس طويلة مخروطية الشكل ليخفوا بها صفتهم الآدمية وزادت الثروة فأنتجت في بابل ما تنتجه في سائر بلاد العالم. ذلك أن من السنن التاريخية التي تكاد تنطبق على جميع العصور أن الثراء الذي يخلق المدنية هو نفسه الذي ينذر بانحلالها وسقوطها. فالثراء يبعث الفن كما يبعث الخمول؛ وهو يرقق أجسام الناس وطباعهم، ويمهد لهم طريق الدعة والنعيم والترف، ويغري أصحاب السواعد القوية والبطون الجائعة بغزو البلاد ذات الثراء.

هـ - العصر البابلي الوسيط :

وكان على الحدود الشرقية لهذه الدولة الجديدة قبيلة قوية من أهل الجبال هي قبيلة الكاشيين تحسد البابليين على ما أوتوا من ثروة ونعيم. فلم يمض على موت حمورابي إلا ثمان سنين حتى اجتاحت رجالها دولته، وعاثوا في أرضها فساداً يسلبون وينهبون، ثم ارتدوا عنها، ثم شنوا عليها الغارة تلو الغارة، واستقروا آخر الأمر فيها فاتحين حاكمين، وهذه هي الطريقة التي تنشأ بها عادة طبقة السراة في البلاد. ولم يكن هؤلاء الفاتحون من نسل الساميين ولعلهم كانوا من نسل جماعة المهاجرين الأوربيين جاءوا إلى موطنهم الأول في العصر الحجري الحديث، ولم تكن غلبتهم على أهل بابل الساميين إلا حركة أخرى من حركات الهجوم والارتداد التي طالما حدثت في غرب آسية. وظلت بلاد بابل بعد هذا الغزو عدة قرون مسرحاً للاضطراب العنصري والفوضى السياسية اللذين وقفا في سبيل كل تقدم في العلوم والفنون

ولدينا صورة واضحة من هذا الاضطراب الخانق في رسائل تل العمارنة التي يستغيث فيها شعوب بابل وسوريا بمصر التي كانوا يؤدون إليها خراجا متواضعاً بعد انتصارات تحتمس الثالث، ويتوسلون إليها أن تمد إليهم يدها لتعينهم على الثوار والغزاة. وفيها أيضاً يتجادلون في قيمة ما يتبادلونه من الهدايا مع أمنحوتب الثالث الذي يترفع عليهم، ومع إخناتون الذي أهملهم وانهمك في غير شؤون الحكم .

وأخرج الكاشيون من أرض بابل بعد أن حكموها ما يقرب من ستة قرون اضطربت فيها أحوال البلاد وتمزقت، كما اضطربت أحوال مصر

وتمزقت في عهد الهكسوس. ودام الاضطراب بعد خروجهم أربعمائة عـام أخرى حكم بابل في أثنائها حكام خاملون ليس في أسمائهم الطويلة اسم واحد جدير بالذكر الأشوريون وصادف قيام السلالة الكشّية نمو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من العراق. فبدؤوا ينازعون الكشـيين زعامـة الـبلاد السياسية. والآشوريون فرع من الأقوام الجزرية التي هاجرت في الأصـل من شبه جزيرة العرب. وهناك نظرية أخرى مفادها أنهم جاؤا من جنـوب العراق من أرض بابل وحلّوا في شمالي بلاد الرافدين في زمن لعلـه فـي العهد الأكدي ومما يدعم ذلك أنهم يتكلمون بلهجة مـن اللهجـات البابليـة. ويرى غالبية المختصين أن اسمهم مشتق من اسم معبودهم الإله (آشور).

يمكن وضع تاريخ الآشوريين في ثلاثة عهـود: القـديم والوسـيط والحديث.

و - العهد الآشوري القديم:

وندخل فيه حقب طويلة لاسيما إذا أدمجنا فيه عصـور مـا قبـل التاريخ. لقد بدأ الآشوريون في هذا العهد ببناء مملكة قوية موحدة مسـتقلة, ظهر منهم ملوك أقوياء مثل (إيلو – شوما) الذي عاصر مؤسس سلالة بابل الأولى وكذلك شمشـي أدد الأول (١٨١٤ – ١٧٨٢ ق.م.) الـذي بلغـت المملكة في زمنه من القوة ما مكّنها من فرض سلطانها على القسم الشمالي من بلاد بابل.

ودأب الآشوريون على تنمية كيانهم السياسي, تعرضوا فيـه إلـى سلسلة من الامتحانات والمصاعب بسبب ضغط الدول والأقوام التي كانـت تجاورهم, خرجوا من كل ذلك أشداء أقوياء إذ خلقت منهم قـوة عسـكرية

رهيبة فرضت سلطانها على شعوب العالم القديم لعدة قرون تلت. ويعد شلمنصر الأول (١٢٦٦ – ١٢٤٣ق.م.) من أعظم ملوك هذا العهد سيما في حقل التوسع والفتوح الخارجية بعد أن توطدت شؤون المملكة الداخلية في عهده.

ولقد تدهورت الأوضاع الآشورية في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد انتهت بثورة قامت بها مدينة (كالح) الآشورية على الملك (آشور – نراري) الخامس، فقتل وتولى زمام الأمور تيجلاتبليزر الثالث (٧٤٥–٧٢٧ق.م.) الذي بدأ عهدا جديدا في تاريخ الآشوريين تكونت فيه آخر وأعظم إمبراطورية آشورية حيث صارت فيه مجددا سيدة الشرق القديم، وكان من أعظم إنجازاتها توحيد بلاد بابل وآشور في مملكة واحدة.

الملك سرجون الثاني :

يعد الملك سرجون الثاني (٧٢٧ – ٧٠٥ ق.م.) واحدا من أعظم ملوك هذه الحقبة ليس فقط بسبب إنجازاته الفنية والمعمارية العظيمة والتي كان منها تشييد عاصمة جديدة قرب نينوى أطلق عليها اسم (دور شروكين) أي مدينة سرجون والتي تعرف خرائبها بـ (خرساباد) في الوقت الحاضر. كما عرف بفتوحاته الخارجية العظيمة منها القضاء على المملكة اليهودية الشمالية (السامرة) بسنة ٧٢١ قبل الميلاد وترحيل الكثير من سكانها إلى أماكن أخرى داخل حدود الإمبراطورية الآشورية. وكذلك قضاؤه على التحالف بين الفراعنة والدويلات الصغيرة في فلسطين وسوريا، وكان المصريون قد أرسلوا جيشا قويا لمساعدة قوات التحالف. فتصادم الجيشان قرب مدينة رفح تمخّضت عن اندحار قوات التحالف وفرار القائد الفرعوني،

آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٦ق.م.) :

فيعدّ من أكثر ملوك هذا العهد ثقافة فقد أغرم بالأدب والمعرفة فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب وطنية خاصة شيّدها في عاصمته نينوى جمع فيها مختلف أصناف العلوم والمعارف التي بلغتها حضارة العراق والتي عرّفتنا بنواحي الحضارة العراقية القديمة المختلفة.

ز- العهد البابلي الحديث :

آخر العهود العراقية الزاهرة في العصور القديمة (٦٢٦-٥٣٩ق.م.). ويعد حكم نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م.) بحق من العهود المجيدة في التاريخ البشري عموما وفترة انتعاش قوية عاشتها الحضارة البابلية. فلم تسجل الكتابات التي خلفها هذا الملك إلا أخبار البناء والتعمير في جميع مدن العراق المهمة

وعاش الملك نبوخذ نصر الثاني حتى كاد يبلغ السن التي يطمع فيها؛ وكان أقوى ملوك الشرق الأدنى في زمانه وأعظم المحاربين والبنائين والحكام السياسيين من ملوك بابل كلهم لا نستثني منهم إلا حمورابي نفسه. هذا مع أنه كان أمياً، ومع أن عقله لم يكن يخلو من خبال. ولما تآمرت مصر مع أشور لكي تخضع الثانية بابل إلى حكمها مرة أخرى، التقى نبوخذ نصر بالجيوش المصرية عند قرقميش (على نهر الفرات الأعلى) وكاد يبيدها عن آخرها. وسرعان ما وقعت فلسطين وسوريا في قبضته، وسيطر التجار البابليون على جميع مسالك التجارة التي كانت تعبر غرب آسية من الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط.

وأنفق نبوخذ نصر ما كان يفرضه على هذه التجارة من مكوس وما كان يجبيه من خراج للبلاد الخاضعة لحكمه، وما كان يدخل خزائنه من الضرائب المفروضة على شعبه- أنفق هذا كله في تجميل عاصمته وفي تخفيف نهم الكهنة : "أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها؟" وقاوم ما كان عساه أن تنزع إليه نفسه من أن يكون فاتحاً عظيماً فحسب. نعم إنه كان يخرج بين الفينة والفينة ليلقي على رعاياه درساً في فضائل الطاعة والخضوع، ولكنه كان يصرف جل وقته في قصبة ملكه حتى جعل بابل عاصمة الشرق الأدنى كله بلا منازع، وأكبر عواصم العالم القديم وأعظمها أبهة وفخامة .

وكان "نيوبولصر" قد وضع الخطط لإعادة بناء المدينة، فلما جاء "نبوخذ نصر" صرف سني حكمه الطويل التي بلغت ثلاثاً وأربعين في إتمام ما شرع فيه سلفه. وقد وصف "هيرودوت" بابل، وكان قد زارها بعد قرن ونصف من ذلك الوقت، بأنها "مقامة في سهل فسيح، يحيط بها سور طوله ستة وخمسون ميلاً، ويبلغ عرضه حداً تستطيع معه عربة تجرها أربعة جياد أن تجري في أعلاه، ويضم مساحة تقرب من مائتي ميل مربع" . وكان يجري في وسط المدينة نهر الفرات يحف بشاطئيه النخيل وتتنقل فيه المتاجر رائحة غادية بلا انقطاع، ويصل شطريها جسر جميل .

وكانت المباني الكبيرة كلها تقريبا من الآجر، وذلك لندرة الحجر في أرض الجزيرة، ولكن هذا الآجر كان يغطى في كثير من الأحيان بالقرميد المنقوش البرّاق ذي اللون الأزرق أو الأصفر أو الأبيض المزيّن بصور الحيوان أو غيره من الصور البارزة المصقولة اللامعة، ولا تزال تلك

الصور حتى هذه الأيام من أحسن ما أخرجته الصناعة من نوعها. وكل أجرة من الآجر الذي استخرج من موقع بابل القديم تحمل هذا النقش الذي يتباهى به الملك الفخور: "أنا نبوخذ نصر ملك بابل"

وكان أولَ ما يشاهده القادم إلى المدينة- صرح شامخ كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات، جدرانه من القرميد المنقوش المتألق، يبلغ ارتفاعه ٦٥٠ قدماً، فوق ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب المصمت وأكبر الظن أن هذا الصرح الشامخ الذي كان أعلى من أهرام مصر، وأعلى من جميع مباني العالم في كل العصور إلا أحدثها عهداً، هو "برج بابل" الذي ورد ذكره في القصص العبري، والذي أراد به أهل الأرض أن يظهروا به كبرياءهم، فبلبل رب الجيوش ألسنتهم .

وكان في أسفل الصرح هيكل عظيم لمردُك رب بابل وحاميها. ومن أسفل هذا المعبد تمتد المدينة نفسها من حوله يخترقها عدد قليل من الطرق الواسعة النيرة، وكثير من القنوات والشوارع الضيقة الملتوية التي كانت بلا ريب تعج بالأسواق والحركة التجارية وبالغادين والرائحين. وكان يمتد بين الهياكل القائمة في المدينة طريق واسع مرصوف بالآجر المغطى بالأسفلت يعلوه بلاط من حجر الجير ومجمعات من الحجارة الحمراء تستطيع الآلهة أن تسير فيه دون أن تتلوث أقدامها.

وكان على جانبي هذا الطريق الواسع جدران من القرميد الملوّن تبرز منها تماثيل لمائة وعشرين أسداً مطلية بالألوان الزاهية تزمجر لترهب الكفرة فلا يقتربوا من هذا الطريق. وكان في أحد طرفيه مدخل فخم هو باب إستير، ذو فتحتين من القرميد الزاهي المتألق، وتزينه نقوش تمثل أزهارا وحيوانات جميلة الشكل زاهية اللون، يخيل إلى الناظر أنها تسري فيها الحياة .

وكان على بعد ستمائة ياردة من برج بابل وإلى شماله ربوة تسمى القصر شاد عليها نبوخذ نصر أروع بيت من بيوته. ويقوم في وسط هـذا البناء مسكنه الرئيسي ذو الجدران الجميلة المشيدة مـن الآجـر الأصـفر، والأرض المفروشة بالخرسان الأبيض والمبرقش، تزين مسطوحها نقـوش بارزة واضحة زرقاء اللون، مصقولة براقة، وتحرس مدخله آساد ضـخمة من حجر البازلت. وكان بالقرب من هذه الربوة حدائق بابل المعلقة الذائعـة الصيت التي كان يعدها اليونان إحدى عجائب العالم السبع، مقامـة علـى أساطين مستديرة متتالية كل طبقة منها فوق طبقة.

وكان سبب إنشائها أن نبوخذ نصر تزوج بابنة سياخر (سيكسارس) ملك الميديين، ولم تكن هذه الأميرة قد اعتادت على شـمس بابـل الحـارة وثراها، فعاودها الحنين إلى خضرة بلادهـا الجبليـة، ودفعـت الشـهامة والمروءة نبوخذ نصر فأنشأ لها هذه الحدائق العجيبـة، وغطـى سـطحها الأعلى بطبقة من الطمى الخصيب يبلغ سمكها جملة أقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة ولا تسمح بتغذيتها فحسب، بل تتسع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً وتكفي تربتها لغذائها.

وكانت المياه ترفع من نهر الفرات إلى أعلى طبقة في الحديقة بآلات مائية مخبأة في الأساطين تتناوب إدارتها طوائف من الرقيق. وفـوق هـذا السطح الأعلى الذي يرتفع عن الأرض خمساً وسبعين قدماً كان نساء القصر يمشين آمنات تحيط بهن النباتات الغريبة والأزهار العطرة، ومن تحتهن في السهول وفي الشوارع كان السوقة من رجال ونساء يحرثـون وينسـجون، ويبنون، ويحملون الأثقال، ويلدون أبناء وبنات يخلفونهم في عملهـم بعـدم موتهم.

ح - إنجازات العراق القديمة :

إذا انتقلنا إلى نشوء أولى الحضارات في العراق القديم يمكن القول إنها كانت بجهود العراقيين الأولئل في تفاعلهم مع البيئة الطبيعية في وسط وجنوبي العراق. فمن المعروف أن الزراعة تعتمد في هذا الإقليم دوما على الإرواء الصناعي الذي كان لا يتم إلا بالسيطرة على الأنهار وإقامة السدود وتجفيف الأهوار.

إن الري -كما هو معروف- كان الدعامة الأساس في الحياة الاقتصادية لهذا الإقليم وعلى ذلك فقد تجلّت عبقرية الإنسان هنا بأجلى مظاهرها في الإرواء الصناعي وإن نشوء أول حضارة في بلاد الرافدين قد تحقق بلا أدنى ريب بعد أن سيطر سكان هذا الإقليم على الأنهار فيها وذلك عن طريق إقامة السدود وحفر الأنهار والجداول وتجفيف الأهوار. فذللوا البيئة الطبيعية واستغلوا إمكاناتها العظمى.

ليس هذا فقط بل استغل العراقيون الأقدمون ارتفاع مناسيب نهر الفرات قياسا إلى دجلة فشقوا أنهارا عظيمة من الفرات إلى دجلة لتروي أراضي واسعة كانت بأحوج ما تكون إلى الماء. لقد طغت أخبار شق الأنهار والجداول على غيرها من أخبار الملوك وأعمالهم. إن حفر أو شق نهر جديد كان يعد بحد ذاته حدثا هاما يؤرخ به الكتبة الرسميون للدولة الأحداث الجسام.

نتيجة لكل هذا نلاحظ أن أول شيء يلفت النظر في العراق شهرة البلاد الزراعية إلى الأزمان المتأخرة, حتى أن الكتاب اليونان -مثل هيرودوتس- قد تحدثوا عن وفرة المحاصيل الزراعية في هذا الإقليم, وهو

ما يذكرنا بتسمية المؤرخين والبلدانيين العرب لأرض العراق بـــ (الســـواد) لكثرة زرعها وخضرتها. ومن الأمور المتفق عليها إن فن زراعة البساتين نشأ في العراق مما ساعد الإنسان كثيرا على الاستقرار ومـــن ثـــمّ نشـــوء الحضارات المتقدمة وتطوّرها.

والنخلة –على ما يرجح– كانت أقدم وأهم شجرة في تاريخ العراق الزراعي القديم حيث اختص العراق بزراعة النخيل منـــذ فجـــر التـــاريخ. وكانت العادة أن تزرع الفراغات بين النخليل بالأشجار المثمرة الأخرى مثل التين والرمان والتفاح والكروم وغير ذلك. ومايزال يعد أعظم وأوسع مركز لزراعة النخيل في العالم لاسيما المنطقتين الوسطى والجنوبية منه.

وفي سبيل تحقيق الاستقرار والأمن في البلاد, وللحفاظ على هـــذه المنجزات والمكاسب العظيمة كان من الضروري وجود حكومـــات قويـــة مستقرة. وكان الملك في العراق القديم على رأس السلطة حيث عدت سلطته التنفيذية والتشريعية مستمدة بشكل مباشر من الآلهة لحكم البلاد, فهو الـــذي كان يتولى قيادة الجيش وقت الحرب حيث أن من أولي واجباته المحافظـــة على حدود الوطن, وكذلك توفير الوسائل الكفيلة التي تساعد الـــبلاد علـــى الرخاء الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الحيوية العامـــة مثـــل حفـــر القنوات والأنهار وبناء المعابد تقرّبا إلى الآلهة.

لقد خلّف الكثير من الملوك العراقيين القدماء مآثر كتابية أكدوا فيها ما ذكرناه حتى أن بعضهم قد صوّر نفسه وهو يحمل سلال التراب والآجر رمز قيامه بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى وبخاصة بناء المعابـــد تقربـــا

للآلهة، والكثير منهم قنّنوا الشرائع والقوانين في سبيل تنظيم الحياة العامة ونشر العدل بين الرعية.

ومن الأمور المعروفة للجميع أن أولى الشرائع المدونة في العالم قد ظهرت في العراق القديم، وهناك من الإشارات ما يدل بشكل قاطع على ظهور القوانين المدونة في عصور فجر السلالات. إن الشرائع في العراق القديم لم تكن أولى الجهود البشرية في تنظيم الحياة الاجتماعية فحسب بل إنها دوّنت بأسلوب علمي وبلغة قانونية دقيقة. إنها قوانين بهيئة مواد متسلسلة مقتصرة على الشؤون المدنية لا تتعرض للعبادات في شيء.

وكان من تمسك سكان العراق الأقدمين باحترام القانون والنظام أن تصوروا الكون كله على هيئة مملكة تحكمها الآلهة يتجلى فيها مبدأ الطاعة وبخاصة طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وأعرافه الشفهية والمدونة. وبلغ من تقديرهم لفضيلة الطاعة أنهم تخيلوا ظهور عهد ذهبي بين البشر في يوم ما تسود فيه الطاعة والنظام وسيادة القانون.

ومن ثمرات الحضارة الناضجة نشوء الصناعات الأولى وكذلك التجارة وبخاصة التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها تلك الصناعات. ومن البديهي أن يصاحب كل ذلك تقدم العلوم والآداب والفلسفة. وفي العراق القديم بدأت أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل الكون والوجود والأساس في مكونات المادة. ومن المؤكد أن السومريين قد سبقوا الفلاسفة الإغريق بقولهم بمبدأ العناصر الأربعة الأولية التي عدت أصل جميع الأشياء.

ومن البديهي أن يولي العراقيون القدماء أيضا الأدب الكثير من اهتمامهم. لقد كان شأنه شأن الآداب العالمية القديمة الأخرى يشرك الآلهة في الملاحم والقصص أو الأساطير. أما الشعر السومري والبابلي فقد كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف فهو موزون ولكنه غير مقفى. إنه من النوع المعروف في الوقت الحاضر بالشعر المرسل. وما خلفه لنا العراقيون القدماء من الروائع الأدبية أكثر من أن تحصى. ربما أهمها (ملحمة جلجامش) و (قصة الخليقة) و (قصة الطوفان) وعدد كبير جدا من الأساطير.

وفي باب العلوم الصرفة كالرياضيات مثلا عرف البابليون أسسا مهمة في خواص الأعداد وكذلك في العمليات والطرق والمعادلات الجبرية الأساسية. من ذلك مثلا معادلات الدرجة الأولى بأنواعها المختلفة فضلا عن معادلات الدرجة الثانية والثالثة. لقد اتبعوا في طرق حلها عمليات مدهشة لا تكاد تصدق لتطابقها مع الطرق العلمية الحديثة. ومما يقال اليوم بوجه عام إن الفضل في تقدم الجبر الحديث يعود إلى البابليين والعرب أكثر مما يعود إلى اليونان.

ومن الأمور المتفق عليها أيضا في تاريخ المعارف البشرية أن البابليين هم الذين أسسوا علم الفلك الرياضي، وبدؤوا يدونون ملاحظاتهم وإرصاداتهم أو حساباتهم الفلكية منذ العهد الأكدي، وتقدم هذا العلم إلى درجة كبيرة مذهلة في العهد البابلي القديم. أما معرفتهم بالعلوم الطبيعية مثل علم الكيمياء، على سبيل المثال وبخاصة ما يتعلق منها بخواص المواد وتأثير الحرارة فيها أو العوامل الطبيعية الأخرى فقد بدأت عندهم في وقت مبكر جدا والتي لا سبيل في هذا الملخص من الدخول في تفاصيلها الدقيقة.

بدايات الفن في إيران

يعود تاريخ الحضارة الإيرانية وثقافتها، إلى أكثر من خمســـة آلاف سنة قبل الميلاد، وفي الحقبة الزمنية التي دخلت فيها جماعات مختلفة مـــن الأصل الآري _ مثل الماديين (الميديين)، والبارسيين(الفرس)، والفــريثيين (الاشكانيين)_الأرض التي عرفت في ما بعد بإسم إيـــــــران.

ونلاحظ أن الحكومات التي كانت قبل البارسيين، لم تعرف الوحدة المتكاملة والأستقرار، بل كانت مستغرقة في حروب قبلية، إذ يمكننا أن نعد قيام الدولة الاخيمنية (حكم قورش) ٥٠٠ قبل الميلاد، بداية لتـــاريخ الحكـــم الإمبراطوري، الذي يقوم على توارث الحكم في الأسرة الملكية.

وإن هذا النوع من الحكم الذي يقوم على التسلط والأستبداد، إستمر في السلالات الملكية التي تلت السلالة الاخيمنية مثل الأشكانية والساسانية. أما عقيدة الشعب في تلك الحقبة فكانت غالبا الزردشتية.

- حضارات قبل عيلامية (٣٢٠٠–٢٧٠٠ BC) .
- حضارة جيروفت (٣٠٠٠–٥th c. BC) .
- حضارة عيلام (٢٧٠٠–٥٣٩ BC) .

هي حضارات من اقدم الحضارات البشرية ، و هي تمتد من منطقة خرم أباد و نهر سيمره إلى منطقة عيلام في إيران إلى منـــاطق الكـــوت و بغداد و خانقين و كركوك و بابل في العراق، و هم اصل السومريين نســـبة إلى نهر سيمرة، وهم السكان الاصليون في إيران وفي العراق الحالي

- مملكة ماني (١٠th–٧th c. BC)

- الإمبراطورية الميدية (٧٢٨-٥٥٠ BC)
- الإمبراطورية الاخمينية (٦٤٨-٣٣٠ BC)
- الإمبراطورية السلوقية (٣٣٠-١٥٠ BC)
- الإمبراطورية الفرثية (الفارسية) (٢٥٠ AD ٢٢٦ -BC)
- الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦-٦٥٠)

وجدت آثار تدل على وجود إنسان ما قبل التاريخ يرجع تاريخه لخمسة آلاف سنة ق.م. كما عثر علي حضارة متقدمة من بينها القطع الفخارية المزخرفة برسوم سوداء أو بنية علي أرضية بيضاء والتي عثر على العديد منها في " سوسا Susa " الواقعة جنوب شرق بلاد النهرين والتي تتميز بزخارف الحيوانات والطيور والآدمية أحياناً والتي يغلب عليها التلخيص الهندسي ، وتدل صناعة هذه الأواني بالأضافة إلى ماعثر عليه من دبابيس وأختام علي حضارة مبكرة في إيران حيث عثر على آثار متطورة منها في" سيالك " قرب " كاشان " في فترة ما قبل مجيء قبائل الفرس إلى إيران. ثم ظهر الفرس الأوائل في هضبة إيران الوسطى في مطلع القرن السادس ق.م. وبعد سقوط " نينوى " عاصمة الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ ق.م. قام قورش بتأسيس الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. وضم الميديين والليديين والكلدانيين في بلاد مابين النهرين له بما فيها مدينة بابل .

ومات " قورش " عام ٥٣٠ ق.م. وتولي ابنه قمبيز الثاني الذي إستولي علي مصر عام ٥٢٥ ق.م. وأصبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوروبا حتي مقدونيا التي كانت تعترف بالسيادة

الفارسية. وبعد إنتحاره عام ٥٣٣ ق.م. تولي ابنــه داريــوس (دارا) الأول (الأكبر) وأخمد الحروب وحكم الإمبراطورية الفارسية حكما مطلقــا لأنــه يتمتع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكــام بها أقوياء يتجسسون لحسابه . وكان متسامحا مع هذه البلدان ولم يخضــع شعوبها لعقيدته أو للثقافة الفارسية. وأنشأت هــذه الإمبراطوريــة الطــرق المتفرعة والتي كانت توصل مدينة " سوسا " العاصــمة بــالخليج جنوبــا وبالبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه. وأقيم نظام البريد . وظل داريوس في حرب مع الإغريق حتي وفاته علم ٤٨٦ ق.م. وكان قــد أخضــع المــدن الإغريقية في آسيا الصغرى.

وبعده تولي ابنه " إجزركسيس " الذي أخمد ثورة المصريين علــي حكم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيونيين أيام أبيه. فتواصلت مسيرة جيشه حتي بلغت الأكروبول علي مشارف أثينا. لكنه إنهزم أمام صمود الأثينيين عام ٤٩٧ ق.م. وأغرقوا الأسطول الفارسي في ميــاه ميكال. وفي القرن الرابع ق.م. ضعفت دولة الفرس . وكانت فريسة سهلة " للإسكندر الأكبر" ودارت بينه وبينها حروب إستمرت منذ عــام ٣٣٤ ق.م. وحتي ٣٣٠ ق.م. وظلت تحت حكم ملوك الإغريق حتي إسـتولي عليهــا الرومان ما بين القرنين الثاني والأول ق.م. حتي قام " أردشير " عام ٢٢٧ م. بتأسيس الإمبراطورية الساسانية الفارسية التي ظلت قائمة حتي أســقطها المسلمون في فتوحاتهم الكبري بالقرن السابع. أصل كلمة إيران كلمــة آري (آريون) وتعني "الطاهر" والإيرانيون لا ترجع أصولهم لقبائل شمال وشرق الهند كما يقال وانما كانت تلك المنطقة تتبع لبلاد فارس.

وقد نزحوا إلي غرب فارس عام ٢٠٠٠ق.م. أيام حكم الأشوريين. واقاموا لهم إمبراطوريتهم الفارسية التي بلغت أوجها أيام الملك قورش عام ٥٥ ق.م. والإمبراطور دارا وخلفه زيركس حيث كانت تضم مصر السفلى (الدلتا) واليونان وآسيا الصغري و أجزاء معا يعرف حاليا بباكستان وتركستان .أقاموا خدمة بريدية، ومهدوا الطرق ، وشجعوا التجارة وفنون الكتابة. وحاولوا دمج الحضارات البابلية مع الفرعونية والآشورية .

إلا أن الإسكندر الأكبر أسقط هذه الإمبراطورية في القرن الرابع ق.م. لكنهم استطاعوا التخلص من حكم الإغريق لبلدان الشرق الأدنى إبان القرن الثالث ق.م.، واستعادوا قوتهم. لكن الساسانيين استغلوا النزاعات الداخلية ووحدوا فارس. وقاموا بنهضة . لكنهم دخلوا في حروب مستمرة مع البيزنطيين طوال أربعة قرون حتى جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي .

الفنون الإيرانية الفارسية:

تقدم أرض فارس الأنواع الكثيرة من الأحجار بينما تندر فيها الأخشاب، ولكن ملوكها أخذوا بتقاليد آشور فى تفضيل الأجر على الحجر لأغراض البناء، فشيدوا قصورهم وقلاعهم وأضرحتهم منه، واستوردوا الأخشاب لإنشاء سقوفها وصنع أعمدتها.

ولقد اندثر أغلب التراث المعمارى الفارسى نتيجة للبناء بالأجر واستعمال الخشب فى السقوف والأعمدة، على أن هياكل العبادة التى بقيت آثارها حتى الآن قد مكنت من الوقوف على أنماطها، وقد دل ما تخلف منها على أنها كانت على شكل حجرة شيدت فوق مصطبة – تلافياً لرشح الماء – وأن الأكتاف المنقوشة بالزخارف كانت تبرز على جوانبها، بينما تحلى

جدارنها كرانيش جميلة القطع، وكانت النار – التى لا تنطفئ أبدا – تظهر من نوافذ الهيكل لتكون على مرأى من القائمين بالطقوس العبادية.

ولقد أدى إيثار رقعة الأرض المستديرة أو المثمنة لبناء الهياكل إلى ظهور لأنماط المنوعة من العقود والأقباء.

ويتكون القصر الفارسي من بهو ذى أعمدة تفصله عن جناح السكن الحدائق الفسيحة التى تنتشر على سطحها القنوات المائية والمرتفعات المغروسة بالأشجار، وقد دعت حرارة الجو إلى الاستكثار من غرس النباتات وشق القنوات ونحت النوافير، فأسفر ذلك عن روعة الحدائق الفارسية التى استفاضت كتب الرحالة والمؤرخين فى وصف جمالها.

هذا وقد أدى الوضع الجغرافى لأرض فارس وظروفها الاجتماعية إلى ظهور نمط من القلاع ذات أبراج أسطوانية جميلة الشكل، وكانت خنادق الماء تحفر من حولها لحمايتها.

وأجمل مواضع القصر الفارسى قاعات العرش التى كانت تتسع لمئات الأعمدة ذات التيجان المنحوتة على هيئة ثورين رابضين فى الوضع التماثلى، على نحو ما كان فى قاعة قصر "السوس" التى وصفها أحد المؤرخين بالغابة، إذ بلغ عدد أعمدتها المائة عموداً.

وكانت فارس على عهد الملك "دارا" دولة قوية تشمل عشرين ولاية، وكانت قاعة العرش "الأبادانا" بقصرة نموذجاً لإيوان كسرى الذى استفاضت كتب العرب فى وصف عظمته.

وقد كان للبناء بالآجر أثره فى اقتصار دور المثالين على تشكيل تيجان الأعمدة، ونقش صور الحراس على مداخل الأضرحة أو إعداد

الحشوات المنفذة بالحفر البارز لتجميل مداخل القصور، أو تطريق الصحائف المعدنية لكسوة أبواب القصور الخشبية، غير أن هذا القدر لا يشكل تراثاً خليقاً بالذكر في فن النحت.

وقد يكون للتصوير في هذه الحضارة مكان أبرز بما خلفته من حشوات القاشاني التي تظهر عليها صور الحراس والحكام، وبما ذكرته المراجع عن أعمال التصوير الجداري بألوان الأفرسك (التمبرا) بقصور فارس بعد انتقال تقاليده من آشور إليها.

قبل أن تستقر قرب منابع دجلة – في وديان "كابادوسيا" – وتؤسس عاصمتها عند بوغاز "كيوى"، وقد تركت من آثار فنها تماثيل وحشوات منحوتة في الصخر عند قلعة "مراج" بسوريا وبقصر "سندجيرلى"، كما دلت آثار أخرى لها على شغفها ببناء قصور الملك، وكانت عروشها تنحت في المرمر على قوائم مشكلة على هيئة الأسود الرابضة والفرسان أو الأسرى.

أما فن الخزف الإيراني:

فنشاهد على سطوح الأواني الخزفية القديمة رسوم حيوانات من قبيل الماعز الجبلي و الوعل و الحصان و الأفعى و الأسماك و غيره، و كان كل واحد منها بحد ذاته يعبر عن معنى و مفهوم خاص. وفيما يلي بعض المفاهيم التي كانت تفيدها هذه الرسوم:

الماعز الجبلي: معظم الأقوام كانوا يعتبرون الماعز الجبلي مظهراً للظواهر الطبيعية النافعة. مثلاً الناس في لرستان كانت تعتبر هذا الحيوان مرتبطاً بالشمس. و يعتبره البعض مظهراً لملائكة المطر، لأنهم كانوا

يعتقدون بوجود علاقة بين القمر و المطر، و بين الشمس و الجفاف، و ان القرون الملتوية للماعز الجبلي لها علاقة بنزول المطر.

الكبش: الكبش في المعتقدات العامة ينظر إليه بمثابة حيوان قوي جداً وأسطوري، و كان يحظى بالاحترام لأنه مظهر التكاثر و المنفعة. و نظراً لامتلاكه لقرون معكوفة، ينسب الكبش إلى الشمس أيضاً.

الأفعى: كانت الأفعى حتى الألف الأول قبل الميلاد مظهراً و رمز للمياه الجوفية، و لذلك كانت محل احترام و تقدير. و كان يستفاد من صورة الأفعى في تزيين أطراف و حواشي الأواني. و أحياناً كان يستفاد من رسوم الأفعى للتعبير عن الاحسان أو الاساءة، أو أكثره. كما كان يستفاد من رسوم الأفعى للتعبير عن الحماية و الحراسة. و يشاهد في الرسوم القديمة ان هناك علاقة بين القمر و البقر و الأفعى، و ارتباطهم بالمطر.

الشمس و القمر: في الألف الرابع قبل الميلاد كان ينظر إلى الشمس على أنها أمّ الكون. و قد أوضحت التنقيبات التي أجريت في هضبة «حصار» بداسغان ان أناس هذه المناطق كانوا في الألف الثالث و الثاني قبل الميلاد يوسدون الموتى باتجاه المشرق، أي صوب الجهة التي تشرق منها الشمس، و لعل في هذا ما يشير إلى المكانة التي كانت تحظى بها الشمس لدى هؤلاء. كذلك كانت الشمس لدى البعض رمزاً للعمر الخالد، و عظمة السلطة و جلالها، بنحو كان يزين بها تاج الملوك. كما كان الناس في العصور القديمة يكنون احتراماً و تقديساً لزهور «دوار الشمس».

الشجرة: كانت الشعوب الإيرانية القديمة تؤمن بقداسة الشجرة و المياه. هذا و كانت الشجرة بالنسبة لهم تمثل رمزاً للنمو والحياة. و تتجلي بوضوح في

الخزف الايراني العلاقة بين النبات و الماء و الأرض، العناصر الثلاثة البارزة في حياة المزارعين، و غالباً ما تكون إلى جوار بعض بمنظر بسيط و معبر.

الطيـور: تشاهد رسوم أنواع الطيور و اللقالق و البجع و نظائرها علـى معظم الأواني الفخارية التي تمّ اكتشافها في المناطق الإيرانية المختلفـة. و كثيراً ما ترسم طيور البحر فوق خطوط أفقية متوازية و ربمـا متموجـة تعبيراً عن المياه. كذلك هناك العديد من رسوم البجع و اللقالق ذات السيقان الطويلة، التي تعيش في البرك و المستنقعات، و هي تشير إلى أهمية المـاء الذي هو ضروري لحياتها.

و عموماً يتم رسم الطيور بصورة جماعية على سطوح الأواني، و أحياناً بشكل مفرد. و يعتبر الشاهين من الطيور التي تشاهد رسومها بكثرة على سطوح الأواني الخزفية. فالشاهين بجناحيه العريضتين كـان يعتبـر مظهراً للحماية الإلهية. و كان القدماء ينظرون إلى الطير القـوي كرمـز للتفوق و التعالي على شؤون الدنيا الترابية.

الإنســان: من المواضيع الطريفة التي تمت مشاهدتها في حفريات منطقة «شوش»، رسوم عدد من النساء واقفات تمسك أحدهما بيد الأخـرى. كمـا يشاهد أيضاً صور القمر ملازمة لهذه الرسوم، و هو تعبير عن العلاقة التي كان يعتقد بها الناس بين المرأة و القمر. هذا و غالباً ما تتسم صور الانسان بالقامة الطويلة و المنكبين العريضين، و الخصر الرفيع. و كان الفنان يبالغ في تجسيم ناحية الخصر و يعكسه بصورة رفيعة إلى أقصى حد. في حـين كان يصور الأفخاذ بشكل عريض و كبير.

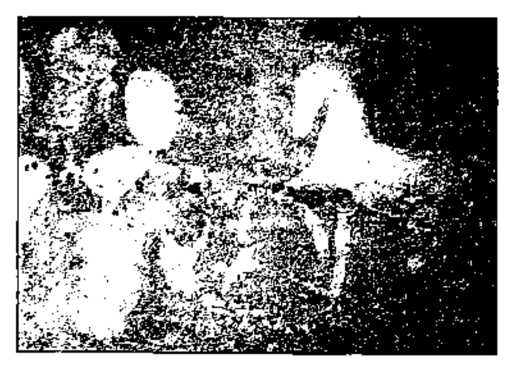
و كان يصور القسم العلوي لبدن الانسان في صورة مثلث متساوي الأضلاع. الأيدي مرفوعة و الأقدام تبدو في حالة حركة، و ربما ذلك تعبير عن تصوير الانسان و هو في حالة دعاء. لقد تم العثور على الاناء الـذي يحتوي هذا الرسم في الحفريات التي أجريت في منطقة «إسماعيل آباد» في شهريار، و يعود تاريخه إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

و في إحدى قطع الفخار التي عثر عليها في هضب «سيلك» و التي يعود تاريخها إلى حوالي أواخر الألف الخامس و أوائل الألف الرابع قبـل الميلاد، ظهرت أربع نساء في حالة أداء طقوس دينية بصورة جماعية.. و من حالة السواعد و الأبدان و الاتجاه نحو جهة واحدة، يتضح ان هذه النسوة هنّ جانب من مجموعة كبيرة منشغلة في أداء لوحة دينية مقدسة. و نظـراً لأن هذا الرسم مكرر حول الاناء بنحو يشكل حلقة كاملة، فمن المحتمل انّه يعبر عن رقصة دائرية. و كانت هذه الطقوس تؤدي بوحي من عبـارة أو تجليل موضوع محل احترامهم و قد استلهم من قبيل: النـار، و الصـيد، و موسم الحصاد، و الأشجار المثمرة، و نظير ذلك.

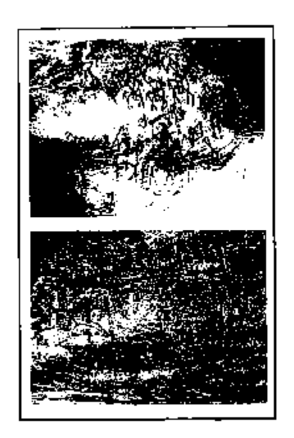
كذلك ظهر على سطح قطعة فخارية تعود إلى الألف الرابـع قبـل الميلاد، مجموعة من النساء أو الرجال أو خليط منهما في حالة أداء طقوس جماعية. و نظراً لوجود رسوم للشمس و الطيور المائية بين الذين يـؤدون الطقوس، لذا يعتقد ان هذه الطقوس بمثابة عبادة الشـمس و تقديسـها، أي عبادة إله النور الذي يمحق ظلام الليل عن عيون الناس و قلوبهم.



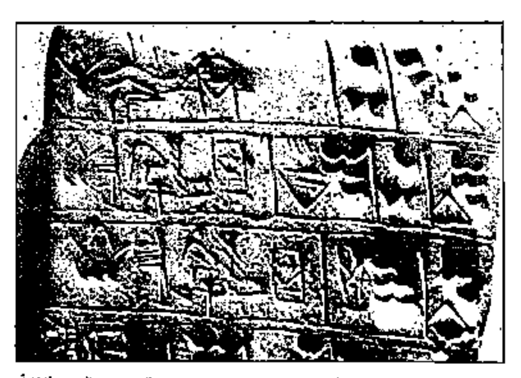
شكل (٢٢٧) أحد الرسوم الصخرية المحفورة على جدار صخرى فى منطقة تومسكاي بهاتيتشا بجنوب سيبيريا – بروسيا والتى تم تشويهها بواسطة المخربين الذين حفروا فوقها تاريخ بحلقة مزدوجة حول الرسم كما هو واضح بهذا المثال



شكل (٢٢٨) رسم صخرى لشكل حصان - وجد بمنطقة بيمبيتكا – مادهايا براديش بالهند حيث يوجد أكثر من ٥٠٠ كهف صغير ومأوى صخرية مزينة بالرسوم الزيتية يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ عام ق.م.



شكل (٢٣١) صورة صخرية زيتية لأشكال حيوانات وجدت بمنطقة ريزين بالقرب من مدينة بوبال – بالهند ويرجع تاريخها لما يقرب من ٩٠٠٠ عام ق.م



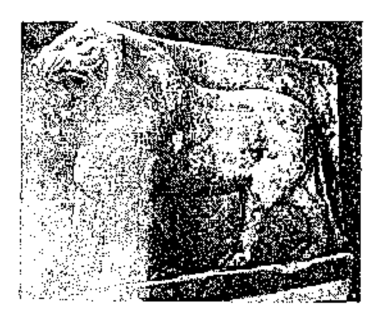
شكل (٢٣٢) الواح المسمارية المحفورة على الحجر والتي تمثل بدايات ظهور الكتابة



شكل (٢٣٣) تمثال الراهب - جوديا - من حجر الديوريت والموجود بمتحف اللوفر وهو أول من استطاع توحيد اقليمى بلاد النهرين - اجاد - شمالاً وسومر - جنوباوكان لايقل بأساً عن الملك خوفو المصرى المعاصر له



شكل (٢٣٤) تمثال حجرى للشاروبيم او الاسد المجنح الذى يعد رمزاً شهيرا للقوة بالحضارة الأشورية حيث يجمع بين شكل الانسان والحيوان والطير -وكان يوضع على مداخل القصور الآشورية كرمز لحمايتها وحراستها بضخامته الرهيبة.



شكل (٢٣٥) تمثال حجرى يمثل اسد نقشت عليه اسماء وألقاب وانتصارات الملك آشور ناصربال ونلاحظ ان له خمسة ارجل لكى يشاهد من الجانب فى حالة حركة السير على اربع بينما يرى من الامام برجلين متجاورين فى وضع ثابت مثل الشاروبيم وهو من الامثلة النادرة في تشكيل الجزء الامامي تشكيلا كاملا بينما الجزء الخلفى يبدو من النحت البارز الملتصق بسطح اللوحة الحجرية.



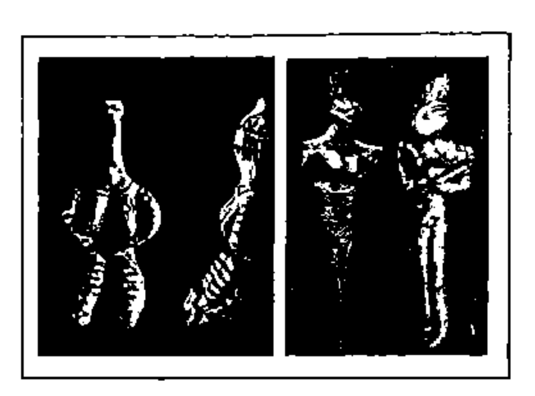
شكل (٢٣٦) تمثال حجرى من عصر آشور بانيبال



شكل (٢٣٧) تمثال من الحجر الجيري للملك أشور ناصربال في زيه الرسمي وهو التمثال الوحيد الكامل الاستدارة من النحت الآشوري- وقد عثر عليه سليما في معبد أنوترا بمدينة النمرود- اعلى نهر دجلة



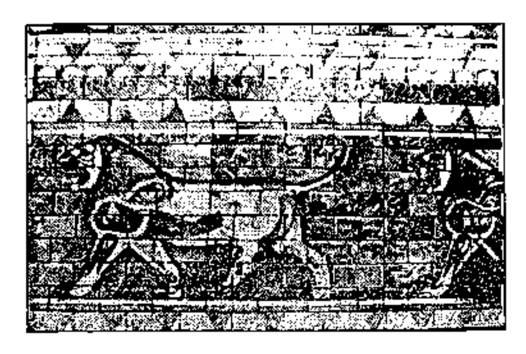
شكل (٢٣٨) تمثال من النحاس على شكل رأس إله من العهد السومري ويمثل وجه أدمي ذو قرنين وعثر علية في المقابر الملكية لملوك سومر بمدينة أور



شكل (٢٣٩) تماثيل آدمية من الطمي المحروق عثر عليها بمدينة وادي حلاف وكانت محفوظة بمتحف العراق قبل الغزو الامريكي



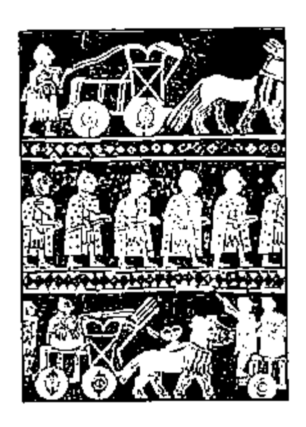
شكل (٢٤٠) رأس من الرخام الابيض لامراءة عثر عليه في مدينة الوركاء



شكل (٢٤١) رسم لاسدين على قطع ممسطحة من الخزف الملون لتغطية الجدران - ونلاحظ مبالغة الفنان الآشورى فى اظهار العضلات القوية كأنها مسلوخة من جلدها باسلوب متكرر فى الشكل والحجم



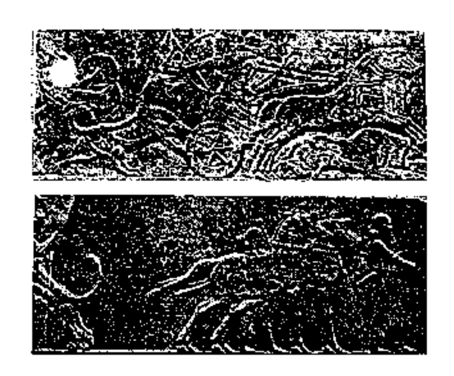
شكل (٢٤٢) كان الآشوريون يعنون بتربية وتصفيف لحاهم وشعر رؤوسهم ويكللونها بتاج من الزهور وكذلك كانوا يظهرون آلهتهم وكهنتهم بالنحت البارز الملون – وقد عثر على هذه الاعمال بالعاصمة الآشورية نينوى على نهر دجلة



شكل (٢٤٣) لوحة الحرب والسلام في أور وترجع ترجع للعصر السومرى



شكل (٢٤٤) مكتبة آشور بانيبال المحفورة على الحجر والتى تعتبر اعظم امثلة لبداية ظهور الكتابة بالعراق القديم



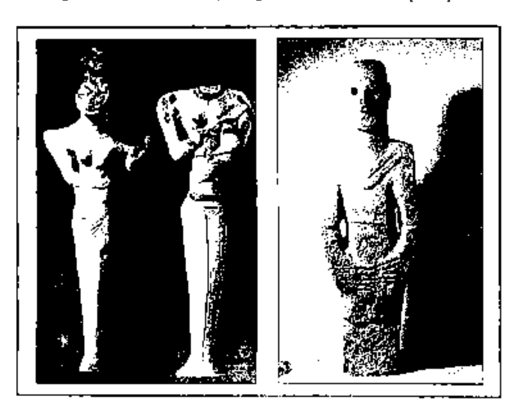
شكل (٢٤٥) نحت بارز لاحد منظر الصيد وتمثل أسدا جريحا ينزف دماوه وآخر مصاب بسهمان فى صدره من العصر الآشورى ويظهر به جماليات الفن الآشورى فى حركة الخطوط والمبالغة فى تشريح العضلات



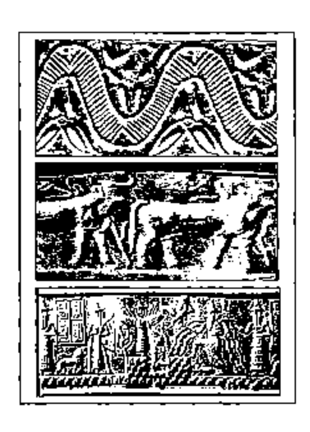
شكل (٢٤٦) نحت بارز لملك فارس بالعراق يقتل اسدا



شكل (٢٤٧) نحت بارز للملك العراقى القديم سارغون يتأهب للخروج للصيد



شكل (٢٤٨) نماذج لتماثيل آدمية حجرية عثر عليه بمدينة أور ترجع للعصر السومرى



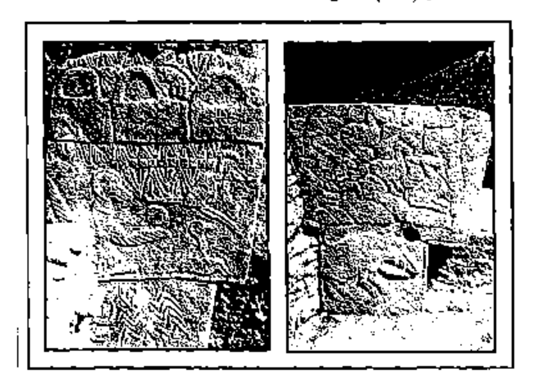
شكل (٢٤٩) نماذج للاختام من عصر جمدة نصر والمحفوظة بمتحف اللوفر
والمعهد الشرقي بشيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية



شكل (٢٥٠) نموذج اكليل الورد الذى كان يوضع على الرؤوس بالدولة الآشورية



شكل (٢٥١) نموذج للمسلات الآشورية المنحوتة من الحجر



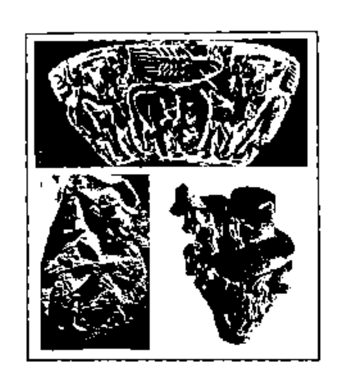
شكل (٢٥٢) نموذجين للنحت الآشوروى البارز والذى يعبر عن اشكال حيوانية



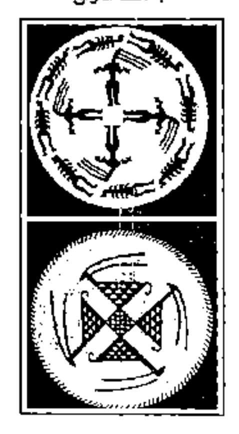
شكل (٢٥٣) اناء من الالبستر عثر عليه فى مدينة الوركاء



شكل (٢٥٤) نماذج لقطع من اوانى خزفية بها نقوش ملونة لوحدات آدمية وحيوانية وهندسية من عصر حضارة حسونة - مدينة تل حلاف - العراق



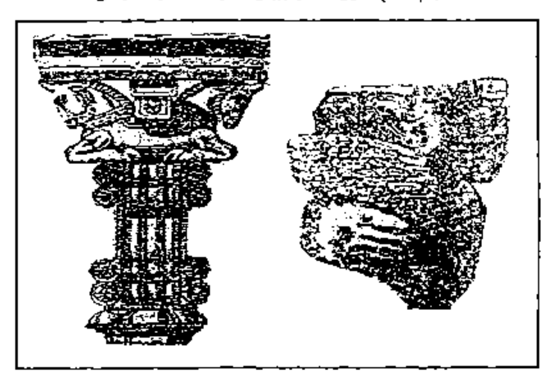
شكل (٢٥٥) لوحة واناثين من الحجر من عهد جمدة نصر - كانت محفوظة بمتحف العراق



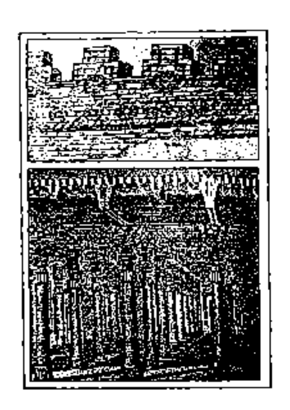
شكل (٢٥٦) قطع من اوانى فخارية بها نقوش حيوانية عثر عليها بمدينة - تل حلاف - العراق



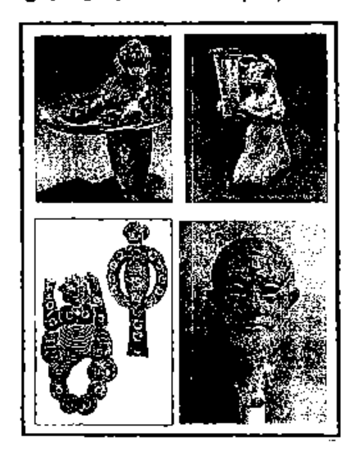
شكل (٢٥٧) صور لمنظر إيوان كسرى للعصر الفارسى



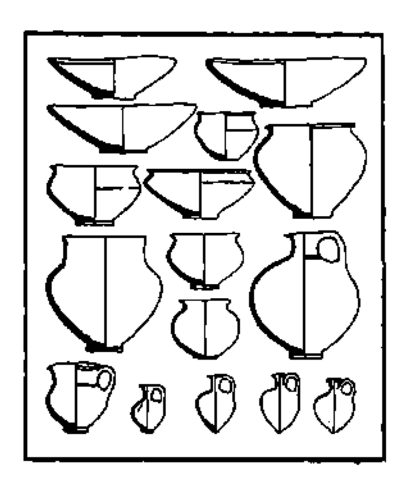
شكل (٢٥٨) عناصر معمارية من الفن الفارسى



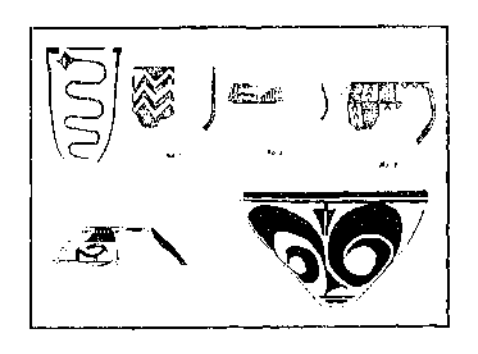
شكل (٢٥٩) عناصر معمارية من الفن الفارسي



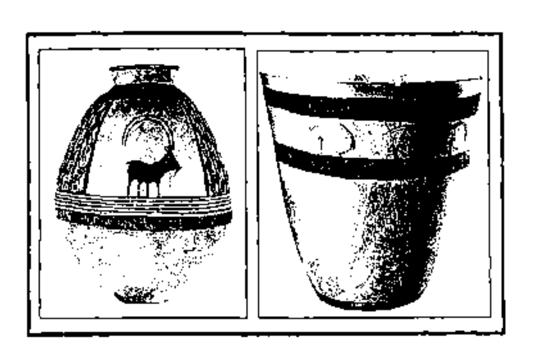
شكل (٢٦٠) نماذج من فن النحت الإيراني القديم



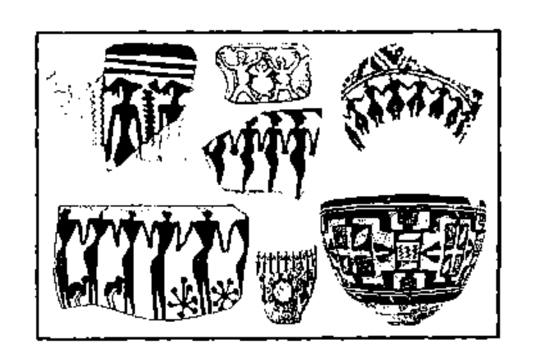
شكل (٢٦١)



شكل (٢٦٢)

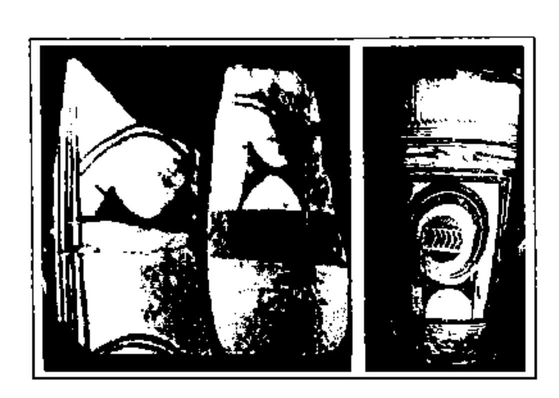


شكل (٢٦٥)



شكل (٢٦٦)

الأشكال من (٢٦١ : ٢٦٦) نماذج من فن الخزف الإيرانى القديم والذى يحتوى على زخارف لأشكال الماعز الجبلى والكبش والأفعى والرسوم الآدمية



شكل (٢٦٧) أواني من الفخار المحروق وبها نقوش ملونة عثر عليها في مدينة سوسا بإيران - محفوظة بمتحف اللوفر



شكل (٢٦٨) إناء من الفخار المحروق مزخرف بصف من الحيوانات ذات قرون طويلة وعثر عليه في مدينة سيالك - جنوب طهران ومحفوظ بمتحف طهران

أولاً: المراجع العربية:

أبو بكر علي، فن النحت البدائي وأثره على فن النحت المعاصر، رسالة ماجستير، كلية فنون جميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٢.

أحمد فكري، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٩.

أحمد كمال زكي، الأساطير، المكتبة الثقافية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

أرنولد هاوزر، الفن والمجتمع عبر التاريخ – ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩.

آسية حامد الأرناؤوطي، دراسة تاريخية للفنون البدائية لابتكار تصميمات تستخدم لطباعة المنسوجات الوبرية، رسالة ماجستير، كلية فنون تطبيقية، جامعة حلوان، ١٩٨٩.

أشرف العويلي، القيمة الجمالية في الفن البدائي وعلاقتها بالتصوير المعاصر كمدخل لتدريس التصوير، رسالة دكتوراه كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩٧.

أندريه ليوراجوران، فن حوائط الكهوف وكيف مارسه الإنسان، اليونسكو، العدد ١٣٦، أكتوبر، ١٩٩٨.

توماس مونرو، تطور الفنون، ترجمة محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١.

ثروت عكاشة، الفن المصري – الجزء الأول، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ترجمة مصطفى بدوي – ذكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.

جوزيف كي، فنان العصر الحجري الحديث، رسالة اليونسكو، العدد ٢١٩، ٢٢٠، ١٩٧٩.

حسن الباشا، الفنون البدائية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦.

حسن محمد حسن، الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٤.

سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة الكوثر، القاهرة، ١٩٤٠.

العباس سيد أحمد محمد علي، النيل والصحراء خلال العصور الحجرية: تباين بيئي وتكامل حضاري، مطابع أدوماتو، السودان، ٢٠٠٣

العباس سيد أحمد، يوسف مختار محمد علي، مشروع البطانة الأثري – شرق السودان. في: دراسات في الآثار، (تحرير) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، قسم الآثار – جامعة الملك سعود، ١٩٩٢.

عبد الكريم عبد الله، فنون الإنسان القديم، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٩٧٣.

عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان، دار العلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.

مؤمنة محمد ممدوح كامل، دراسة تحليلية مقارنة بين القيمة التشكيلية لفخار ما قبل الأسرات وفخار المايا، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٠.

محمد أنور شكري، الفن المصري القديم (منذ أقدم عصوره حتى نهاية الدولة القديمة)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٨.

محمد عزت مصطفى، قصة الفن التشكيلي (العالم القديم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

نجلاء عبد المجيد محمد فرج الشاذلي، الفن البدائي كمدخل لرؤية تشكيلية معاصرة في تصميم الأزياء، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة حلوان، ٢٠٠٣.

نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٣.

هـ . ج . ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٩.

ـــــــــــ، موجز تاريخ العالم، الجزء الأول، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣.

هربرت ريد، الفن والمجتمع، ترجمة فتح الباب عبد الحليم، دار الكتاب المصرية، ١٩٦٨.

ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، الجزء الأول، المجلد الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٦.

يوسف مختار الأمين، دراسات ما قبل التاريخ في وادي النيل (السودان ومصر): ملاحظات حول المنهج والنظرية، مطابع أومالو بالسودان، ٢٠٠٦.

ثانياً-: المراجع الأجنبية:

Adams, W. Y. Nubia Corridor to Africa. Allen Lane, London 1977.

Adamson, A. D., The Integrated Nile, In: A Land between Two Niles. Williams, M. A and Adamson, D. A. (ed.), Balkema/ Rotterdam 1982.

Davis, Whitney, The Earliest art in the Nile Valley. In: Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in North-Eastern Africa. (eds): Lech Krzyzaniak and Kobusiewicz, M. Poznan Museum 1984.

M. Dandamayev and V. Lukonin, The Culture and Social Institutions of Ancient Iran (Cambridge: Cambridge University 1989.

Paulissen, E. and Vermeerch, P., Earth, Man and Climate in the Egyptian Nile Valley during the Pleistocene. In: Close, A (ed.) Prehistory of Arid North Africa. SMU Press 1987.

Trigger, B. G., The Rise of Civilization in Egypt. In: Fage, J. D and Oliver, R. (ed.) The Cambridge History of Africa. Vol. Cambridge Univ. 1982.

Van Peer. P., The Nile Corridor and the Out-of-Africa Model. An Examination of the Archaeological Record. Current Anthro pology 1998.

Karl Ruhrbourg- "Rwentiehth Century Art" Bland fard press LTd, Germany 1986.

Leonherd Adam – "primitive Art", penguim Books London 1949.

Alicia Surez – "History Universelle Del ' Art Tome' BSN -- London 1990.

Carl Kohler – "A history of costume" Dever publication, INC. New York 1963.

Pauls Wingert – "Primitive Art" New York, Oxford 1962.

W.L. Thomas – "Primitive Art" Gren New York 1995.

ثالثاً : مراجع من الأنترنت:

http://www.arkamani.org/ancient-history-key-topics/ancienthistory-americas.htm

http://www.google.com.eg/search?hl=ar&newwindow=1&client=firefox-a&rls=org.mozilla%3Aen-US%3Aofficial&hs=bYQ&q=%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86+%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%A6%D9%89+%D8%A2%D8%B3%D9%8A%D8%A7+&btnG=%D8%A8%D8%AD%D8%AB!&meta

http://ar.wikibooks.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9_%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_-_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A1_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AF%D8%B3

http://www.aslimnet.net/index2.htm

http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/from-classification-to-interpretation.htm

http://www.nabdh-alm3ani.net/nabdhat/nabdh56/nabdh8456.html

http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/dilemja-uan-afouda.htm

http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/new-approach-to-rock-art.htm

http://www.thephilosophy.org/goto/showthread.php?p=1455

http://www.marxists.org/arabic/glossary/terms/16.htm

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%88%D8%B7%D9%85%D9%8A%D8%A9

http://www.annabaa.org/nbanews/63/420.htm

http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb121885-82012&search=books

http://www.rewayatmasreya.com/forums/8928/ShowPost.aspx

http://www.bramjnet.com/vb3/showthread.php?t=661820

http://www.tipsclub.net/vb/showthread.php?p=15469

http://www.bakhdida.net/NajatHabash/TPole.htm

http://www.kitabat.com/alkarki_98.htm

http://www.syrianmeds.net/forum/topic3.html

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.h4ppy.com/blog/uploaded_images/Jebel%2520Acacus%2520Cave%2520paintings%25203-756757.JPG&imgrefurl=http://www.h4ppy.com/blog/archives/2006_04_01_h4ppy.html&h=427&w=640&sz=60&hl=ar&start=1&um=1&usg=__wbsBoXZTRPPOXEDSK0s0-n3fhMM=&tbnid=S5cAjSQSqcPHyM:&tbnh=91&tbnw=137&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.rupestre.it/tracce/imma2002/bhim1.jpg&imgrefurl=http://www.rupestre.net/tracce_php/modules.php%3Fname%3DSections%26op%3Dviewarticle%26artid%3D3&h=403&w=400&sz=60&hl=ar&start=5&um=1&usg=__P8xLsyDQafvXHWF7KhWUCu2rzpw=&tbnid=luRZ-kXgyQP2_M:&tbnh=124&tbnw=123&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.mimenta.com/Images/Extra%2520Graphics/VA07/CavePaintingLascaux.jpg&imgrefurl=http://www.mimenta.com/VisualArts/Visual%2520Art07.html&h=457&w=670&sz=116&hl=ar&start=4&um=1&usg=__zBB8VtpLvDAXDo4opEapOkoabi8=&tbnid=YDqFrtUwPk8P6M:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave.paintings/lascaux.contemporary.art/4.jpg&imgrefurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave.paintings/lascaux.contemporary.art/&h=300&w=472&sz=33&hl=ar&start=7&um=1&usg=__0ZxJzXCcvYgqakch2A3fHZdfSxg=&tbnid=a4lk78StdH_-vM:&tbnh=82&tbnw=129&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.alifetimeofcolor.com/study/images/cave_painting_1.jpg&imgrefurl=http://waterforsixthgrade.blogspot.com/2008_09_01_archive.html&h=457&w=670&sz=81&hl=ar&start=2&um=1&usg=__rixrjLwWK2wKM0b1T68B6fa9Wes=&tbnid=Qis2fNEhvIAaJM:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

http://images.google.com.eg/imgres?imgurl=http://www.artchive.com/artchive/c/cave/cave_painting_bison.jpg&imgrefurl=http://www.artchive.com/artchive/C/cave/cave_painting_bison.jpg.html&h=600&w=850&sz=162&hl=ar&start=3&um=1&usg=__cI3pB76LBAQFwlB-dt2EbSjxBws=&tbnid=Hx7yk5O8VBsrKM:&tbnh=102&tbnw=145&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN

أم القرى للطبع والنشر والتوزيع
الإدارة : ٨ ش عبد الكريم الهمى - حدائق القبة
المطابع : ٣٢٩٠ ش الترعة الجبل - حدائق القبة
ت : ٤٨٥٦٩٩٦٤ - ٦٨٤٢٣٨٨٨
بطاقة ضريبية رقم ٥٣٦٠١٠ حدائق القبة
ملف ضريبي رقم ٥/٥٨/٢٣/٢٦٥